موسوعة
جغرافية مصر وتاريخها
N
نوبليس

عبد الرحمان الجبرتي

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الثالث عشر

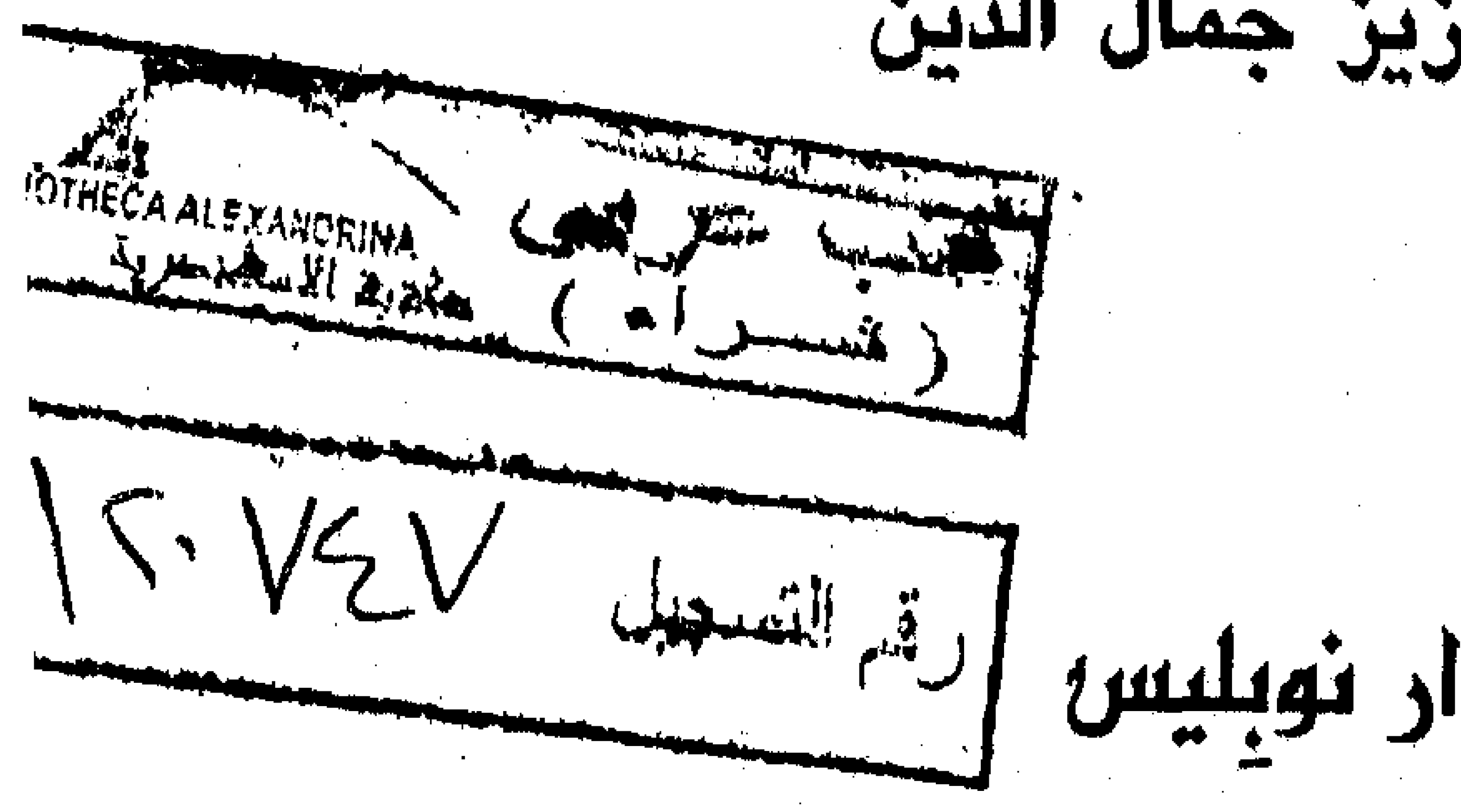
عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٤ -

الجزء الرابع: الغزوة الفرنسية - ٢ -

صدمة الغرب

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين



دار نوبليس

اسم الموسوعة: موسوعة جغرافية مصر وتاريخها

اسم الكتاب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ ٤ ـ
الجزء الرابع: الغزوة الفرنسية ـ ٢ ـ
صدمة الغرب

المؤلف: عبد الرحمان الجبرتي

إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين

قياس الكتاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٢١٢

عدد صفحات الموسوعة: ٥٧٨٤

مكان النشر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبليس

تلفاكس: ٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١

هاتف: ٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ ـ ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١

صندوق بريد: ٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان

بريد إلكتروني: info@nobilis-int.com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعا سنة ١٢١٣

وفيه أخذ بونابارته فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام وجهزوا طلباً كثيراً وصاروا فى كل يوم يخرج منهم طايفة بعد طايفة*.

وفى يوم السبت عمل سارى عسكر ديواناً وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً، لعمار القطر وصلاح الأحوال وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرايع وغير ذلك، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات كل كبير يضبط طايفته خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر، فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقاً مطبوعة* على العادة فى معنى ذلك وألصقوها بالطرق، وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية وخرج أيضاً عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرّة والفرش والحصر وعدة مواهى ومحفات للنسا والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوها من بيوت الأمرا وتزيا أكثرهن بزى نساهم الإفرنجيات وغير ذلك.

وفى يوم الأحد خامسه ركب سارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضاً إلى العادلية وذلك فى الساعة الرابعة بطالع

حملة الشام: علم بونابرت وهو فى رحلته بالسويس أن عساكر أحمد باشا الجزار قد احتلت قلعة العريش فى ٢ يناير ١٧٩٩ فكان هذا الاحتلال نذيرا بزحف الجيش العثمانى على مصر. ومنذ أن علم بونابرت بالتحالف الإنجليزى العثمانى عزم على أن يسبق خصومه إلى العمل ويهاجمهم قبل أن يهاجموه، ورأى أنه إذا تأخر فى انفاذ الحملة وانتظر اجتياز الجنود العثمانية برزخ السويس تحرج مركزه فى وادى النيل فغرض بونابرت من الحملة على الشام كان إذن تثبيت قدم الاحتلال الفرنسى فى مصر وإبعاد خطر الحملة العثمانية عليها. كذلك كان يهدف إلى منع الأسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط من أن يتزود من الثغور الشامية.

نص البيان الذى اصدره الديوان فى شان سفر حملة الشام:

من محفل ديوان مصر الخصوصى، إلى جميع الأقاليم المصرية: نخبركم أن أمس، تاريخه خامس شهر رمضان المعظم، توجه حضرة الدستور المكرم سر عسكر الكبير بونابرته، أمير الجيوش الفرنساوية، مسافراً يغيب مقدار ثلثين يوماً، لأجل محاربة ابراهيم بيك الكبير وبقية المماليك المصرية، حتى يحصل الراحة الكلية للأقاليم المصرية من هؤلاء الاعدا [ء] الظالمين، الذين

الحمل وفيه القمر فى تربيع زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقايممقام بوسليك وسارى عسكر ويزة بجملة من العسكر فى الصعيد وكذلك سوارى عسكر الأقاليم كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات وأخذ معه المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنايع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة [كفرلى] وأبقى أيضاً بعض أكابرهم ثم تراسل المتخلفون فى الخروج كل يوم يخرج منهم جماعة.

وفى يوم الثلاثا سابعه انتدب للنميمة ثلاث من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه، فأرسل قايممقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك، فقالا له هذا كذب لا أصل له، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين، ففحص عمن اختلق ذلك فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم فى الاعتقال.

ثم إن نصارى الشوام رجعوا إلى عادتهم القديمة فى لبس العمايم السود والزرق وتركوا لبس العمايم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك، نبهوا أيضاً بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولا يشربون الدخان ولا شيئا بمرأى منهم، كل ذلك للاستجلاب لخواطر الرعية حتى إن

لا راحة فيهم ولا رحمة فى دولتهم على احد من رعيتهم، وقد وصل الآن مقدمة الجيوش الفرنساوية الى العريش، وعن قريب ياتيكم خبر قطيعة ابراهيم بيك ومن معه من المماليك، نظير ما وقع قطيعة اخيه مراد بيك ومن معه فى اقليم الصعيد، فيقطع دابرهم من بر الشام كما انقطع دابرهم من اقليم الصعيد بالتمام، ويبطل القيل والقال، وتذعب الكاذبة [الكذبة] التى تسمعونها من اوباش الرجال.

ونخبركم ان حضرة السر عسكر المشار اليه يتجدد له كل يوم نية الخير والرحمة، ويحدث فى تصميم الشفقة والرأفة، هذه هى نيته لكم فى كل الأقطار المصرية، ويحصل لكم النجاح والصلاح، ويكمل فى ساير أقطارها السرور والصلاح، الذى مكنه فيها، وتنصره على من ظلم فيها من المماليك المفسدين، ولا يتم خلاصهم بالكلية وتتطهر من دولة المماليك الودية، إلا ببذل همته ورأيه السديد فى تكميل نظامها بغنايمهم لسيوفه الباترة، وتكمل زروعها الفاخرة وأنواع تجارتها الباهرة، ويحدث فيها برأيه وحسن تدبيره التحف من أنواع الحرف والصنايع النفيسة، ويجدد فيها ما اندثر من صنايع الحكماء الأولين، ويرتاح فى دولته كل الفقراء والمساكين، فالتزموا يا أهل الارياف والفلاحين بحسن المعاملة والأدب، واجتنبوا فى غيبته انواع الكذب والقبايح، حتى يراكم، حين يقرب بعد هذا الشهر، قد احسنتم المعاملة

بعض الرعية من الفقها مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهره فرد عليه رداً شنيعاً، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصراني واجتمع عليه الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما إلى قايممقام فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبداً فضرب النصراني وترك المتعمم لسبيله.

وفى تاسع عشرينه أحضروا مراد أغا تابع سليمان بك الأغا ومعه آخر من الأجناد من ناحية قبلى فأصعدوهما للقلعة قبل قتلهما.

وفى خامس عشرينه ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش* وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق إن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا، فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم وخرج بعض الناس فشاهدوهم، ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى خرج الأغا وبرطلمين بطوايفهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوايف ومشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك

(*) أصدر الديوان البيان التالى فى شأن استيلاء الفرنساوية على قلعة العريش:

صورة كتابة علماء الديوان للديار المصرية.

لا اله الا الله المالك الحق المبين، ومحمد رسول الله الصادق الوعد واليقين، نعرف آل مصر وساير الأقاليم ان توجهت الفرنساوية الى الديار الشامية، وحاصروا قلعة العريش من عشرة فى رمضان الى سبع عشر [سنة ١٢١٣ هـ. أى من ١٥ الى ٢٢ فبراير ١٧٩٩م]، ووقعت مقاتلة عظيمة خارج القلعة وكان فى القلعة نحو ألف وخمسماية نفر غير من قتل خارجها، فلما طال عليهم الحصار، وتهدمت اسوار القلعة من ضرب

ومشيتم على الاستقامة، وينشرح صدره منكم ويرضى عليكم، وينظر اليكم بعين الشفقة، وان حصل منكم فى غيابه ادنى خلل ومخالفة حل بكم الوبال والدمار، ولا ينفعكم الندم، ولا يقر لكم قرار، واعلموا ان اذهاب دولة المماليك بقضاء الله وقدرته، ونصرة سلطانكم امير الجيوش عليهم بتقدير الله وامره، والعاقل يمتثل الى احكام الله ويرضى بمن ولاه، والله يوتى بملكه من يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله.

الداعى لكم الفقير عبدالله
الشرقاوى ريس الديوان
الخصوصى
عفا الله عنه

الداعى لكم الفقير السيد محمد
المهدى الحفناوى كاتم السر
وباش كاتب الديوان
عفى الله عنه

الفرنساوية بالمدافع عليها وتيقنوا بالهلاك، طلبوا الأمان من حضرة السر عسكر الكبير، فأعطاهم الامان الكافى، وسافر منهم نحو ثمانماية من ناحية الشول [الصحراء] الى بغداد، وانعم عليهم حضرة السر عسكر بالحيوة بعد ان تيقنوا بالهلاك، وهكذا اصحاب المروات هولا أعتقهم واطلق سبيلهم، وبعض الكشاف والمماليك الذين كانوا فى القلعة، نحو ستة وثلاثين جنديا، طلبوا من حضرة السر عسكر ان ينعم عليهم برجوعهم الى مصر الى عيالهم وبيوتهم، فأحسن اليهم وارسلهم الينا والى وكيله، ودخلوا عليه يوم الاحد فى ستة وعشرين رمضان معزوزين مكرومين وارسل السر عسكر ان يوفى بإكرامهم ان داموا على عهدهم الذى حلفوا به بالعريش، وان خانوا وهانوا فيحصل لهم من يده الانتقام. وامر فى الفرمان ان الجنرال دوكا يأمر التجار بالقوافل الى بر الشام، لينتفعوا بالمكاسب اصحاب التجارة، ويتمتعوا سكان بر الشام ببضايع مصر حسب العادة السابقة، ليحصل الامان بحلوله فى تلك الأراضى، وكتب الى حضرة وزيره الجنرال اسكندر برتيه(*) فرمان يخبرنا ويخبر حضرة الوكيل بالحالة التى وقعت الى عساكر ابراهيم بيك وبعض من عسكر الجزار المساعدين له. وان الفرنساوية وجدوا فى قلعة العريش مخازن رز وبقسماط وشعير، وثلثماية رأس من الخيل الجياد، وحمير كثيرة، وجمال غزيرة اكتسبته جميعه الفرنساوية، ومع ذلك عندهم الصفح عن إخلاصهم عند قدرتهم عليهم، وهذا من صفات أصحاب المروة من الرجال الابطال، فيا اخواننا لا تعارضوا



* قاعة القاهرة وميدان الرميلة.

الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف وإسماعيل الرومى كاشف تابع أحمد كاشف المذكور.

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش فى صحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه، ثم حضر إليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش إلى غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعماية وعليهم قاسم بك أمين البحرية فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وإحاطتهم حولها فنزلوا قريباً من القلعة فكبستهم عسكر

الفرنسيس بالليل، فاستشهد قاسم بك وغيره وهزم الباقون، ولم يزل أهل القلعةيحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يوماً فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا إلى مصر كما ذكر وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنايعهم وأحوالهم، وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم انضاف إليهم وأعطوا جامكية وعلوفة* وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس، والبعض لم يرض بذلك، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة، وفي ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به

الملك المتعال، واتركوا انفسكم من القيل والقال، واشتغلوا فى اصلاح دينكم والسعى فى معاش دنياكم وارجعوا الى الله الذى خلقكم وسواكم والسلام عليكم ختام.

الفقير عبدالله الشرقاوى

ريس الديوان حالا

عفى الله عنه

الفقير محمد المهدى

كاتم سر الديوان حالا

عفى الله عنه

الفقير السيد خليل البكرى

نقيب السادات الاشراف

عفى الله عنه

(*) المارشال لويس اسكندر برتييه Lo uis Alexandr Berthier (١٧٥٣ - ١٨١٥)، ولد فى فرساى، وتطوع فى الجيش الملكى، وحصل على رتبة عقيد خلال الثورة الأميركية، ثم اصبح جنرالا وعين قائدا للحرس الوطنى، حيث امن حماية العائلة المالكة فى فرساى عام ١٧٨٩، وبعدها انضم الى بونابرت واصبح رئيسا لهيئة اركان جيش ايطاليا عام ١٧٩٦، ثم وزيرا للحربية الفرنسية (١٨٠٠-١٨٠٧) فمساعدا لقائد الجيش الكبير (La G de Armee) الامبراطور نابليون الأول (١٨٠٥-١٨١٤)، حصل على لقب مارشال فرنسا عام ١٨٠٤ وقد وقع على وثيقة استسلام نابليون (عام ١٨١٤) وبعدها مباشرة انضم الى لويس الثامن عشر، وبعد عودة الامبراطور من منفاه (عودة المئة يوم - مارس ١٨١٥)، لجأ هو الى مدينة بامبرغ (Bamberg) فى بافاريا حيث توفى، فى العام نفسه فى ظروف غامضة.

(*) علوفة: العلوفة هى المرتب النقدى الذى يأخذه أعضاء الأوجاقات، وظهرت فى الوثائق اشارات اليها وأربابها من مختلف العناصر، وكانت تباع العلوفات على

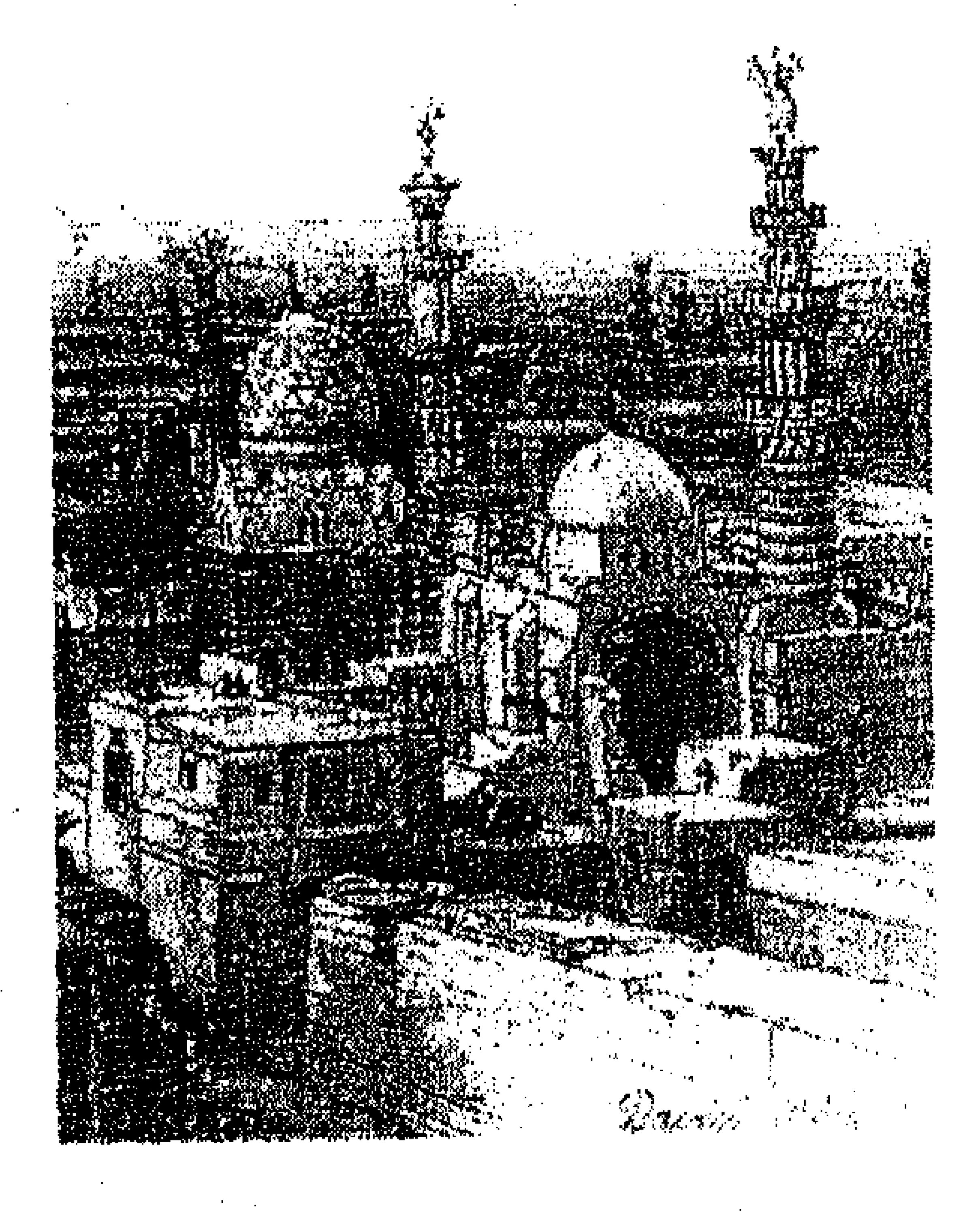
أيدى دلالين من رجال الأوجاقات المختلفة، ولقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من اصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شرائها لتكون موردا هاما لتحسين أوضاعهم، ولقد انتسب أرباب العلوفات الى مختلف الأوجاقات دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى وهم ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة.

وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا فى بيوتهم الولايم وغيروا الملابس والعمايم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا فى القبح والشناعة.

وفى يوم الأربعا توفى أحمد كاشف المذكور فجأة، وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين وهم راكبون الهجن وعلى روسهم عمايم بيض ولابسون برانس بيض على أكتافهم فذهبوا الى بيت قايمقام بالأزبكية، فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقروا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس* وأخبار مختلفة منها أنهم وجدوا إبراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس، وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا.

(*) استيلاء الفرنساوية على غزة وخان يونس.

*الجامع الأزهر



وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيين ومعهم كبير منهم وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة وفيهم جماعة لابسون عمايم بيض وجماعة أيضاً ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق وهى التى كانت عند المسلمين على قلعة العريش إلى أن وصلوا الى الى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقا وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا، وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة

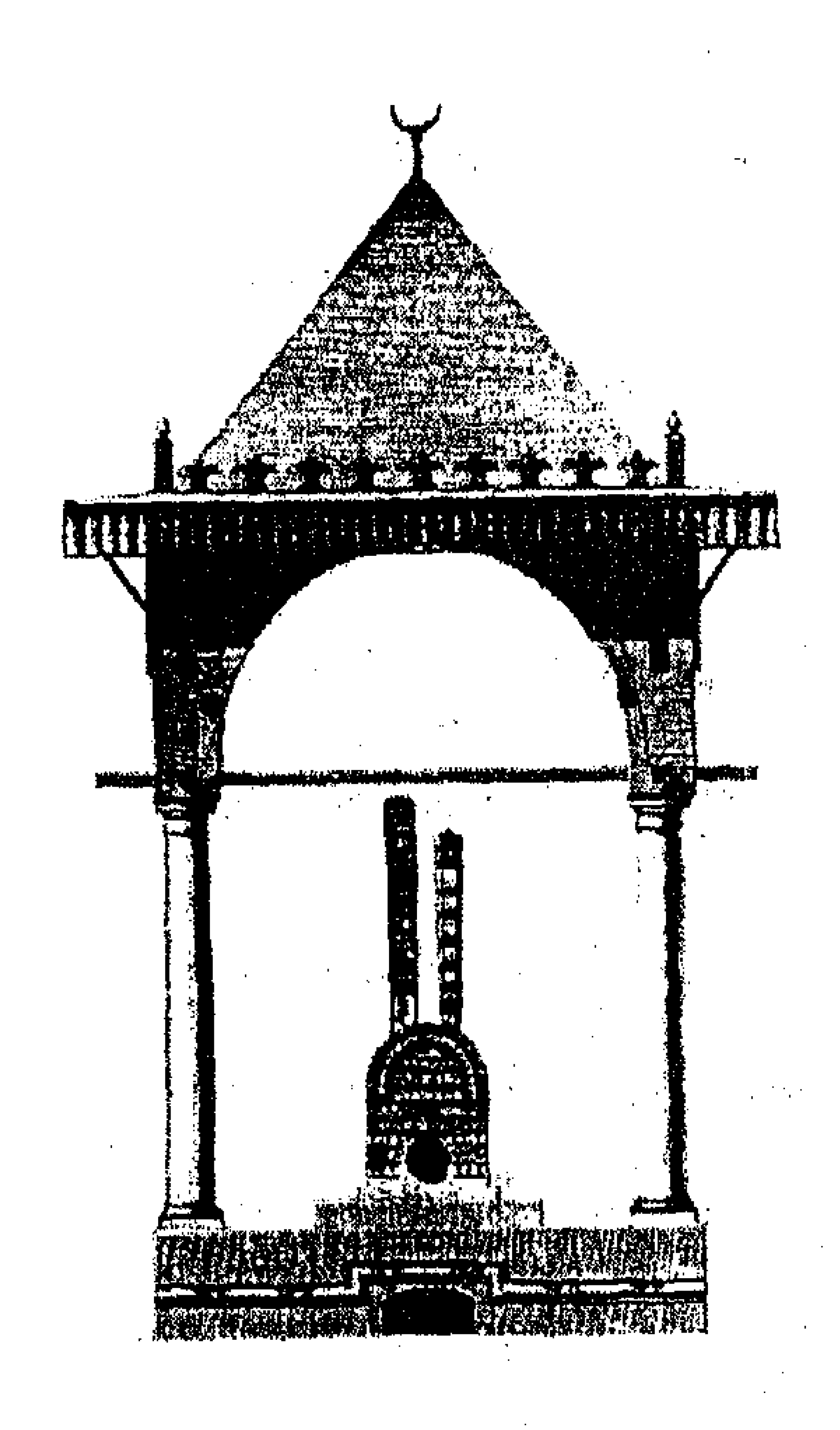
مدافع من القلعة بهجة وسروراً وكان ذلك ليلة عيد الفطر، فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد، وبعد العشا الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع وأرسلوها الى البلاد ونصها:

(*) بيان الفرنساوية لأهل الشام بعد الاستيلاء على العريش.

فرمان عام موجه مُن أمير الجيوش إلى أهالي الشام قاطبة.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلما وكافة أهالي نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى، بعد السلام نعرفكم بأننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا في هذا الظرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم، وإلى أي سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه، وإلى أي سبب أيضاً أرسل عساكره إلى قلعة العريش بذلك هجم على أراضي مصر، فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه فأما أنتم يا أهالي الأطراف المشار اليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمنين ومرتاحين، وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه، ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافي والحماية التامة ولا أحد يتعرض لكم في مالكم وما تملكه يدكم، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمتهم ووظايفهم على ما كانوا عليه، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزاً ومعتبراً والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين، إن كل خير يأتي من الله تعالى وهو يعطي النصر من يشا، ولا يخفاكم أن جميع ما

* احد انماط عمارة المقابر القاهرية.





* أحد قلاع الشام بعد تدميرها.

تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولا نفع لهم به لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير، والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح والذى يتظاهر بالغدر يهلك، ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقمع أعدانا ونعضد من يحبنا وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقرا والمساكين.

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارا بصورة الواقعة وبصموه نسخا وقرى بالديوان وألصقوا نسخه المطبوعة بالأسواق وصورته.

* بيان سقوط غزة في يد الفرنساوية.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال إسكندر برتنيه خطابا إلى حضرة سارى عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العساكر

الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان فى خان يونس وفى فجر تلك الليلة توجهوا سايرين إلى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار، فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ومات عسكرى واحد، ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلايل وحين تشاغل سارى عسكر مراد [MORAND] بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة سارى عسكر كليبر الذى كان حاكما بالإسكندرية وكان ساكنا بالأزبكية إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير من بقسماط وشعير وأربعماية قنطار بارود واثنى عشر مدفعا وحاصلا كبيرا مملوأ بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقا، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم والسلام ختام.



* مراد .

* كليبر.

وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر واختفاهم بالليل جملة كافية، وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجى وزيارة الإخوان ليلا والمشى على العادة بالفوانيس ودونها، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ووقود المساجد وصلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والنقول وترجى المأمول وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار.

ومنها أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ويعملون لهم الولايم ويقدمون لهم الموايد على نظام المسلمين وعاداتهم، ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تطمينا لخواطرهم، ويذهبون هم أيضا ويحضرون عندهم الموايد ويأكلون معهم في وقت الإفطار ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه، والله أعلم.

شهر شوال سنة ١٢١٣

استهل بيوم الجمعة وفى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد واجتمع الناس لصلاة العيد* فى المساجد والأزهر، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة، وخرج الرجال والنسا لزيارة القبور فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر *وأسرع فى مشيه، وهو يقول نزلت عليكم العرب يا ناس فهاجت الناس وانزعجت النسا ورمحت الجعيدية والحرافيش، وخطفوا ثياب النسا، وأزرهن وما صادفوه من عمايم الرجال وغير ذلك، واتصل ذلك بترية المجاورين وباب الوزير* والقرافة حتى أن بعض النسا مات تحت الأرجل ولم يكن لهذا الكلام صحة، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك.

وفيه ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد، وجاملهم الناس بالمدارة أيضاً.

(*) الاحتفال بعيد الفطر المبارك.

(*) باب النصر: بناه جوهر الصقلى وكان يقع على بعد عشرين مترا الى شمال جامع الشهداء المعروف أيضا باسم وكاله قوصون بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصدين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء، فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة عام ١٠٨٧ نقل باب النصر والفتوح من مكانهما الأصلى الى مكانهما الحالى.

(*) باب الوزير: وهو من أبواب القاهرة المندثرة، ورد ذكره كثيرا فى الكتابات الخاصة بالرحالة، وهو يطلق على الشارع الذى بدايته من ميدان القلعة ويؤدى فى نهايته الى باب زويلة، ويطلق عليه فى الوقت الحاضر شارع الدرب الأحمر.

وفى أوايله وردت الأخبار بأن الأمرا المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم: فذهب مراد بك وآخرون إلى نواحى إبراهيم بك، ومنهم من ذهب إلى ناحية أسوان، والألفى عدى بجماعته إلى البر الشرقى.

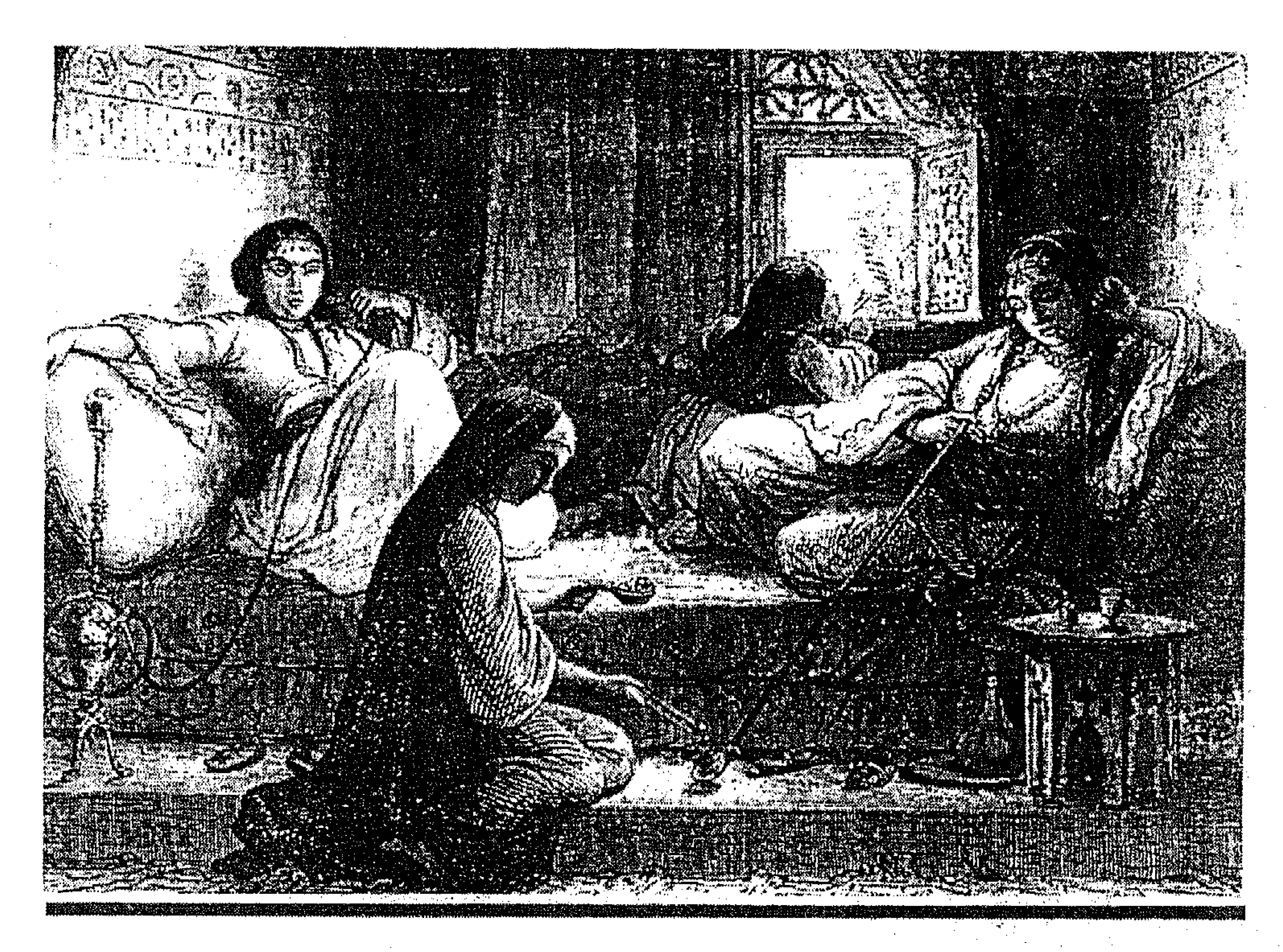


* باب زويلة .

وفى خامسه قدم الشيخ محمد الدواخلى من ناحية القرين متمرضا وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور إلى الصالحية لأنهم كانوا يبعدون عنه مرحلة، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور فذهبوا إلى العرين فأقاموا هناك، واتخذ عسكر الفرنسيين جمالهم فأقاموا بمكانهم فتقلق هولا الثلاثة وخافوا سو العاقبة ففارقوهم وذهبوا للقرين وتخلف عنهم الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى فحصل للدواخلى توعك فحضر إلى مصر وبقى رفيقاه فى حيرة.

وفى سابعه أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة* وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب، والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسمى دلوى أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد وشكوا إليه، وكان الأمير ذو الفقار حاضرا وهو يسكن تلك الجهة، فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم فأرسل شيخ البلد إلى دلوى فانتهره وأمره برد ما أخذه، فأخبر أتباعه أن ذا الفقار

(*) باب زويلة: وهو أجمل ابواب القاهرة وقد جعله جوهر فى الضلع الجنوبى من سورها وهو ينسب إلى قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال افريقية وقد انضمت القبيلة الى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر، أما الموضع الاصلى لباب زويلة فكان عند مسجد يعرف بابن البنا.



هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم إلى كبيرهم، فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم وأخبره بفعل دلوى معه، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة.

ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعة الغلة إنما هو بإغرا خادمه، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامراة رقاصة من الرُميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقتها، ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى بخطهم ليلا ونهارا تبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم، فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر، ولا بأس بما حصل.

* الاحتفال بموكب كسوة الكعبة.

وفى ثامنه يوم الجمعة نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة* المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل المواكب، فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالى والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المايتين وأكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع وهو لابس فروة عظيمة، ثم مواكب القلقات ثم مواكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية فكانت هذه الركْبة من أغرب المواكب وأعجب العجايب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثرة الحشرات وعجايب المخلوقات واجتماع الأضداد ومخالفة الوضع المعتاد، وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة.



* الكسوة محمولة على جمل المحمل.

* سقوط قلعة يافا فى يد الفرنساوية.

وفى يوم الأربعا ثالث عشرة حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر، وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالإخبار عما وقع، فلما كان يوم الخميس

واجتمع أرباب الديوان فقرا عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وتوصيفها على هذه الكيفية وهى عن لسان رؤسا الديوان إلى الكافة وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك .وصورتها:

* بيان سقوط يافا فى يد الفرنساوى.

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية نعرف أهل مصر وأقاليمها من ساير البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين رمضان ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين منه فى أمن واطمينان فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قايلين الفرار.

ثم إن الفرنساوية وجدوا فى الرملة ومدينة «لُد» مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألفا وخمسماية قربة مجهزة جهزها الجزار يسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقرا والمساكين ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصداً سفك دما الناس مثل عوايده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شى بقضاه وتدبيره.

وفى سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وأرسلوا إلى حاكمها

وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار، فمن خسافة رأيه وسو تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ولم يرد لهم جواب، وخالف قانون الحرب والصواب.

وفى أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين، وانقسموا على ثلاثة طوابير: الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدا عن يافا بأربع ساعات، وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة سارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة، وفى تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدار ماية وخمسين خطوة أمر حضرة سارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان [مدافع] القنبر بإحكام وتأسيس، وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا لأنه وجد فى المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب، ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب، ولما رأت عساكر الجزار الكاينون بالقلعة المحاصرون أن عسكر الفرنساوية قلايل فى رأى العين للناظرين لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية، فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة.

* جنود الحملة الفرنسية.



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند سارى عسكر شفقة قلبية وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه فأرسل إليهم مكتوبا مع رسول مضمونه:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

بسم الله الرحمن الرحيم من حضرة سارى عسكر إسكندر برتية كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا نخبركم أن حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمرنا أن نعرفك فى هذا الكتاب أن سبب حضوره إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها والحال أنها من إقليم مصر التى أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الإقامة بالعريش لأنها ليست من أرضه فقد تعدى على ملك غيره، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونخبركم أن حضرة سارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصا بالضعفا من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكر المحاربين إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب ولأجل ذلك أخّر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة وإنى لكم لمن الناصحين. وهذا آخر جواب الكتاب، فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية

* نص هذا الخطاب كما نشرته كوريه دى ليجيبت
بسم الله الرحمن الرحيم
كلفنى القايد العام بإبلاغكم أنه لم يحضر إلى فلسطين إلا لطرد جنود الجزار باشا منها، والذين لا يجب أيضا أن يتواجدوا فى قلعة العريش داخل الأراضى المصرية ـ فباحتلاله هذه القلعة بدأ بنفسه الحرب ضد مصر.
أن مدينة يافا محاصرة من جميع الجهات ومدافع البطاريات بجميع أنواعها سوف تقصف بأقصى طاقاتها بعد ساعتين لتهدم حصونكم واستحكاماتكم وتفتك بحاميتكم.
أن القايد العام يرغب صادقا بدافع من العطف والشفقة فى تجنيب المدينة بأسرها أهوال الاغارة عليها واقتحامها، وأنه يمنح الأمان للحامية الحماية للمدينة، ومن أجل ذلك فهو يؤخر بدء إطلاق النار حتى الساعة السابعة صباحا.
إمضاء الكسندر برتييه.

وحالا فى الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتدا ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير، وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس، وفى وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار، ولا راد لقضا الله ولا دافع، وفى الحال أمر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ودار السيف فى المحاربين* واشتد بحر الحرب وهاج، وحصل النهب فيها تلك الليلة، وفى يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة سارى عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان وأمرهم برجوعهم إلى بلدهم مكرمين، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة مع تمكينه ومزيد اتقانه وتحصينه.

وفى هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف.

وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون وأخذوا ذخاير كثيرة وأموالا غزيرة، وأخذوا المراكب التى فى المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع، فاستقيموا عباد الله

* لم يعلم الجبرتى ولم يفهم الشيخ المهدى الذى حرّر ذلك البلاغ الغرض من العبارة التى روى فيها المنشور قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق، وإلا لو علم الكاتب أو الناقل كيف كان ذلك أو على أية حالة، ولأى سبب قتلوا، لما تركها تمرُّ دون أن يعلق عليها بكلمة استهجان واستنكار؛ ويسأل كيف يتفق ذلك العمل الوحشى مع وصفه بونابرت ومقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته!!

وحكاية هذه المسألة أن بونابرت لما فتح يافا أباح لجنده تلك المدينة مدة يومين كاملين يفعلون بها وبأهلها ما يشاؤون، وما أدرى لماذا فعل ذلك، وهو يريد استجلاب الخواطر واكتساب ميول أهل الشام من مسلمين ونصارى، ولعله قد غاظه ما فعل حاكمها برسوله، أو لعله خسر فى الواقعة بعضا من جند جيشه، وهو حريص عليه لقلة عدده، أو لعله أراد أن يعوض على الجنود ما قاسوه من المشقة فى قطع فيافى الصحراء والاحتراق بشواظها، لكيلا يدب دبيب التذمر والشكوى من جرّاء ما يلاقونه من النصب والعناء. ولقد فعل جنده فى تلك البلدة البائسة من الشرور والفضايح ما تقشعر له الأبدان حتى أن بونابرت نفسه كتب فى تقريره الذى بعث به لحكومة الديركتوار: «إنه لم تتصور له فظائع الحرب مثلما ظهرت له فى يافا»!

فلما رأى بونابرت الشرور التى تجرى فى البلدة وخزه ضميره وأرسل ضابطين من ضباطه لمنع الجنود عما يفعلون فوجدوا أن طايفة كبيرة من جند الجزار ومن غيرهم قد تحصنوا فى بعض المنازل والخانات وصاروا يدافعون عن أنفسهم دفاع المستميت

فطلب إليهم أولئك الضباط الفرنسيون أن يسلموا فأبوا إلا أن يؤمنوا على حياتهم، فأمنوهم فسلموا سلاحهم وقبض عليهم كأسرى. وهنا اختلفت الروايات في عدد أوليك الاسرى، ففي رواية انهم كانوا أربعة آلاف، وفي رواية أخرى انهم كانوا الفين فقط، والرواية الأولى أقرب إلى الصحيح بدليل ذكر هذا العدد في بلاغ بونابرت للمصريين.

وإلى القارىء حكاية ما جرى نقلا عن مذكرات بوريين: قال:

«كنت أتمشى مع الجنرال بونابرته أمام خيمته وإذ به قد أبصر ذلك الجمع المحتشد من الاسرى يسوقه الجند فقبل أن يقع نظره على الضابطين اللذين بعث بهما من أركان حربه التفت إليّ بصوت يتهدج من الحزن قايلا: «ماذا يريدون مني أن أفعل بهولا الرجال: هل عندي من الزاد ما يكفيهم؟ ألديّ من السفن ما يلزم لنقلهم إلى مصر أول إلى فرنسا؟ لماذا أوقعوني في هذا المشكل» وبعد أن أصاخ بونابرته سمعا لما قاله الضابطان وهما بوهارنيه وكروازيه وبخهما توبيخاً شديداً على سلوكهما، ولكن لا ينفع اللوم إذ الواقع أنه أصبح أمامنا أربعة آلاف أسير ويجب البت في امرهم. ودافع الضابطان عن أنفسهما بأنه أمرهما أن يوقفا تيار القتال، فكان جواب بونابرت «إنما أردت أن تمنعوا التعدي على النسوة والأطفال والعجزة المستسلمين من الأهالي، ولكن لم أرد بذلك الجنود المسلحة فلقد كان الأولى بكما أن تقتلاهم بدلا من أن تأتياني بهذا القدر من الأسرى المنكودي الحظ! فماذا تريدون أن أصنع بهم؟».

قال كتاب الفرنساويين انه عقد مجلس حربيّ للبت في أمر أولئك الاسرى وانفض على انه لم يقرر رأيا

وارضوا بقضا الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشا والسلام عليكم ورحمة الله.

فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً في المدة القليلة ولكن المقضى كاين.

وفي يوم الجمعة خامس عشرة شق جماعة من أتباع الشرطة في الأسواق والحمامات والقهاوى ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط في حق الفرنسيس ويقولون لهم من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلينتته ويترك الكلام في ذلك فإن ذلك مما يهيج العداوة وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم في ذلك عوقب أو قتل، فلم ينتهوا وربما قبض على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم.

وفي ذلك اليوم كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس لبرج الحمل وهو أول شهر من شهورهم [شهور الجمهورية] فعملوا ليلة السبت شنكا وحراقة سواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة نسا ورجالا وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا سراجا وشموعا وغير ذلك وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور.

وفي يوم السبت المذكور أرسلوا الأعلام والبيارق التي أحضروها من قلعة يافا وعدتها ثلاثة عشر، وفيها من له طلايع فضة كبار إلى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة

العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات وأرسلوا بدلها أعلام يافا وعملوا لها موكبا بطايفة من العسكر يتقدمهم طبلهم وخلفهم الأغا بجماعته وطايفته والمحتسب ومدبرو الديوان وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطايفة الأولى وبعدهم عدة من العسكر على روسهم عمايم بيض يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة ،خلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر وآخرون راكبون على حمير المكارية. فلما وصلوا إلى باب الجامع الأزهر رتبوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة، وبعضها على الباب الآخر من الجهة الأخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ولم يصعدوا منها على المنارات كما صنعوا في أعلام العريش.

وفي يوم الأحد سابع عشره رتبوا أوامر وكتبوها في أوراق مبصومة [مطبوعة] وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الأغراب ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته.

خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها أنكم تمثلون هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص العظيم، وهي المحافظة من تشويش الكُبَة [الطاعون]* وكل من تيقنّ أو ظننتم أو توهمتهم أو شككتم فيه ذلك في محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة، ويجب قفل ذلك المكان ويلزم

حاسماً، وانعقد مجلس آخر ولم يوفق لقرار، وطال الجدال والأخذ والرد، وانتهى الامر بأن تقرر إعدامهم جميعاً رميًا بالرصاص وهم عزل من السلاح!!

وفي دفاع نابليون أو تبريره لذلك العمل قوله: «وإني مستعد أن أعيد ذلك العمل إذا وجدت في نفس الظروف التي كنت فيها، وكذلك كان يفعل الدوق ولنجتون الانكليزي وغيره من القواد الذين يوجدون في مثل ما وجدت فيه من الظروف». ولكن على الرغم من كل دفاع وظروف حربية اضطرارية، فان ذلك العمل إنما ينظر إليه، ويحكم عليه، من الوجهة الإنسانية، وحكمها في ذلك واحد لا يتغير، وهو أن قتل الاسرى العزل من السلاح الذين أمنوا على حياتهم، على لسان ضباط من الجيش، جريمة لا تغتفر وعار لا يمحى! وغريب دفاع بعض الكتاب الفرنساويين الذين كانوا مع الحملة مثل فيجو روسليون Vigo-Rousillon في دعواه «إننا لما كنا في الشرق اتبعنا عادات الشرقيين»! فلو سلمنا جدلا أن الشرقيين كانوا يفعلون بالاسرى مثل ذلك الفعل، فأين الفرق، على دعواكم، بين المدنية والهمجية، يا أبناء الثورة الفرنسية، ورافعي الراية الأخاء والمساواة والحرية؟.

* خطابين لأهل مصر بخصوص الطاعون (الكبه) والتبليغ عن الأغراب.



* القلقات ومشايخ الحارات.

شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قايمقام مصر وأقاليمها ويكون ذلك فورا وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها والأطبا إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب إلى قايمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ولم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قايمقام ويجازى مشايخ الحارات بماية كرباج جزا للتقصير، وملزوم أيضًا من أصابه هذا التشويش أو حصل فى بيته لغيره من عيلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله، وكل ريس ملة فى خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

فى خطه أو بمن مات بها إيضاحا فوريا كان عقاب ذلك الريس وقصاصه الموت. والمغسل إن كان رجلا [أو] امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة كان جزاه وقصاصه الموت، وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها فإنها أمور مخفية، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قايمقام، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسنى قايمقام.

يلزم المديرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهون لها، وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام. وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو كالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافر* أو قادم من بلدة أو إقليم أن يعرّف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربع وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أى طايفة أو ضيفًا أو تاجرًا أو زايرًا أو غريمًا مخاصما لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الأربع وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخاينا وموالسا مع المماليك.



* سارى عسكر دوجا.

* سارى عسكر دوجا. حاكم القاهرة يصدر منشور للأهالى بضرورة التبليغ عن أى ضيف يأتى إليهم.

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة فى المرة الأولى، وأما فى المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكايل والسلام.

* مصطفى بك كتخدا الباشا وأمير الحاج يقوم بأعمال السلب والنهب.

وفيه اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج .وهو أنه لما ارتحل مع سارى عسكر وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار وافترق منهم عند بلبيس وتقدم هو إلى الصالحية، ثم إنهم انتقلوا إلى العرين فحضر جماعة من العساكر المسافر فاحتاجوا إلى الجمال فأخذوا جمالهم.

فلما وصل سارى عسكر إلى وطنه أرسل يستدعيهم إلى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب فلم يمكنهم اللحاق به فأقاموا بالعرين (بالعين المهملة) عدة أيام، وأهمل أمرهم سارى عسكر، ثم إن الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين خافوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا إلى القرين* (بالقاف) وحصل للدواخلى توعك وتشويش ، فحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك، وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية إلى كفور نجم وأقاموا هناك أياماً.

(*) القرين: إحدى قرى مركز أبو حماد ـ شرقية.

واتفق أن الصاوى أرسل إلى داره مكتوباً وذكر فى ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لايقة ،فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر وقرؤه وبحثوا عن الأمور الغير اللايقة فأوّلها

بعض المشايخ أنه قصّر فى حقهم والاعتنا بشأنهم، فسكتوا وأخذوا فى التفحص فظهر لهم خيانته ومخامرته عليهم، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة وأكرمهم وخلع عليهم وانتقل بصحبتهم إلى منية غمر [ميت غمر] ودقدوس* وبلاد الوقف وجعل يقبض منهم الأموال، وحين كانوا على البحر مر بهم مواكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم ما معهم قهرا وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ما وقع لهم معه، فأثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانه وأرسلوا هجانا بإعلام سارى عسكرهم بذلك، فرجع إليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ويرسلوا إلى داره جماعة ويقبضون عليه ويختمون على داره ويحبسون جماعته*.

وفى يوم الأحد رابع عشرينه عينوا عليه عسكرا وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلا فقبضوا على كتخدايه الذى كان ناظرا على الكسوة وعلى ابن أخيه ومن معهم وأودعوهم السجن بالجيزة، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقايمة وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة. فوجدوا غالب أمتعة الباشا ويرقه وملابسه وعبى الخيل والسروج وغيرها شيًا كثيرا، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضًا فانقبض خواطر الناس لذلك، فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس وكلمتهما عندهم مقبولة وأوامرهما مسموعة، ثم إنهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم.

* دقدوس: من قرى مركز ميت غمر - دقهلية.

* كان بونابرت قد أمر مصطفى بك الذى عينه أميرا للحج - باللحاق به فى سوريا مع عدد من مشايخ ديوان القاهرة وذلك سعيا إلى ضرب مثل طيب للسكان المحليين - وبدلا من عبور سيناء يلفق الأمير الذرايع للبقا فى شرق الدلتا وهو مركز القلاقل فى ذلك الوقت - وقام انصار الأمير مصطفى بمهاجمة طابور فرنسى فأمر دوجا بالقبض على أفراد بيته فى القاهرة. وأدى هذا بالتالى إلى أن دوجا لم يوافق على رحيل قافلة الحج المصرى برا وأعلن انها سترسل بحرا .

* حضور عمر مكرم إلى دمياط من يافا بعد سقوطها فى يد الفرنساوية.

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف حضر* إلى دمياط وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين مثل عثمان أفندى العباسي وحسن أفندى كاتب الشهر ومحمد أفندى ثانى قلفة وباش جاجرت والشيخ قاسم المصلى وغيرهم، وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد لم يتعرضوا للمصريين وطلبهم إليه وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر وألبسهم ملابس وأنزلهم فى مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر.

وفى يوم الاثنين نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون إلى بيت الوكيل ويأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك يستاهل الذى يجرى عليه، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين.

* الحج عن طريق البحر فقط من السويس.

وفى يوم الثلاثا نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج* فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك.

* محاولة مصطفى بك كتخدا الباشا التنصل من جرايمه.

وفيه حضر إمام كتخدا* الباشا ومعه مكتوب فيه الثنا على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنايهم بعملهم موكب الكسوة والدعا لهم وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج، وفى آخر المكتوب:

وإن بلغكم من المنافقين عنا شى فهو كذب ونميمة فلا تصدقوه، فقرى كتابه بالديوان، فلما فهمه الفرنسيس كذبوه ولم يصغوا إليه، وقالوا إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار، ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه:

إن كان صادقًا فى مقالته فليذهب إلى جهة سارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذباً فى مقالته، وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه.

وفيه كتبوا أوراقا ونادوا بها فى الشوارع وهى:

يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه، وأن أهل مصر علما ووجاقات ورعايا لم يخالطوه فى هذا الأمر ولم ينسب لهم شى، فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم سو، ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة فى البحر والمراكب حاضرة والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون، يكون فى علمكم أن تكونوا مطمنين واتركوا كلام الحشاشين.

وفى يوم السبت غايته حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا القاضى فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا.

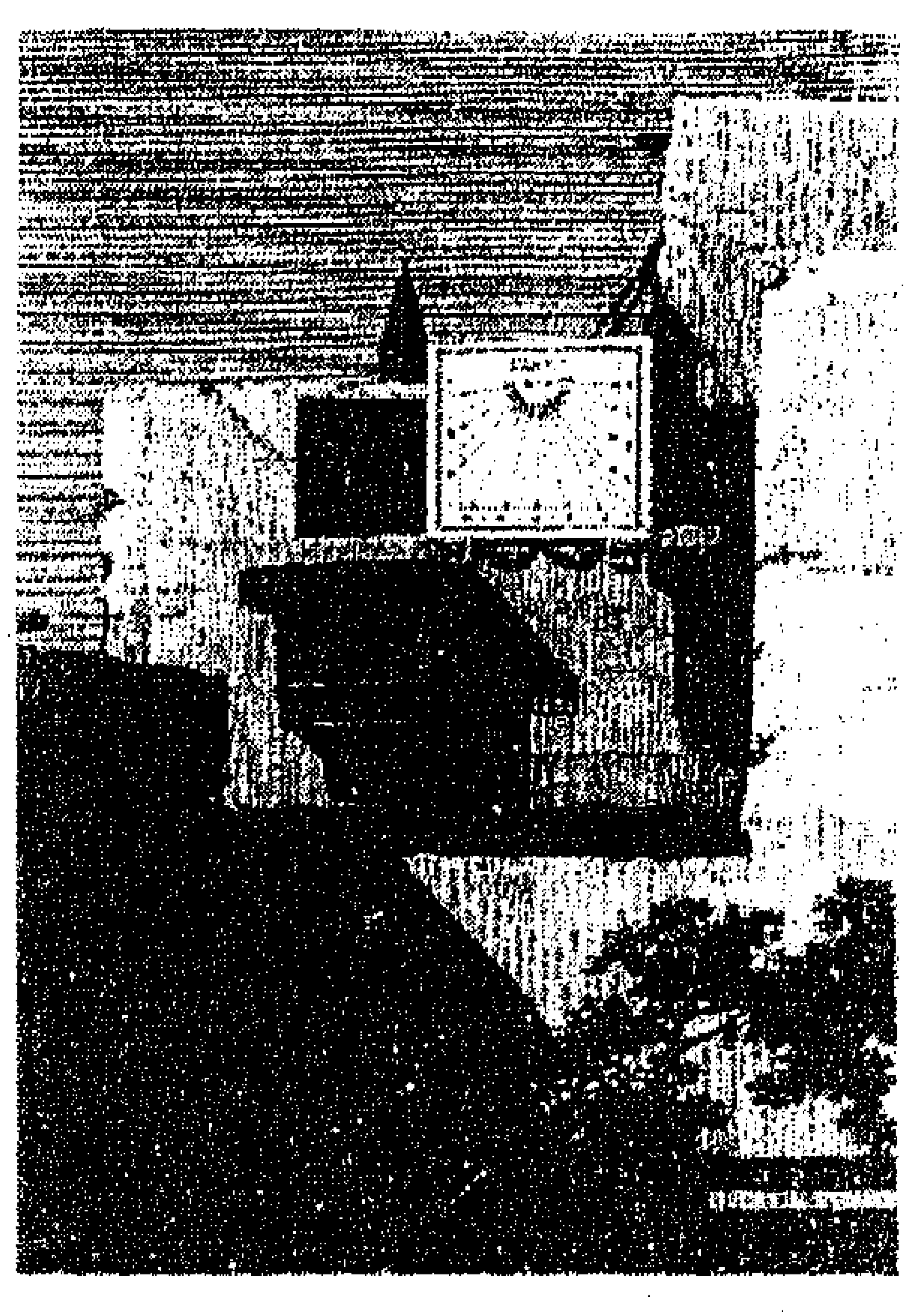
وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التى منها أن الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة وعليها أخشاب مسمرة من بَرّ مصر بالقرب من قصر العينى إلى

الروضة قريبا من موضع طاحون الهوا، تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم إلى البر الآخر، وعملوا كذلك جسراً عظيما من الروضة إلى الجيزة.

ومنها أن توت* الفلكى رسم فى فُسْحة دارهم العليا ببيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدايرة لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة، ووضع لها بدل الشاخص دايرة مثقوبة بثُقَب عديدة فى أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ينزل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة، ويعرف منه الباقى للزوال ومدارات البروج شهراً شهراً وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ، ورسم أيضًا مزولة بالحايط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ولكن للساعات قبل الزوال وبعده، خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر وفضل دايرة الغروب وقوس الشفق والفجر وسمْت القبلة وتقسيم الدَرَج وأمثال ذلك، لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون إلى ذلك فلم يعاينوه، ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر منزلة بخطوط عديدة فى قاعدة عمود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنينة وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة، وهى متقنة الرسم والصناعةوحولها معاريفها واسم واضعها بالخط السلس [الثلث] العربى المجود حفراً فى النحاس، وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم وغير ذلك.

* توت يرسم خطوط البسيطة (الأرض).

* المزولة فى فناء بيت حسن كاشف.



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

ومنها أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على أتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذى كان ناظراً على الكسوة فقيدوا فى النظر على مباشرة إتمامها صاحبنا السيد إسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب أحد العدول(*) بالمحكمة فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك وأظهروا أيضًا الاهتمام بتحصيل مال الصرة وشرعوا فى تحرير دفتر إرسالية خاصة.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة ١٢١٣

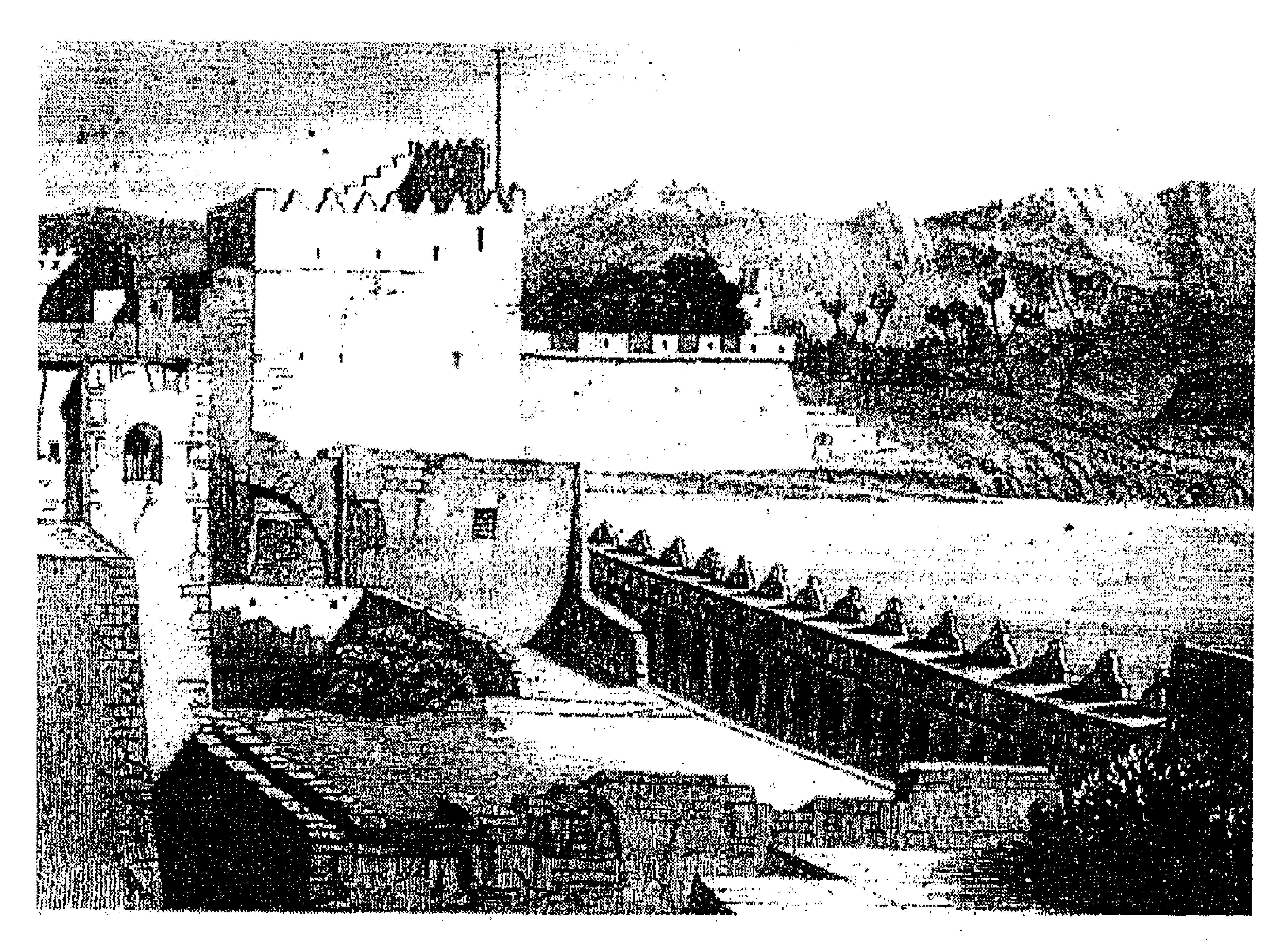
فى سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا * وضربوا عليها وهدموا جانبًا من سورها وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق فكونوا مطمينين وبعد سبعة أيام نحضر عندكم والسلام.

وفيه حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقوّلوا بأنهم عشرون ألفًا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طايفة من خلايا وقرى فاس [بالمغرب] مثل الفلاحين فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضا أشغالهم.

فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا

* العدول هى وظيفة دينية تعنى القيام بأذن القاضى بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم عند التنازع. وفى العصر العثمانى لم تكن أعمال العدول قاصرة على الوظيفة التقليدية لهم بل وجدت لهم أعمال مختلفة تماما مثل توثيق العقود سواء الزواج أو الشراء وكافة المعاملات.
كما خضعت أعمال العدول للمراقبة الشديدة من جانب القضاة حفاظا على فقرا المسلمين من التدليس والغش الذى قد يقع عليهم من جانب بعض ضعاف النفوس من العدول، ويتم عزل مثل هؤلاء على الفور. وقد تمتع العدول بسلطة تحقيق واسعة فى القضايا الجنائية واستجواب شهود الحادث والكشف على المجنى عليهم.

* حصار عكا دون فائدة.



* قلعة عكا.

وقصدهم إثارة فتنة، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم، فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذى نقل عنهم، فقالوا إنما جينا بقصد الحج لا لغيره، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال إنا لم نأت إلا بقصد الحج، فقيل له ولأى شى تشترون الأسلحة والخيول؟ فقال نعم لازم لنا ذلك ضرورة، فقيل له إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج، فقال هذا كلام لا أصل له، فقيل له إن الناقل لذلك رجل منكم، فقال إن هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه وحمله الحقد على ذلك، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا

سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح، فأجابهم إلى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية.

فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم، فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا فى ثانى يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر.

وفى يوم الثلاثا عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة فإن مصطفى بك كتخدا الباشا ذهب إليهم والتجا لهم فعينوا عليهم تلك العساكر.

وفى يوم الأربعا فرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصرانى الآرمنى الذى كان ريس مركب مراد بك الحربية التى أنشأها بالجيزة وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية.

وفيه حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان وكان عاصيا فأعطوه الأمان وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط للعسكر بالشام.

وفى يوم السبت حادى عشرينه حضر «مجلون» من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنايم من بهايم وخلافها.

وفيه عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح* بسبب محمد بك الألفى.

(*) اطفيح: إحدى قرى مركز الصف محافظة الجيزة.

وفيه حضر الذين كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل، وأما مصطفى بك فلم تعلم عنه حقيقة حال، قيل: إنه ذهب إلى الشام.

وفى خامس عشرينه. وصلت مراسلة من المذكور خطابا للمشايخ مضمونها أنهم يعرفون [يخبرون] أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى سارى عسكرهم بالشام ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدايه ويتحفظون على الأمتعة التى أخذوها، فإنها من متعلقات الدولة، فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى سارى عسكر ويأتينا منه خطاب فى شأنه فانه من الجايز أنه يكذب فى قوله.

وفيه ثبت أن محمد بك الألفى مر من خلف الجبل وذهب إلى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى وقدم له العربان التقادم والكلف، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر.

وفى سابع عشرينه خص الفرنساوية طومارا قرى بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة وكان

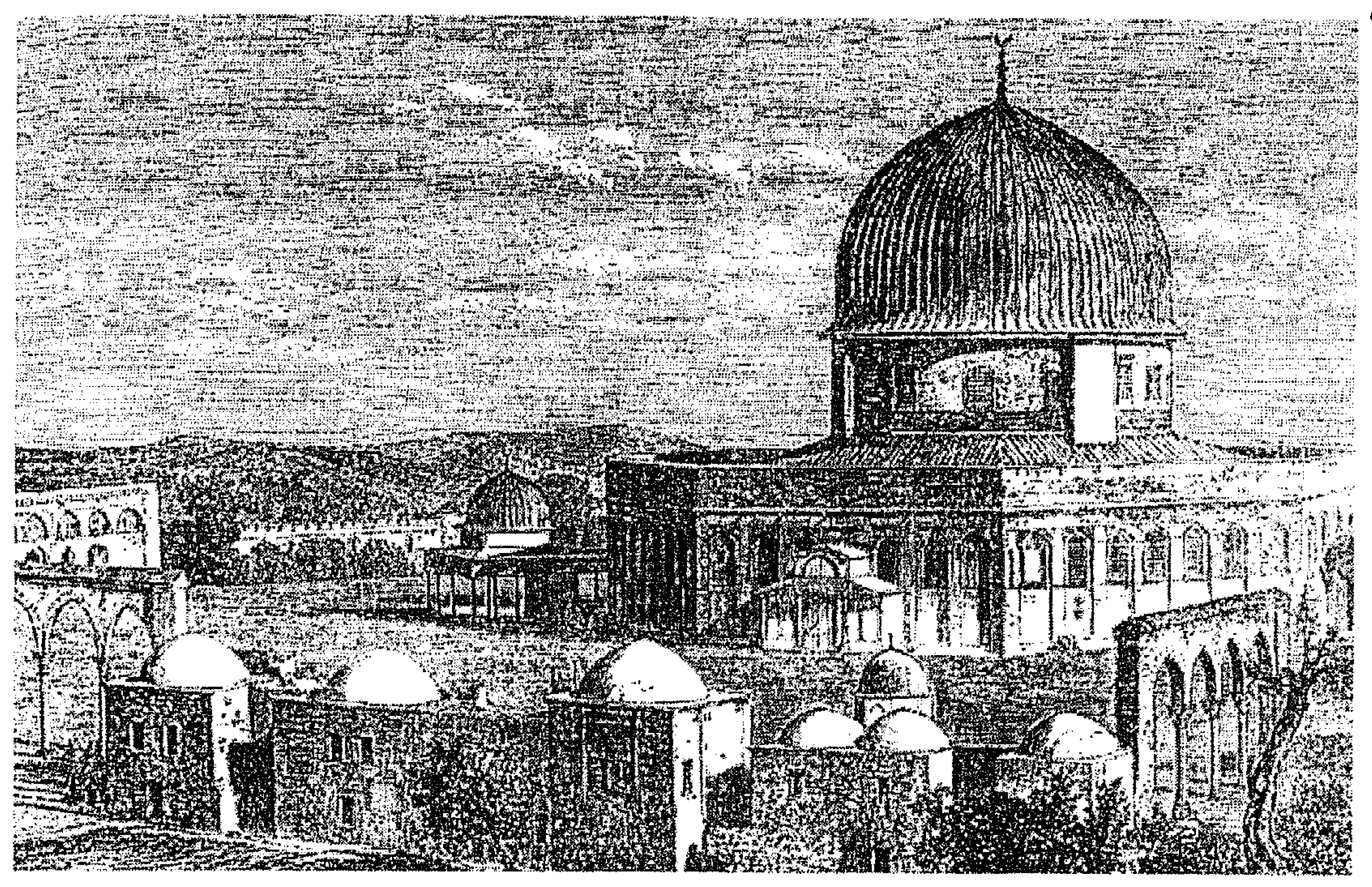
الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك، وصورتها .

* بيان الديوان بشأن حصار عكا.

من محفل الديوان الكبير بمصر:

بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلاعلى الظالمين نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة سارى عسكر الكبير خطابا منه إلى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه يخبر فيه أننا أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال والثانية فى ثمانية وعشرين منه، أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل وذخاير إلى عساكرنا المحافظين فى غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة، وأما من قبل العرضى فإن الجلل عندنا كثيرة والذخاير والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة، حتى إنها زادت عندنا الجلل بكثرة، جمعناها بممارمته الأعدا فكأن أعدانا أعانونا، ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما وسرنا به حتى قربناه إلى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدما وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدما، بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا إليكم، وقبل إتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين، فإننا تهيأنا إلى دخولها، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب، وأما بقية إقليم الشام وما يلى عكا من البلاد فإنهم لنا طيعون وبالاعتنا ومزيد المحبة راغبون، يأتوننا بكل خير عظيم ويحضرون لنا أفواجًا أفواجا





* القدس: مسجد عمر.

بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم، وهذا من فضل الله علينا، ومن شدة بغضهم للجزار باشا،

ونخبركم أيضًا أن الجنرال چونوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة، فقابلهم بثلثماية عسكرى مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستماية نفس ما بين مقتول ومجروح ،وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب أن ثلثماية نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة.



* الجنرال چونوت.

هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير إلى وكيله بدمياط وأرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا الوكيل بمصر المحروسة ،يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا

أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ويتركوا الكذب والخراف، فإن كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين، فإن حضرة سارى عسكر دوجا* الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف.

* يذكره الجبرتى احياناً باسم «دوكا».

والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلانى قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا، فلم يكن الآن فى بلاد الصعيد شي يخالف المراد، وسلم من الفتن والعناد فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف وامسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه، فإن العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب، هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال، ويشتغلون بإصلاح الأحوال، ويرجعون إلى الكبير المتعال، والسلام.



* منشور من الديوان بعدم مخالطة النساء المشهورات (المومسات) خشية العدوى بالطاعون).

وفى هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر ونصها:

من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة إننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى، وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النسا المشهورات لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يوماً من تاريخه أعلاه لجميع الناس إن كان

فرنساويا أومسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان، كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النسا المشهورات إن كان فى بيوت العسكر أو كل من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت، كذلك من قبل النسا والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضا يقاصصن بالموت.

ومن حوادث هذا الشهر أنه حضر إلى القلزم مركبان إنكليزيان* وقيل أربعةوقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر، وأخبروا بذلك وأنهم صادفوا بعض داوات* تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول إلى السويس.

* المراكب الحربية الانجليزية تضرب السويس بالمدفعية

* مراكب تجارية تعمل فى البحر الأحمر. انظر الصورة ص ١٦٧.

ومنها أن طايفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا فى نواحى تلك البلاد حتى وصلوا إلى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات.

* أحد سفن الاسطول الانجليزى.

ومنها أن الكيلانى المذكور آنفا توفى إلى رحمة الله تعالى وتفرقت طايفته فى البلاد حتى إنه حضر منهم جملة إلى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم، وعند الحروب يتخلون عنهم، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم.

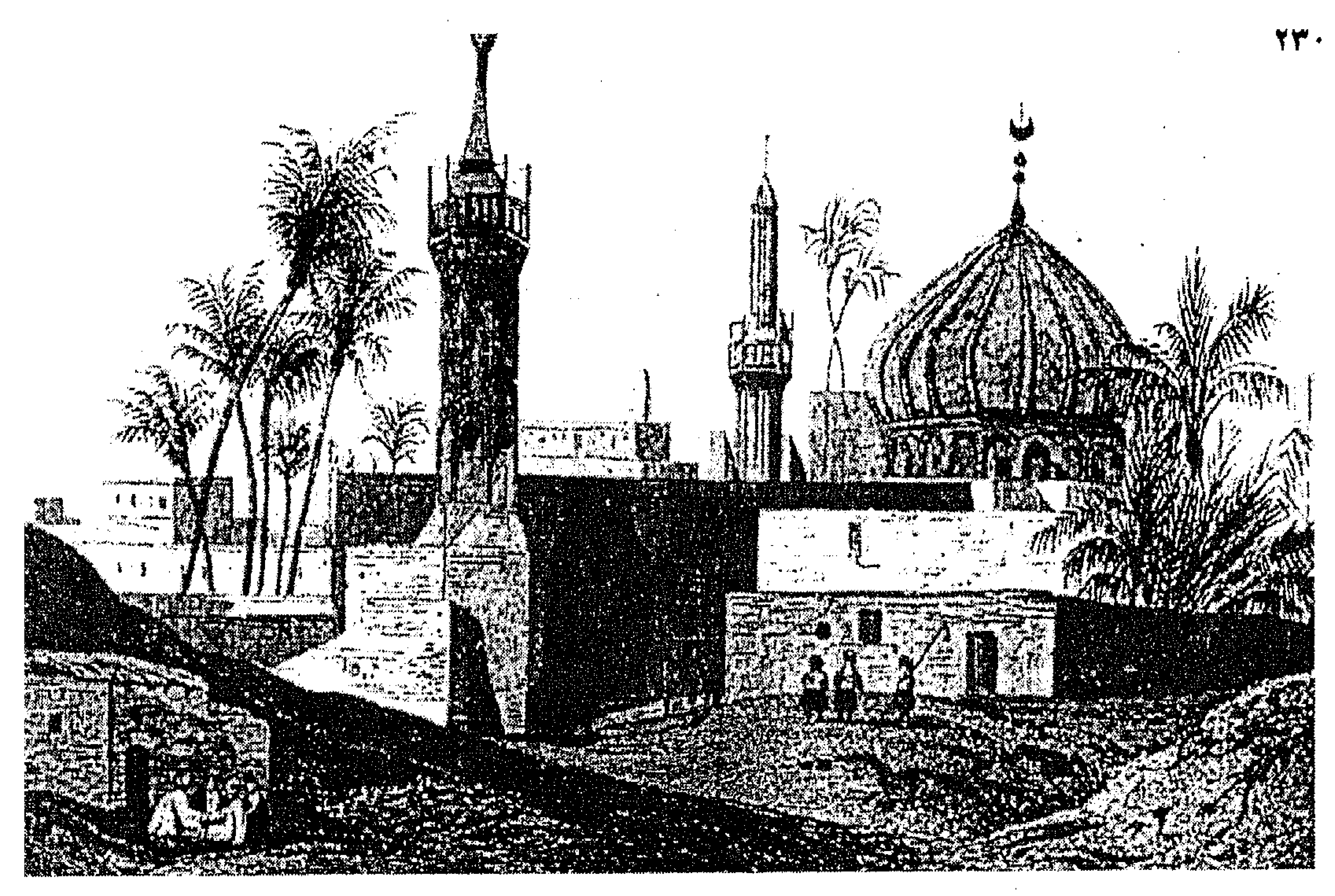
ومنها أنه حضر إلى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقاتلوهم، فملك عليهم الفرنسيس تَلا عاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم، ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم وأخذوا شيا كثيرا وأموالا عظيمة وودايع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم، وكذلك فعلوا بالميمون [بلدة من بلاد الصعيد].

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثا سنة ١٢١٣

فى ثانية خرج* نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا إلى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم، بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية* ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم إلى الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا إلى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق، والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق.

* خروج الفرنساوية لمحاربة الألفى.

* شيخ يدعى انه المهدى ويحارب الفرنساوية فى بنى عدى بالبحيرة.



* مدينة رشيد وقت الحملة الفرنسية.

وفيه أشيع أن الألفي حضر إلى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل إلى الجزيرة.

وفي سابعه حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قايمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا، وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند العامة واسمه كفرللي* مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال وإقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها.

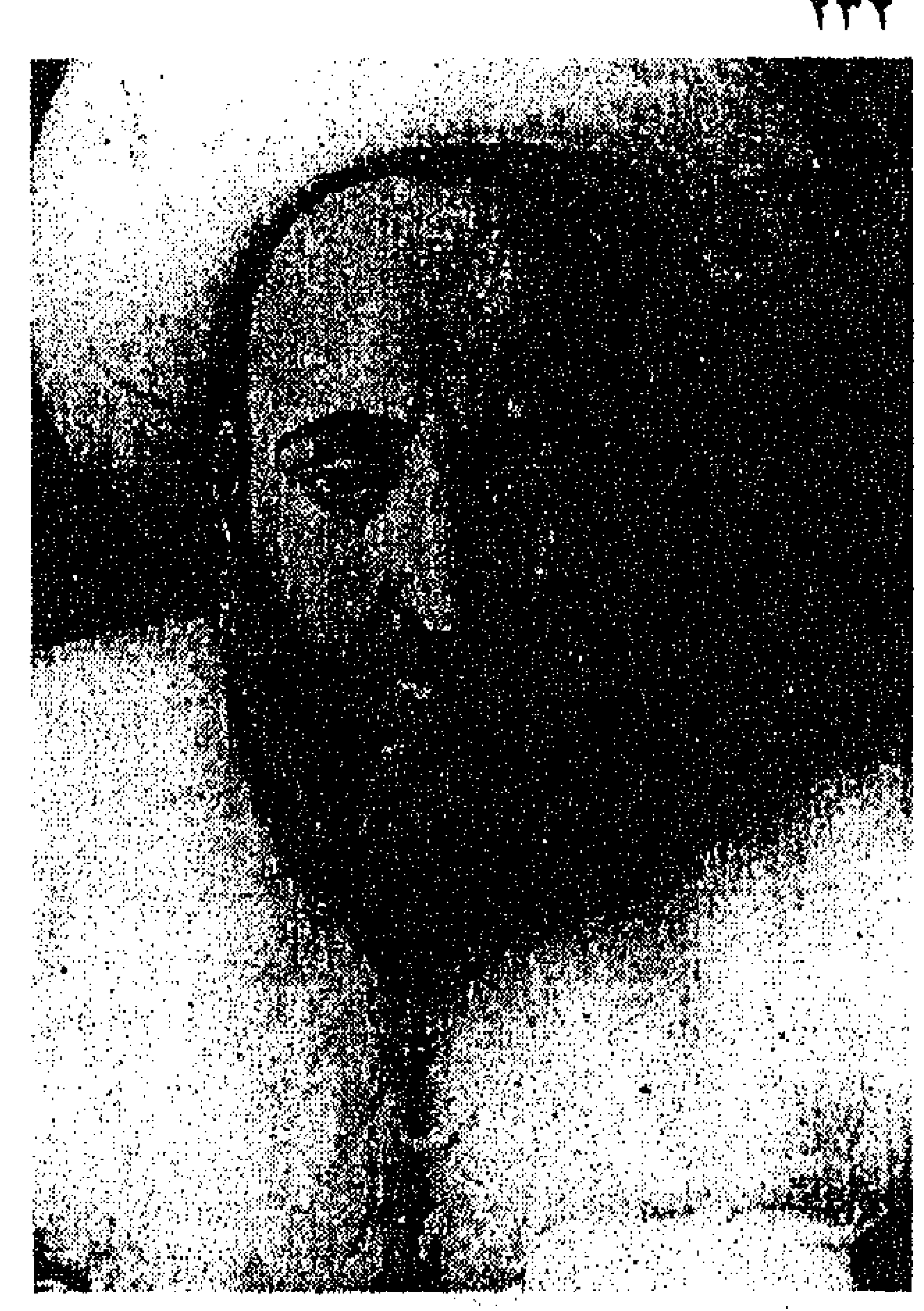
* وفاة كفرللي في عكا.

وفي الأربعا كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاما


* مملوك فى زيه المنزلى.

بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة فى الكرنتيلة والناس فى شغل عن ذلك.

ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية فقال له من أين لك هذا اللباس؟ فقال من عند جارنا فلان العسكرى، فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها، فشتمه ولطمه على وجهه، فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده، ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر، فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق إلى سطح آخر ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من كلام، ومر إلى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان، ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد، إلى أن وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها والفرنسيس تجمع منهم طايفة وظنوا ظنونًا أخر وبادروا إلى القلاع وحضرت منهم طايفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا إلى ذلك





* الشيخ محمد المهدى الحفناوى وختمه وتوقيعه.

الدرب فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببير فى تلك الدار فدخلوا الدار وأخرجوه من البير، وأخذوه وسكنت الفتنة وسألوه عن أمره وما السبب فى فعله ذلك، فقال إنه يوم الأضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس، وسأله عن السلاح فقال إنه سلاحى فحبسوه لينظروا فى أمره وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان، ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من عند المهدى وحبسوه، وحضر الأغا وبرطلمين إلى الخان بعد العشا وطلبوا البواب والخانجى والجيران وصعدوا إلى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيا وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضًا، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم واستمر الجماعة فى الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة.

وفى ذلك اليوم أيضًا مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبد الله، فأمره بالنزول إجلالا للمشهد على العادة فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس وشكا إليهم السيد عبد الله المذكور فاحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه، وادعى النصرانى أنه كان بعيدًا عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور فى فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت فى جيبه واستمر الترجمان محبوسًا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف درهم.

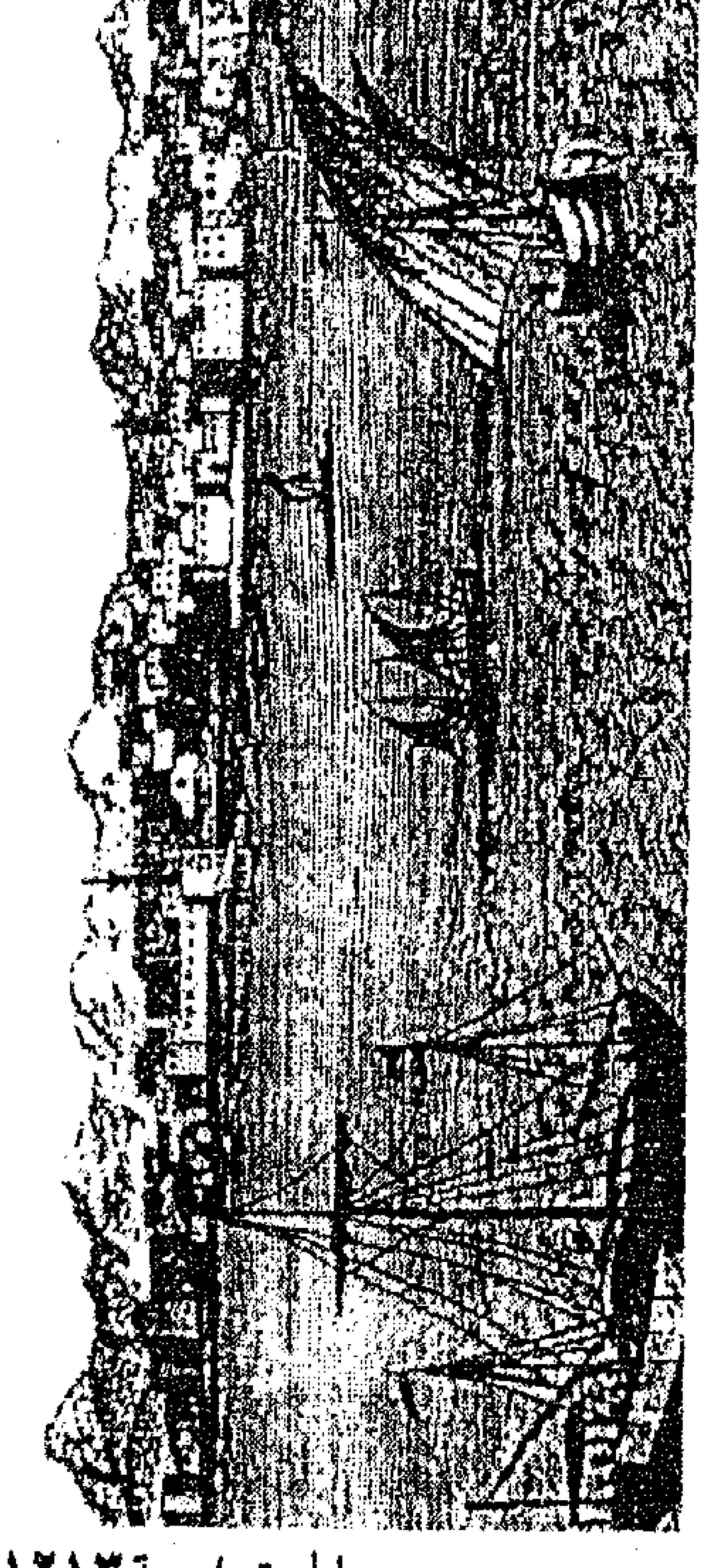
وفيه أرسل فرنسيس مصر إلى ريس الشام [بونابرت] ميرة على جمال العرب نحو الثمانماية جمل وذهب صحبتها برطلمين وطايفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين.

وفيه حضر إلى السويس تسعة داوات بها بُن وبهار وبضايع تجارية وفيها لشريف مكة نحو خمسماية فرق بن وكانت الإنكليز منعتهم الحضور، فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أيامًا مسافة التنقيل والشحنة، وأخذوا منهم عشورًا وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوما، وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق وهى خطاب* لبوسليك. وصورته:



* تاجر بن يمنى وارد المخا .

* خطاب من الشريف غالب إلى بولسليك لتسهيل تجارته فى مصر.



من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة إلى عين أعيانه وعمدة إخوانه لبوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية، وبعد : فإنه وصل إلينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجتنا [سفينتنا]، وأنك أرسلت هجانا برفع العشور عن البن وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد عن تموه غياهب الشك فى كل المراد.

ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم من الوعث وزوال المناكرة، وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة فى هذا الأوان، ولا أمكن لنا

* ترجمة كتاب محرر من شريف مكة إلي المواطن بوسيلج مدير عام الإدارة المالية بتاريخ ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٢١٣ هجرية. (١٥ بريريال سنة ٧ للجمهورية).

يا أمير أعز الأمراء وأشرفهم، يا قدوة معاصرية. يا ذا الأعمال الصالحة وصديقنا المخلص الحقيقى وزير المالية بوسيليج الذى بحكمته يذلل جميع الصعوبات التي تواجه إدارته.

بعد التسبيح لله عز وجل والسؤال عن صحتكم نفيدكم بأن خطابكم وصلنا وعلمنا مضمونه وقد محصناه جيدا وفهمنا الأسباب التى أبديتموها لنا بشأن قافلة [المحمل] مكة المكرمة ونحمد الله على ذلك.

لقد أفهمتمونا فى خطابكم أن رعايانا قد أختطلوا بأعدائكم ولكن ليكن فى علمكم أنه ما من أحد ممن يأتمرون بسلطتنا قد تجاسر أبدا على إقامة أية علاقة مع هؤلاء الذين تذكرونهم فى رسالتكم ويجوز أن بعض عرب الحدود هم الذين حاربوا ضدكم.

ونفيدكم أيضا أن سفننا قد ألقت مراسيها فى السويس ويمكن استخدامها في شحن الكسوة الشريفة والبساط المخصص لبيت الله فى مكة.

ويمكنكم تسليم هذه الوديعة الثم[ينة] لوكيلنا محمد بن الحسين الذى نثق به كل الثقة، وهو الذى سلمكم رسالتنا هذه، وسوف يحضرها إلى هنا بإذن الله.

أعرفكم أيضا بأن لدينا سفينة بثلاثة صوارى وأخرى بها اثنان الأولى اسمها فتح الله البارى، ومزودة بـ ٣٢ مدفعا والثانية اسمها فيض الله وبها ١٤ مدفعا.

الشريف السيد محمد عقيل وهو أحد أبناء عمومتنا يمتلك أيضا مركبين

خروج هذا المقدار إلا بمشقة علاج مع سلب اطمينان التجار لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الارتياب والأعذار بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان، وأما نحن فقد جاتنا منكم قبل هذا، المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمانينة من قبلكم لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم. والمطلوب فى حال وصول كتابنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ويصلوا بالأبنان إلى مصر ويبيع التجار ويزول وقف الأسباب والباس، وتهتموا فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ليكون ذلك سببا فى كثرة وفود الأبنان وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر إلى السويس كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة واستخبار من أعيان التجار.

وعند مشاهدة الإكرام والاحتفال بهم فى كل حال يرسلون إليك نفايس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ويزول الريب عن قلوبهم، ونرجوا الله بهمتنا تسليك الطرقات وتنجيح المطلب وتحصيل الميراث بأحسن مما كانت من الأمان وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجازية.

وكذلك لنا بن فى المراكب فمأمولنا منكم إلقا النظر على خدامنا وبذلك الهمة على ما هو من طرفنا، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام فى كل مرام، ولا يخفاك أنه ورد

علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتأملناه وصار إليه الجواب توصله إليه وما كان منها معولا فى إرساله علينا إلى نواحى الهند وابن حيدر وإمام مسكت [مسقط] ووكيلكم الذى فى المخا، فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده إلى أربابها، وإن شا الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام.

تحريراً فى ثمانية عشر شهر ذى القعدة سنة ألف ومايتين وثلاثة عشر.

وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر فى ستة عشر يوما خلت من شهر ذى الحجة فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ثمانية وعشرين يوماً.

[وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشاره الخاص والعام بدخول إحدى عشر داوا إلى بندر السويس بسلام، فحصل بهذا الخبر الخزى للكذابين وبطل كلام المجرمين فالزموا الأدب مع الله وأرضوا بأحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله.

طبع فى مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة*].

وانقضى هذا الشهر ولما يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات لا يوثق بها ولا يصح بالتواتر منها إلا تكرار هجوم الفرنسيس على حصون عكا، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيا إلا فعلوه ولم ينالوا غرضا منها.

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث التى لم يتفق مثلها ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر، ولم

أحداهما بثلاثة صوارى، ومركب عبيد لهاصاريان.
ولما كنا نرسلها عادة فى كل سنة إلى شواطىء البلاد الهندية محملة ببضائع من الحجاز لمبادلتها ببضائع هندية، نطلب منكم ٤ جوازات سفر حتى لا تضايقها السفن الفرنسية التى قد تلتقى بها فى مياه البحار الهندية أو الحجازية، لا فى ذهابها ولا فى إيابها.
عندما تصلنا هذه الجوازات سنرسل فورا بأذن الله هذا الأسطول محملا بأندر منتجات الحجاز إلى شواطىء وموانىء الهند التى نمتلكها وستظل هذه الجوازات فى أيدى قباطنة مراكبنا.
أرسلوها لنا فى أسرع وقت ممكن لأن المراكب مستعدة للإيجار. هذا كل ما عندنا لنقوله لكم ونرجوا ألا تنقطع مراسلاتنا المتبادلة.
صلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
انظر. كوربيه دى ليچيبت العدد ٣٥.

* الفقرة بين حاصرتين [ ] إضافة غير موجود فى مخطوطات الجبرتى. راجع د. محمد زكريا عنانى: مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد ونابليون مجلة الداره العدد الرابع، رمضان ١٤١٦، ص ١٢، ١٣.

يرسلوا الكسوة ولا الصرة، وهذا لم يقع نظيره فى هذه القرون ولا فى دولة بنى عثمان، والأمر لله وحده.

وأما من مات فى هذه السنة ومن الأعيان ومن له ذكر فى الناس

٥٩٢/ أحمد بن موسى البيلسى العدوى المالكى.

* [مات] الإمام العمدة الفقيه العلامة المحقق الفهامة المتقن المتفنن المتبحر عين أعيان الفضلا الأزهرية الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد البيلى العدوى المالكى.

ولد ببني عدى سنة إحدى وأربعين وماية وألف وبها نشا فقرا القرآن وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ عليا الصعيدى ملازمة كلية حتى تمهر فى العلوم وبهر فضله فى الخصوص والعموم.



وكان له قريحة جيدة وحافظة غريبة يملى فى تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشى مع حسن سبك، والطلبة يكتبون ذلك بين يديه.

وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقروها حتى صارت مجلدات وانتفع بها الطلبة انتفاعا عاما، ودرس فى حياة شيخه سنينا عدة، واشتهر بالفتوح [الكرامات]، وكان الشيخ الصعيدى يأمر الطلبة بحضوره وملازمته وكان فيه إنصاف زايد وتؤدة ومروة وتوجه إلى الحق.

ولديه أسرار ومعارف وفوايد وتمايم وعلم بتنزيل الأوفاق [الفلك] والوفق المئينى العددى والحرفى وطرايق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك.

ولما توفى الشيخ محمد حسن جلس موضعه للتدريس بإشارة من أهل الباطن.

ولما توفى الشيخ أحدم الدردير ولى مشيخة رواق الصعايدة،

وله مولفات: منها مسايل كل صلاة بطلت على الإمام وغير ذلك، ولم يزل على حالته وإفادته وملازمه دروسه والجماعة، حتى توفى فى هذه السنة ودفن فى تربة المجاورين، رحمة الله تعالى عليه.

٥٩٣/ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى قتل بيد الفرنساوية فى ثورة القاهرة الأولى.

* [ومات] العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى الشافعى الأزهرى قرا على والده وتفقه وأنجب ولم يزل ملازما لدروسه حتى توفى والده فتصدر للتدريس فى محلة واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ولازم مكانه بالأزهر طول النهار يملى ويفيد ويفتى على مذهبه ويأتى إليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضى بينهم ويكتب لهم الفتاوى فى الدعاوى التى يحتاجون فيها إلى المرافعة عند القاضى وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه، وربما أتوه بهدايا ودراهم.

واشتهر ذكره وكان جسيما عظيم اللحية فصيح اللسان.

ولم يزل على حالته حتى أتهم فى فتنة الفرنسيس المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ولم يعلم له قبر.

٥٩٤/ عبد الوهاب الشبراوى الشافعى، قتل بيد الفرنساوية فى ثورة الثاهرةالأولى.

* [ومات] الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوى الشافعى الأزهرى تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوى والحفنى

والبراوى وعطيه الأجهورى وغيرهم وتصدر للإقرا والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسينى ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرا به كتب الحديث كالبخارى ومسلم وكان حسن الإلقا سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلا على شانه.

ولم يزل ملازما على حالته حتى اتهم فى إثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيدا بيد الفرنسيس فى أواخر جمادى الأولى من السنة ولم يعلم له قبر.

٥٩٥/ يوسف المصيلحى الشافعى قتل بيد الفرنساوية.

* ومات الشاب الصالح والنبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحى الشافعى الأزهرى، حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدى والبراوى والشيخ عطية الأجهورى والشيخ أحمد العروسى وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحى وأنجب وأملى دروسا بجامع الكردى بسويقة اللالا، وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح، ولم يزل ملازما على حاله حتى اتهم أيضًا فى حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيدًا بالقلعة.

٥٩٦/ سليمان الجوسقى شيخ طايفة العميان. قتل بيد الفرنساوية.

* [ومات] العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طايفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنوانى، تولى شيخًا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوى وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات فكان يشترى غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ويطالبهم بها كيلا وعينا، ومن عصى عليه أرسل

إليه الجيوش الكثيرة من العميان فلا يجد بدًا من الدفع وإن كانت غلاله معطلة صالحة بما أحب من الثمن، وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون إليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات* من السلع والسكر والزيت وغير ذلك، ويبيعها في سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ويبيع خلاصته فى البطط(*) بحارة اليهو د ويعجن نخالته خبزا لفقرا العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحاذة فى طوافهم آناء الليل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة وتغنيهم بالمدايح والخرافات وقراة القرآن فى البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك، ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت، وفيهم من وجد له الموجود العظيم ولا يجد له معارضًا فى ذلك، واتفق أن الشيخ الحفنى نقم عليه فى شى فأرسل إليه من أحضره موثوقاً مكشوفا الرأس مضروباً بالنعالات على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ بالموسكى، بين ملأ العالم(*) .

ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار إليهم فى المجالس تخشى سطوته وتسمع كلمته، ويقال قال الشيخ كذا وأمر الشيخ بكذا، وصار يلبس الملابس والفراوى ويركب البغال وأتباعه محدقة به، وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات، واشترى السرارى البيض والحبش السود وكان يقرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنّة ولم يزل حتى حمله التفاخر فى زمن الفرنسيس على تولية كِبر [الكبيرة والإثم] إثارة الفتنة التى أصابته وغيره وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر، وكان ابنه معوقا ببيت البكرى

* كانت الضرايب الزراعية يدفع جزء منها عيناً على شكل غلال أو سمن أو سكر وذلك عوضًا عن دفعها نقدًا، ومن هنا سميت بالمعاوضات.

* البُطط: جمع مفرده بَطة: إناء كالقارورة. والتبطيط التجارة فيه.

* ملأ العالم: أى على رءوس الأشهاد.

* الشحاذ والاعمى.



الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله خوفا على ما يعلم مكانه من مال أبيه حتى خلص فى ثانى يوم بشفاعة المشايخ ولم يكن مقصوداً بالذات بل حضر ليعود أباه فحجزه القومة عليهم زيادة فى الاحتياط.

٥٩٧/ إسماعيل البراوى الشافعى قتل بيد الفرنساوية.

* [ومات] الأجل المفوه العمدة الشيخ إسماعيل البراوى بن أحمد البراوى الشافعى الأزهرى، وهو ابن أخى الشيخ عيسى البراوى الشهير الذكر تصدر بعد وفاة والده فى مكانه، وكان قليل البضاعة لأنه تغلب عليه النباهة واللسانة [المجادلة] والسلاطة والتداخل، وذلك هو الذى أوقعه فى حبايل الفرنساوية وقتل مع من قتل شهيدا، ولم يعلم له قبر، غفر الله لنا وله.

٥٩٨/ محمد كريم السكندرى حاكم الاسكندرية الذى قتله الفرنسيس.

* [ومات] الوجيه الأجل الأمثل السيد محمد كريم السكندرى، وكريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء مكسورة وسكون الميم مقتولا بيد الفرنسيس.

وخبره * أنه كان فى أول أمره قبانيا يزن البضايع فى حانوت بالثغر وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن التودد ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى أبناء جنسه حتى أحبه الناس.

وأشتهر ذكره فى ثغر الإسكندرية ورشيد ومصر واتصل بصالح بك حتى كان وكيلا بدار السعادة وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها وضواحيها واسترق أهلها.

وقلد أمرها لعثمان خجا فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور، واتصل بمراد بك بعد صالح أغا فتقرب إليه ووافق

* عن علاقة بونابرت بمحمد كريم يذكر بونابرت انه استعان بمحمد كريم على شرا الخيول اللازمة من عرب البحيرة، وكان من اللازم له عدا شرا الخيول منهم، أن يتودد إليهم لكيلا يعاكسوه ويقطعوا خطوط مواصلاته فى سيره، ولما كان للسيد محمد كريم، بصفته أكبر حاكم فى الاسكندرية، من النفوذ على الأعراب ولحاجتهم دائمًا إلى النقود، لبو الأمر سراعاً فاجتمع منهم فى يوم ٤ يوليو ثلاثون شيخا من شيوخ قبائل الهنادى، واولاد على، وبنى يونس، فى ساحة المعسكر الفرنسى فاحسن نابوليون مقابلتهم وتودد إليهم، وكتبوا

منه الغرض، ورفع شأنه على أقرانه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر ونفذت كلمته وأحكامه، وتصدر لغالب الأمور وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصاً من الإفرنج.

ووقع بينه وبين السيد شهبة الحادثة التي أوجبت له الاختفا بالصهريج وموته فيه، فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الإسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب*.

ولما حضروا إلى مصر وطلعوا إلى قصر مراد بك وجدوا فيه مطالعة بأخبارهم [من محمد كريم] وبالحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم، فاشتد غيظهم عليه فأرسلوا وأحضروه إلى مصر وحبسوه، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار، فلم يمكن إلى أن كانت ليلة الخميس فحضر إليه مجلون وقال له المطلوب منك كذا وكذا من المال وذكر له قدراً يعجز عنه وأجله اثنتى عشرة ساعة. وإن لم يحضر ذلك القدر وإلا يقتل بعد مضيها.

فلما أصبح أرسل إلى المشايخ وإلى السيد أحمد المحروقي فحضر إليه بعضهم فترجاهم وتداخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم اشتروني يامسلمين* وليس بيدهم ما يفتدونه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشي يصيبه، وذلك في مبادى أمرهم.

فلما كان قريب الظهر وقد انقضى الأجل أركبوه حمارا واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة

معه عقداً تعهدوا فيه بأن يجعلوا الطريق من الاسكندرية إلى دمنهور آمناً، وأن يوردوا ثلاثمائة رأس من الخيل، في مقابل مايتين وأربعين جنيهاً ذهباً، وخمسماية هجين في مقابل ماية وعشرين جنيهاً وأن يقدموا ألف جمل مع قادتها لحمل الاثقال، وأن يطلقوا سراح الاسرى الفرنسيين الذين قبضوا عليهم في مناوشاتهم قرب الاسكندرية. وقبضوا مقدماً مبلغ ألف بنتو ذهباً فسرّ نابوليون بهذه النتيجة سروراً كبيراً.

* حكم بالإعدام على سيد محمد كريم لثبوت تهمة التخابر مع المماليك بعد أن حلف يمين الإخلاص للجمهورية، وقد عمل لديهم أيضا بصفة جاسوس وقد صودرت جميع ممتلكاته المنقولة وغير المنقولة لصالح الجمهورية. ونفذ الحكم يوم ٢٠ ظهرا في ميدان القلعة. وقد طاف الجند في شوارع المدينة برأسه محمولة على قصبة عالية تحمل لافتة مكتوبا عليها ما يلي:
كريم ـ شريف الإسكندرية حكم عليه بالإعدام لخيانته يمين الإخلاص الذى أداه للجمهورية الفرنسية ولاستمرار علاقاته مع المماليك الذين كان يعمل معهم بصفة جاسوس.
هذا هو مصير جميع الخونة والحانثين باليمين. انظر كورييه دى ليجيبت العدد رقم (٤).

* محمد كريم يطلب من المشايخ فديته بالمال دون جدوى.

ويقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به [حيّ] الصليبة إلى أن ذهبوا إلى الرميلة وكتفوه وربطوه مشبوحا وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ثم قطعوا راسه ورفعوها على نبوت وطافوا بها بجهات الرميلة، والمنادى يقول هذا جزاء من يخالف الفرنسيس، ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته وانقضى أمره، وذلك يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول.

٥٩٩/ إبراهيم بك الصغير المعروف بالدالى. مات غريقا.

* [ومات] الأمير إبراهيم بك الصغير المعروف بالدالى وهو من مماليك محمد بك أبى الدهب وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه، ثم تقلد الإمارة والصنجقية فى أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وماية وألف.

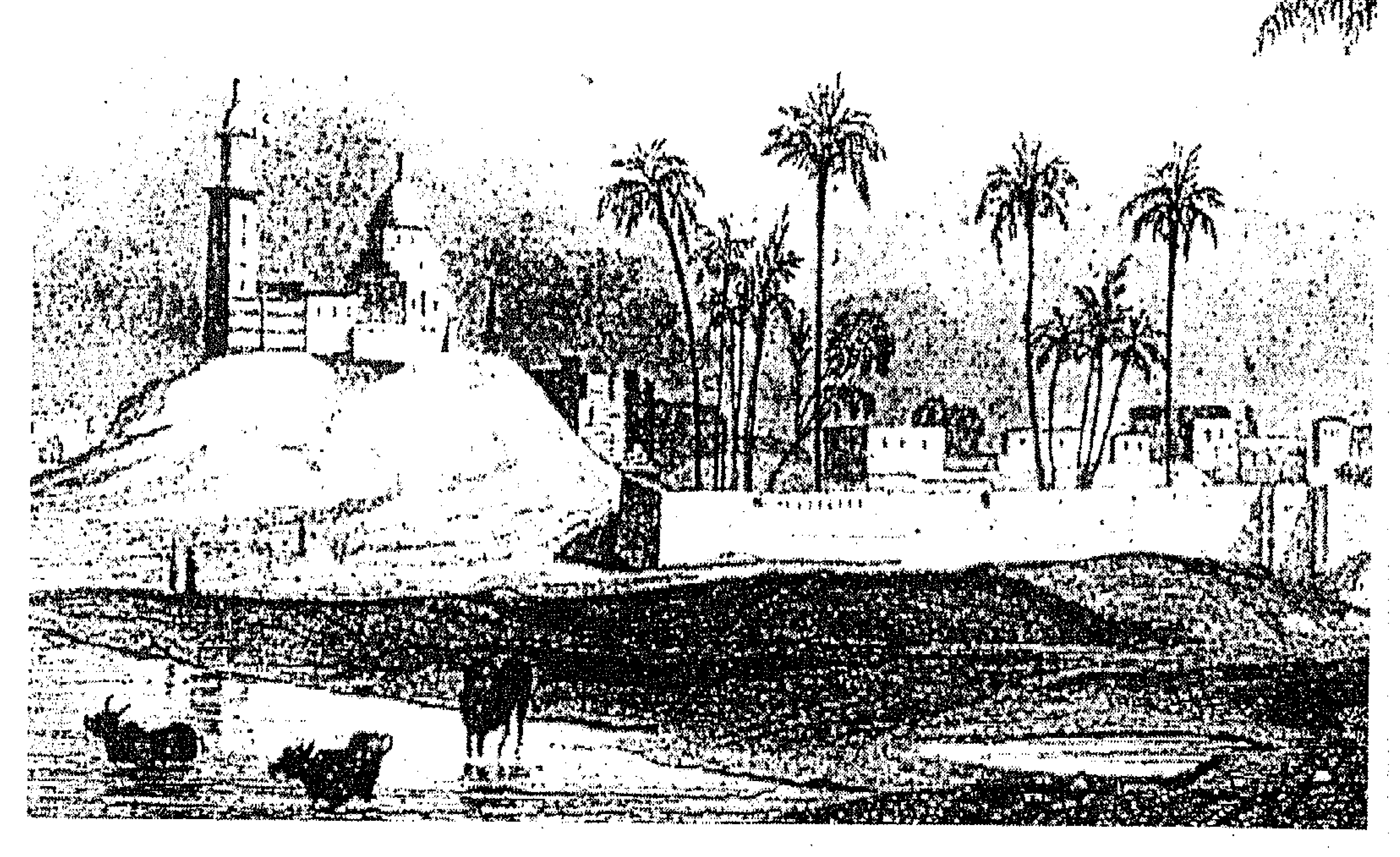
وهو أخو سليمان بك المعروف بالأغا، وعندما كان هو واليا كان أخــوه أغـات مستحفظان وأحكام مصر والشرطة بينهما.

وفى سنة سبع وتسعين تعصب مراد بك وإبراهيم بك على المترجم وأخرجوه منفيا هو وأخوه سليمان بك وأيوب بك الدفتردار، ولما أمروه بالخروج ركب فى طوايفه ومماليكه وعدى إلى بر الجيزة، فركب خلفه على بك أباظه ولاجين بك ولحقوا حملته عند المعادى، فحجزوها وأخذوها وأخذوا هجنه ومتاعه وعدُّوا خلفه فأدركوه عند الأهرام فاحتالوا عليه وردوه إلى قصر العينى، ثم سفروه إلى ناحية السرو ورأس الخليج فأقام بها أياما وكان أخوه سليمان بك بالمنوفية.



* محمد كريم يسلم سيفه للفرنساويه بعد نزولهم إلى الاسكندرية.

فلما أرسلوا بنفيه إلى المحلة ركب بطوايفه وحضر إلى مسجد الخضيرى وحضر إليه أخوه المترجم وركبا معا وذهبا إلى جهة البحيرة، ثم ذهبا إلى طندتا، ثم ذهبا إلى شرقية



* مدينة بلبيس فى وقت الحملة الفرنسية.

بلبيس، ثم توجها من خلف الجبل إلى جهة قبلى، وكان أيوب بك بالمنصورة فلحق بهما أيضاً، وكان بالصعيد عثمان بك الشرقاوى ومصطفى بك فالتفا عليهما وعصى الجميع، وأرسل مراد بك وإبراهيم بك محمد كتخدا أباظه وأحمد أغا شويكار إلى عثمان بك ومصطفى بك يطلبانهما إلى الحضور، فأبيا وقالا لا نرجع إلى مصر إلا بصحبة إخواننا وإلا فنحن معهم أينما كانوا.

ورجع المذكوران بذلك الجواب، فجهزوا لهم تجريدة وسافر بها إبراهيم بك الكبير وضمهم وصاحبهم وحضر بصحبة الجميع إلى مصر فحنق مراد بك ولم يزل حتى خرج مغضبا إلى الجيزة ثم ذهب إلى قبلى وجرى بينهما ما تقدم ذكره من إرسال الرسل ومصالحة مراد بك ورجوعه وإخراج المذكورين ثانيا، فخرجوا إلى ناحية القليوبية،

وخرج مراد بك خلفهم، ثم رجعوهم إلى جهة الأهرام وقبض مراد بك عليهم ونفيهم إلى جهة بحرى، وأرسل المترجم إلى طندتا ثم ذهبوا إلى قبلى خلا مصطفى بك وأيوب بك، ثم رجعوا إلى مصر بعد خروج مراد بك إلى قبلى.

واستمر أمرهم على ما ذكر حتى ورد حسن باشا وخرج الجميع وجرى ما تقدم ذكره.

وتولى المترجم إمارة الحاج سنة مايتين وألف، ولم يسافر به، ولما رجعوا إلى مصر بعد الطاعون وموت إسماعيل بك ورجب بك صاهره إبراهيم بك الكبير وزوجه ابنته كما تقدم.

ولم يزل فى سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا إلى بر إنبابه ومات هو فى ذلك اليوم غريقا ولم تظهر رِمّته، وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة المذكورة.

٦٠٠/ على بك الدفتردار كتخدا الجاويشية.

* [ومات] الأمير على بك الدفتردار المعروف بكتخدا الجاويشية وأصله مملوك سليمان أفندى من خشداشين كتخدا إبراهيم القازدغلى.

وكان سيده المذكور رغب عن الإمارة ورضى بحاله وقنع بالكفاف ورغب فى معاشرة العلما والصلحا وفى الانجماع عن أبناء جنسه والتداخل فى شونهم.

وكان يأتى فى كل يوم إلى الجامع الأزهر ويحضر دروس العلما ويستفيد من فوايدهم، ولازم دروس الشيخ أحمد

السليمانى فى الفقه الحنفى إلى أن مات، فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزى كذلك.

واقترن فى حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشى وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبه مجردا عن العلايق فكان يعيد معه الدروس، فاتحد به لما رأى فيه من النجابة فجذبه إلى داره وكساه وواساه واستمر يطالع معه فى الفقه ويعيد معه الدروس ليلا، وزوّجه وأغدق عليه، وكان هو مبدأ زواجه.

ولم يزل ملازما حتى توفى سليمان أفندى المذكور فى سنة خمس وسبعين وماية وألف، فتزوج المترجم بزوجة سيده، واستمر هو وخشداشه الأمير أحمد بمنزل أستاذهم.

وتتوق نفس المترجم للترفع والإمارة فتردد إلى بيوت الأمرا كغيره من الأجناد، فقلده على بك الكبير كشوفية شرق أولاد يحيى فى سنة اثنتين وثمانين وماية وألف، فتقلدها بشهامة وقتل البغاة وأخاف الناحية وجمع منها أموالا، استمر حاكما بها إلى أن خالف محمد بك أبو الدهب على سيده على بك وخرج من مصر إلى الجهة القبلية فلما وصل إلى الناحية [القبلية] كان المترجم أول من أقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام، فسر به محمد بك وقربه وأدناه، ولم يزل ملازما لركابه حتى جرى ما جرى وتملك محمد بك الديار المصرية فقلده أغاوية المتفرقة أياما قليلة.

ثم خيرّه فى تقليد الصنجقية أو كتخدا الجاويشية، فقال له حتى أستخير فى ذلك، وحضر إلى المرحوم الشيخ الوالد وذكر له ذلك فأشار عليه بأن يتقلد كتخدا الجاويشية، فإنه منصب جليل واسع الإيراد وليس على صاحبه تعب ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ولا كثرة مصاريف فكان

كذلك، وذلك في سنة ست وثمانين، وسكن ببيت سليمان أغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على بركة الفيل.

ونما أمره واتسع حاله واشتهر وانتظم في عداد الأمرا، ولم يزل على ذلك إلى أن مات محمد بك فاستقل بإمارة مصر إبراهيم بك ومراد بك فكان المترجم ثالثهما، واتحد بإبراهيم بك اتحادا عظيما حتى كان إبراهيم بك لا يقدر على مفارقته ساعة زمانية، وصار معه كالأخ الشقيق والصاحب الشفيق، وصار في قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة في جميع الأمور.

ولم يزل على ذلك حتى حضر حسن باشا بالصورة المتقدمة وخرج إبراهيم بك ومراد بك وباقي الأمرا، فتخلف عنهم المترجم وقد كان راسل حسن باشا سرا، فلما استقر حسن باشا أقبل عليه وسلمه مقاليد الأمور وقلده الصنجقية وأضاف إليه الدفتردارية وفوض إليه جميع الأمور الكلية والجزئية، فانحصرت فيه رياسة مصر وصار عزيزها وأميرها ووزيرها وقايد جيوشها ولا يتم أمر إلا عن مشورته ورأيه.

واجتمعت ببيته الدواوين وقلد الإمريات والمناصب كما يختار، وقرب وأدنى وأبعد وأقصى من يختار، واشتهر ذكره في إقليم مصر والشام والروم.

وأشار بتقليد مراد كاشف الصنجقية وإمارة الحاج وسموه محمد بك المبدول كراهة في اسم مراد واشتهر بالمبدول، ونجزله لوازم الحاج والصرة في أيام قليلة وسافر بالحاج على النسق المعتاد وشهل أيضا التجاريد والعساكر خلف الأمرا المطرودين، واستمر مطلق التصرف في مملكة مصر بقية السنة.

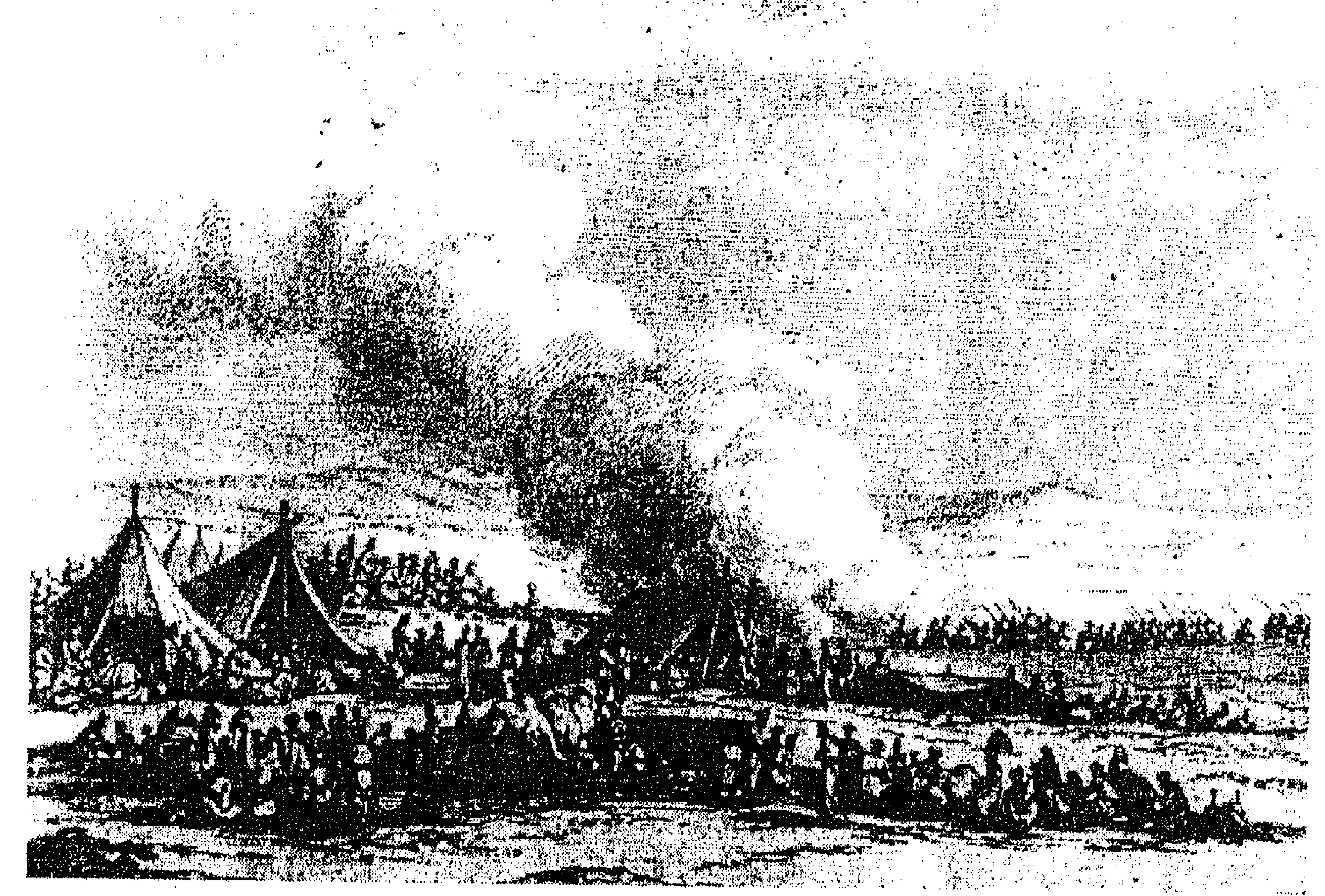
(ولما) استهل رمضان أرسل لجميع الأمرا والأعيان اليلكات والكساوى لهم ولحريمهم ومماليكهم بالأحمال، وكذلك إلى العلما والمشايخ حتى الفقها الخاملين المحتاجين، وظن أن الوقت قد صفا له ولم يزل على ذلك حتى استقر إسماعيل بك وسافر حسن باشا وظهر له أمر حسن بك الجداوى وخشداشينه أخذ يناكد المترجم ويعارضه فى جميع أموره وهو يسامح له فى كل ما يتعرض له فيه ويساير حاله بينهم، ويكظم غيظه ويكتم قهره، وهو مع ذلك وافر الحرمة.

واعتراه صداع فى رأسه وشقيقة* زاد ألمه بها ووجعه أشهراوأتلف إحدى عينيه وعوفى قليلا، واستمر على ذلك حتى وقع الطاعون بمصر سنة خمس، ومات ابن له مراهق أحزنه موته، وكذلك ماتت زوجته وأكثر جواريه ومماليكه.

* الشقيقة: هو الصداع النصفى.

ومات إسماعيل بك وأمراه ومماليكه ورضوان بك العلوى وبقى هو وحسن بك الجداوى فتجاذبا الإمارة ولم يرض أحدهما بالآخر، فوقع الاتفاق على تأمير عثمان بك طبل تابع إسماعيل بك ظنا منهما أنه يصلح لذلك، وأنه لا يمالى الأعدا فكان الأمر بخلاف ذلك.

وكره الإمارة هو أيضا لمناكدة حسن بك له، وراسل الأمرا القبليين سرا حتى حضروا على الصورة المتقدمة وقصد حسن بك وعلى بك الاستعداد لحربهم وخرجوا إلى ناحية طرا وتأهبوا لمبارزتهم، وصار عثمان بك يثبطهما ويظهر لهما أنه يدبر الحيل والمكايد، ولم يعلما ضميره ولا يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانته، بل كان كل منهما يظن بالآخر حتى حصل ما تقدم ذكره فى محله.



* عسكر الفرنساوية فى الطريق من قنا إلى القصير.

وفر المترجم وحسن بك إلى ناحية قبلى فاستمر هناك مدة ثم انفصل عن حسن بك وسافر من القصير إلى بحر القلزم، وطلع إلى المويلح وأرسل بعض ثقاته فأخذ بعض الاحتياجات سرا، وذهب من هناك إلى الشام واجتمع بأحمد باشا الجزار ونزل بحيفا وأقام بها مدة.

وراسل الدولة فى أمره فطلبوه إليهم فلما قرب من إسلامبول أرسلوا إليه من أخذه وذهب به إلى برصا فأقام هناك وعينوا له كفايته فى كل شهر وولد له هناك أولاد،، ثم أحضروه فى حادثة الفرنسيس وأعطوه مراسيم إلى إبراهيم باشا سارى عسكر فى ذلك الوقت، فلما وصل بيروت راسل أحمد باشا [الجزار] وأراد الاجتماع به وعلم أحمد باشا ما بيده من المرسومات إلى إبراهيم باشا فتنكر له

وانحرف طبعه منه وأرسل إليه يأمره بالرحيل ، وصادف ذلك عزل إبراهيم باشا فارتحل مقهورا إلى نابلس فمات هناك بقهره.

وحضر من بقي من مماليكه إلى مصر وسكنوا بداره التي بها مملوكه عثمان كاشف وابنته التي تركها بمصر صغيرة وقد كبرت وتأهلت للزواج فتزوج بها خازنداره الذى حضر، وهو إلى الآن مقيم معها صحبة خشداشينه ببيتهم الذى بدرب الحجر.

وكان المترجم أميراً لا بأس به يميل إلى فعل الخير حسن الاعتقاد ويحب أهل العلم والفضايل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعتهم، وفيه رقة طبع وميل للخلاعة والتجاهر، غفر الله له وسامحهم.

٦٠١/ أيوب بك الدفتردار: قتل فى معركةانبابه.

* [ومات] أيضًا الأمير أيوب بك الدفتردار وهو من مماليك محمد بك (أبى الذهب) تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه، وقد تقدم ذكره غير مرة، وكان ذا دها ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلما، ويشترى المصاحف والكتب ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ويقضى حوايج السايلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند، خصوصا إذا كان الحق بيده.

ويتعلل كثيراً بمرض البواسير وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته فى حربهم.

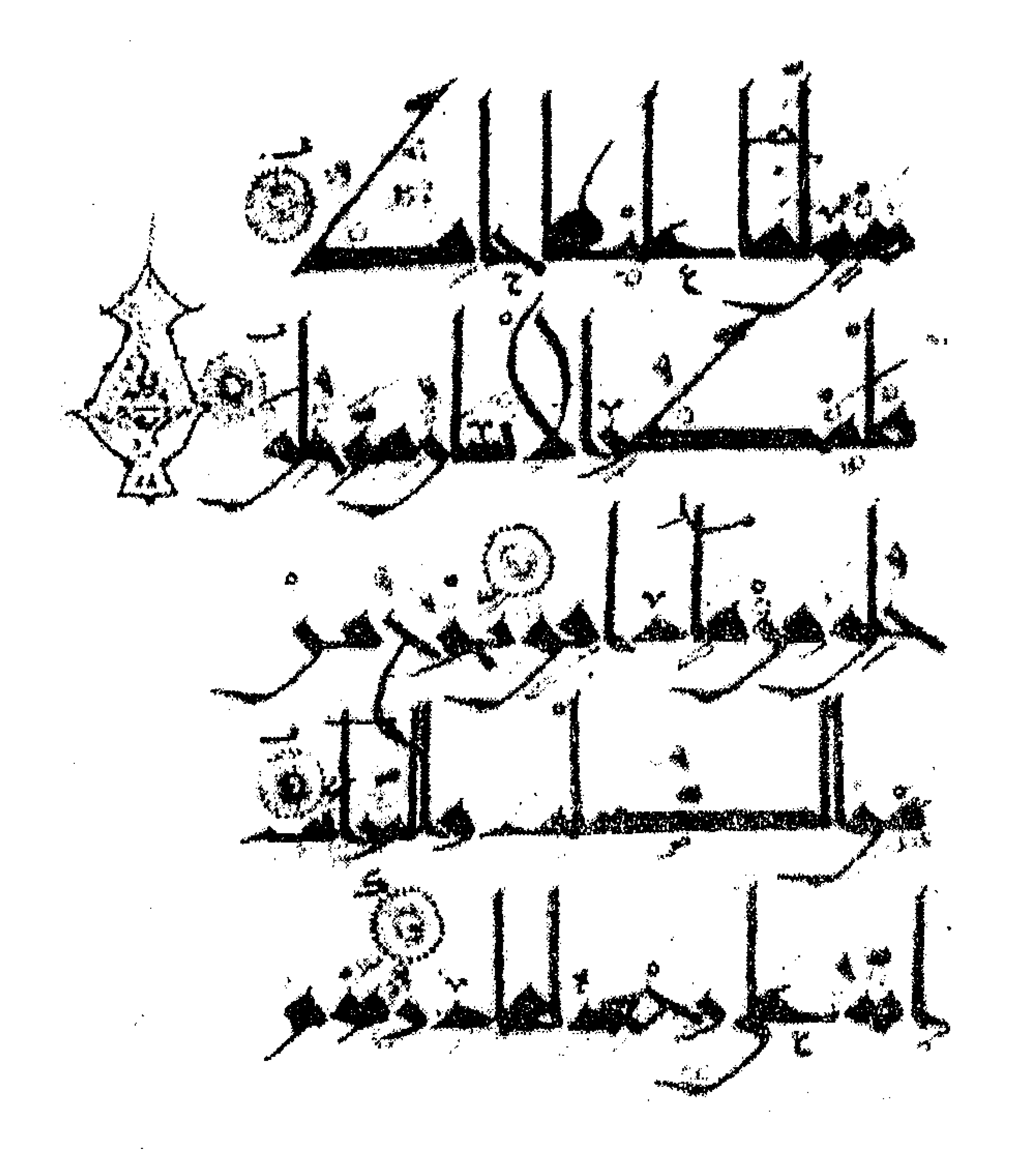


ولما حصل ذلك وحضروا إلى بر إنبابة عدى المترجم قبل يومين وصار يقول أنا بعت نفسي في سبيل الله فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعد ما توضأ وصلى ركعتين وركب في مماليكه، وقال اللهم إني نويت الجهاد في سبيلك، واقتحم مصاف الفرنساوية وألقى نفسه في نارهم واستشهد في ذلك اليوم.

وهي منقبة اختص بها دون أقرانه بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر، كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل للمترجم بقوله:

لم يبر منهم سوى أيوب من ألم
مجانس دا ءخصم قادم حنق

الجبرتي/ سنة ١٢١٣م



بانت له من حسان الحور قايلة

اركض برجلك للخيرات واستبق

واترك مرادا إلى الدنيا ولُم بنا

إنا الحياةُ فِمل الروح واعتنق

أمّ الجهادَ شهير السيف مجتهدا

فى كلمة الحق إعلاء على الفرق

الله أكبر والتوحيد يصحبها

نداؤه فى عجاج مظلم غسق

لقد تولى على عرض الصفوف إلى

أن ضمه القلب فاستولى على حِلق

ما زال يقتص حتى انقض كوكبه

وطار منه بَهَا النور للأفق

الجبرتى/ سنة ١٢١٣م

مضى شهيدا وحيدا طاهرا سمحا
رمغسلا بدم الهيجا لاغرق
تميز الجوهر المكنون من صدق
ثم انجلى فى الحلى يدعى بمؤتلق
كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بائعين الخُلد بالفلق

إلى آخر ما قال وقوله بدم الهيجا لاغرق يشير بذلك إلى إبراهيم بك الوالى حين ولّى مدبراً وغرق فى البحر.

٦٠٣/ صالح بك أمير الحاج.

* [ومات] الأمير صالح بك أمير الحاج فى تلك السنة وهو أيضًا من مماليك محمد بك أبى الدهب وتولى زعامة مصر بعد إبراهيم بك الوالى وأحسن فيها السيرة ولم يتشك منه أحد ولم يتعرض لأحد بأذية.

وتقلد أيضاً كتخدا الجاويشية عندما خرج إبراهيم بك مغاضبا لمراد بك، وكان خصيصا به، فلما اصطلحا ورجع إبراهيم بك وعلى أغا كتخدا الجاويشية تقلد علىٌ منصبه كما كان واستمر المترجم بطالا لكنه وافر الحرمة معدودا فى الأعيان.

ولما خرجوا من مصر فى حادثة حسن باشا أرسله خشداشينه إلى الروم وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان إذ ذاك بالعرضى فى السفر.

ولما رجعوا إلى مصر بعد موت إسماعيل بك سكن ببيت البارودى، وتزوج بزوجته وهى أم أيوب التى كانت سرية

مراد بك، ثم سافر ثانيا إلى الروم بمراسلة وهدية وقضى أشغاله ورجع بالوكالة وأخذ بيت الحبانية من مصطفى أغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت، واختص بمراد بك اختصاصا زايداً وبنى له دار بجانبه بالجيزة وصار لا يفارقه قط، وصار هو بابه الأعظم فى المهمات.

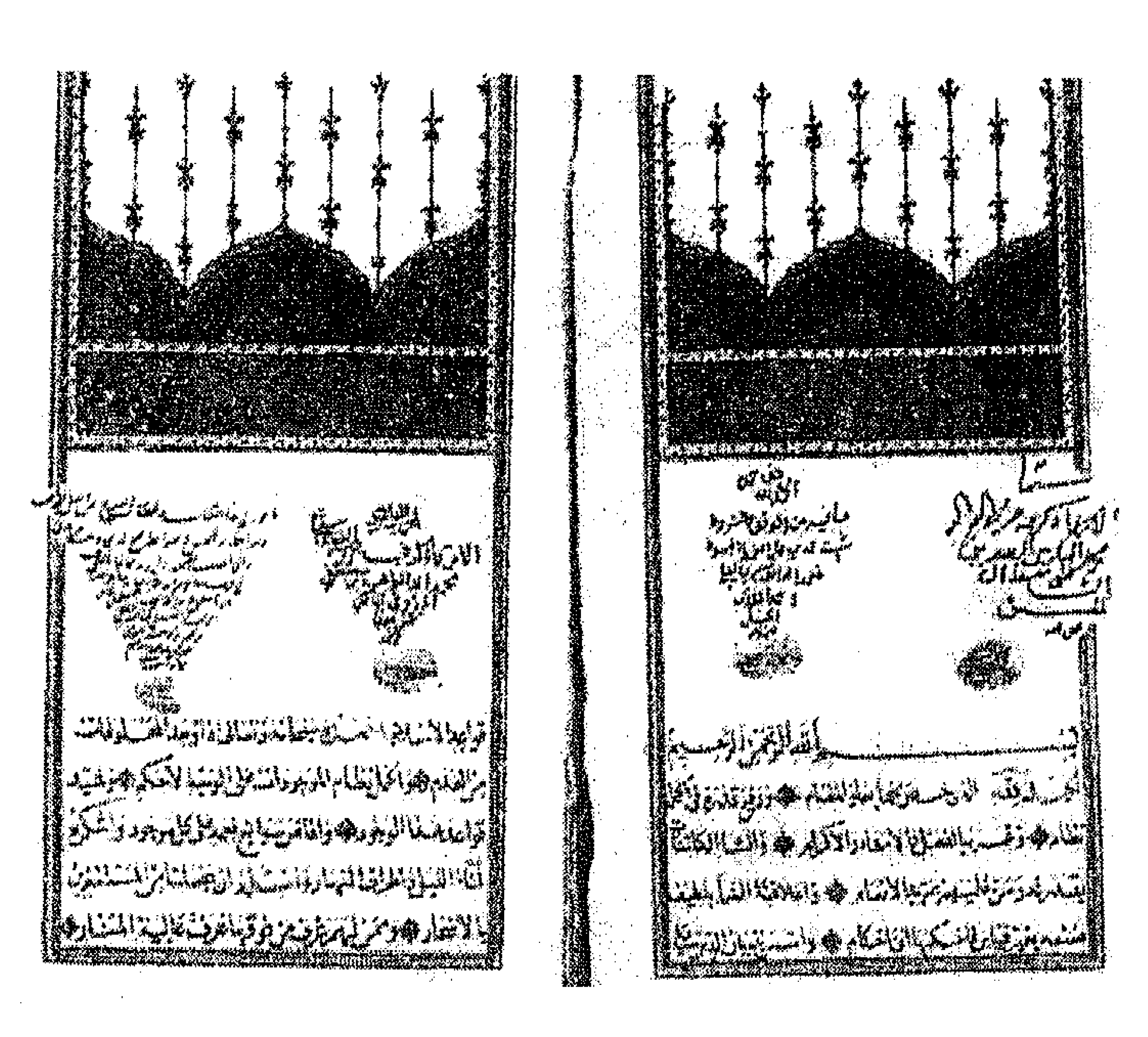
وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالإشارة، يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه، ويميل بطبعه إلى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار، ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده.

ثم ولى الصنجقية وتقلد إمارة الحج سنة اثنتى عشرة ومايتين وألف، وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغى.

وطلع بالحج فى تلك السنة فى أبهة عظيمة على القانون القديم فى أمن وأمان ورخا وسخا، وراج موسم التجار فى تلك السنة إلى الغاية.

وفى أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية إلى القطر المصرى، وطار إليهم الخبر بسطح العقبة، وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج فى طايفة قليلة فأرسل إليهم إبراهيم بك يطلبهم إلى بلبيس، فعرج المترجم بالحاج إلى بلبيس، وجرى ما تقدم ذكره.

ولم يزل حتى مات بالديار الشامية ، وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ودفنتها بمصر بتربة المجاورين.



* كتاب فى الوقفيات للسيد محمد البكرى الصديقى كتب بخط نسخى سنة ١١٣٩هـ.

٦٠٣/ السيد مصطفى الدمنهورى.

* [ومات] العمدة الفاضل والنحرير الكامل الفقيه العلامة السيد مصطفى الدمنهورى الشافعى تفقه على أشياخ العصر وتمهر فى المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى ملازمة كلية واشتهر بنسبته إليه.

ولما ولى مشيخة الأزهر* صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد فى القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان، وكان عاقلا ذكيا وفيه ملكة واستحضار جيد للفروع الفقهية، وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب وعبارته سلسلة جيدة.

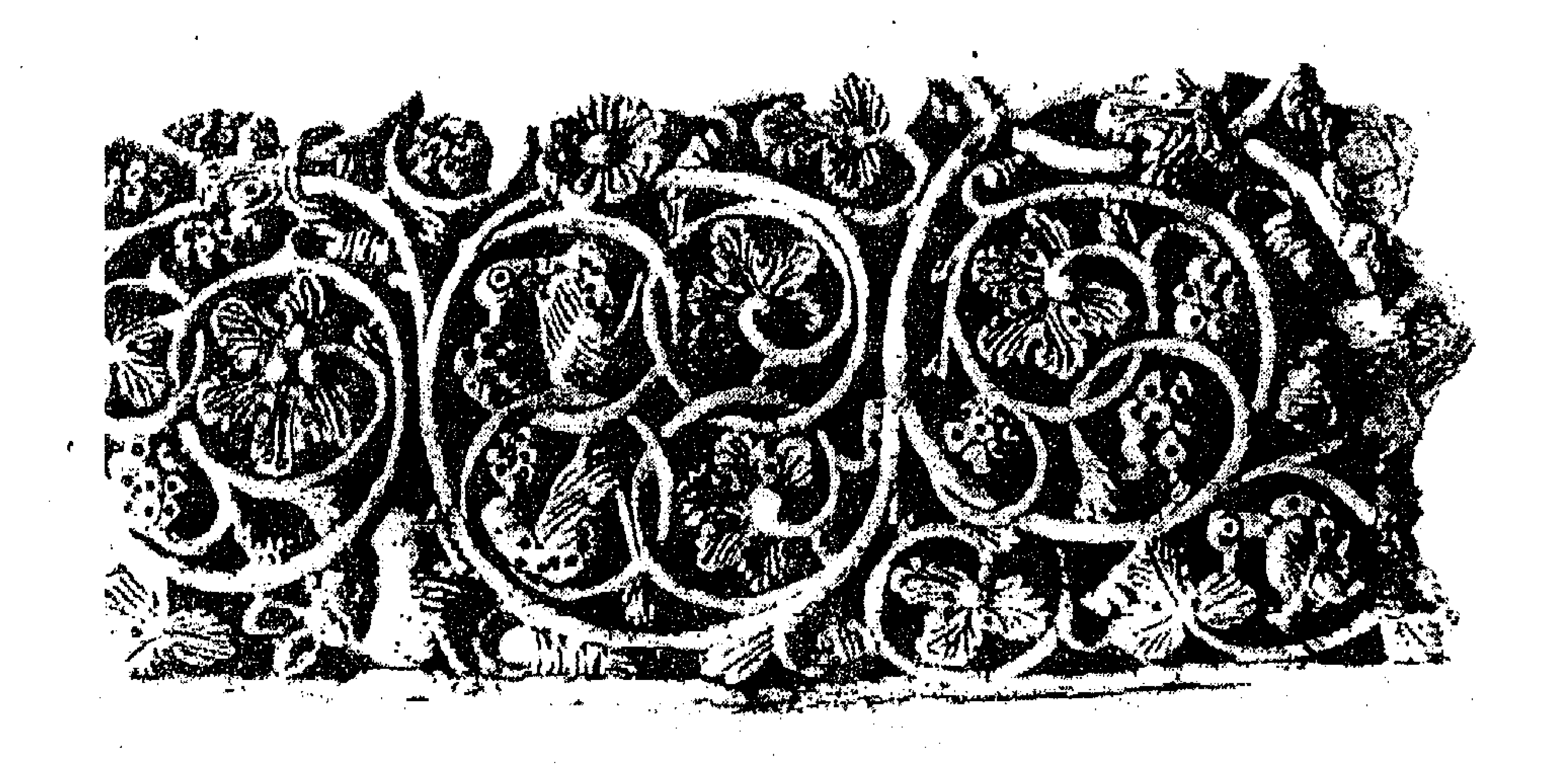
* أحاط الغموض منصب شيخ الأزهر فى ظل الحكم العثمانى، ولكن هناك اجماع بين جمهرة المؤرخين على أن أول من تقلد هذا المنصب كان الشيخ عبد الله الخرشى.

وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين، واقتنى كتبا فى ذلك مثل كتاب السلوك والخطط للمقريزى، وأجزاء من تاريخ العينى والسخاوى وغير ذلك.

ولم يزل حتى ركب يوما بغلته وذهب لبعض أشغاله ، فلما كان بخط الموسكى قابله خيال فرنساوى يخج فرسه فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور وألقته من على ظهرها إلى الأرض، وصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرض صماخه فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه فى تابوت إلى منزله ومات من ليلته ، رحمه الله.

٦٠٤/ عبد الله كاشف قتل فى معركةانبابه.

* [ومات] عبد الله كاشف الجرف وهو عبد إسماعيل كاشف الجرف تابع عثمان بك ذى الفقار الكبير، وكان معروفا بالشجاعة والإقدام كسيده وأدرك بمصر إمارة وسيادة ونفاذ كلمة، واشترى المماليك الكثيرة والخيول المسوّمة والجوار والعبيد، وعنده عدة من الأجناد والطوايف، وعمر دارا عظيمة داخل الدرب المحروق، ولم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر بحرب الفرنساوية بإنبابة، وكان جسيما أسود ذا شهامة وفروسية مشهورة وجبروت.



غاية الفيضان: ٦ قيراط ٢١ ذراع.
١٢١٤هـ
١٥١٥ق.
١٧٩٩م.
□ في ١٢ محرم/١٧ يونيو رجع بونابرطة من الشام إلى مصر.
□ في هذه السنة كان اختراع الليتوغرافية، أي مطبعة الحجر □ وفي ٩ [من صفر] وصل الجيش العثماني إلى أبي قير، ومن ضمنه كان المرحوم محمد علي الكبير مؤسس الحكومة الخديوية، وفي ٢٠ منه كانت واقعة أبي قير. □ وفي ٣٠ [من ربيع الأول] ترقى الجنرال كليبر قائدا عاما بمصر بدلا عن نابليون بونابرطة.
□ وفي ٣٠ [من ربيع الثاني] وصل إلى دمياط ٥٣ مركبا عثمانية.
□ في ١ [من جماد الأول] ١ اكتوبر ضبطت الأنكليز أحد أبراج دمياط □ وفيها ظهر بمديرية البحيرة بدوى ادعى انه المهدى، واحرق ٦٠ عسكريا فرنساويا.
□ وفي ١٦ [من جماد الأول] كانت وفاة واشنجتون محرر الولايات المتحدة من أميركا.
□ وفي ٢٧ شعبان كانت معاهدة العريش بين الجنرال كليبر ووزير الدولة العثمانية والأميرال سيدني سميث الانكليزى، فالجنرال كليبر لم يقبل المعاهدة وحارب وزير الدولة العثمانية.
□ وفي ٢٣ من شوال كانت واقعة المطرية، التى بعدها اطلقت الفرنساوية قنابلة على الثائرين من المحروسة، ولم يخضعوا لحكمهم إلا بعد محاربة عشرة أيام فيها ضربت الفرنساوية على العمد والأعيان أموالا قدرها عشرة آلاف ألف فرنك، عن كل فرنك ٢٨ نصف فضة = ٥٠٠,٠٠٠ بنتو، وذلك في نظير الأمان الذى أعطوه لهم.

(ثم دخلت سنة أربع عشر ومايتين وألف) [١٧٩٩م]

استهل شهر المحرم بيوم الأربعا: فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم، فلما كان في ثان يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته:

صورة جواب بونابرت من أمام أسوار عكا عشرين فريبال الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف.

من بونابارته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى محفل ديوان مصر: نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر فإني بغاية العجلة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوماً وجايب معي جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد، ما أبقيت فيها حجراً على حجر، وجميع سكانها انهزموا من البلد إلى طريق البحر، والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت، ومن جملة ثلاثين مركباً موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة [مراكب] موقرة [مشحونة] مدافع والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقي تلف وتبهدل والغالب منهم عدم، وإني بغاية

☐ ١ توت ١٥١٦ = ١٠ سبتمبر ١٧٩٩ = الثلاث ٩ ربيع الثانى سنة ١٢١٤.

☐ ١ ينساير ١٨٠٠ = ٢٤ كيهك ١٥١٦ = الأربع ٤ شعبان ١٢١٤.

الشوق إلى مشاهدتكم لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم، لكن جملة فلاتية دايرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر في وقت دخولى، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس «وفنتوره» مات من تشويش، هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام.

وفنتوره هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى.

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع إلى مصر أرسل بونابارته مكاتبة* إلى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها:

إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سبباً.

(الأول) الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جات الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج.

(الثانى) الستة مراكب التى توجهت من الإسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الإنكليز قدام يافا.

(الثالث) الطاعون الذى وقعَ في العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا.

(الرابع) عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا.

(الخامس) وقعة مراد بك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثماية فرنساوى.

بونابرته يرسل مكاتبة يحدد فيها أسباب فشل الحملة الفرنسية على عكا.عودة جيش سوريا

فى ٢ بريريال تحرك الجيش من معسكره أمام عكا ووصل إلى طنطوره Tantoura قبل الليل. ثم رحل عنها فى اليوم التالى فى الساعة الثانية بعد الظهر ووصل قبل غروب الشمس إلى أطلال قيصرية Césarée حيث أمضى الليل.

الطريق من طنطوره إلى قيصرية يحاذى البحر وهو رملى تبلله دائما أمواج البحر وأكثر تماسكا من رمال الصحراء الجافة ومريح فى السير عليه. وكان هواء البحر يلطف من حرار الشمس.

ونجد فى قيصرية بئرا مياهها صالحة للشرب وتقع أمام واجهة كنيسة مسيحية مهدمة، وما تبقى من معالم يغلب عليها الطراز القوطى، ولا أثر فيها للطراز العربى. ويحتمل أن يكون قد بناها الصليبيون، وإلى جانبها قلعة نرى اليوم منها بوضوح جدرانها وخنادقها.

(السادس) بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد.

(السابع) المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب.

(الثامن) ورود الإنكليز تجاه الإسكندرية ودمياط.

(التاسع) ورود عمارة الموسقو قدام رودس.

(العاشر) ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنمسا.

(الحادى عشر) ورود جواب مكتوب منا «لتيبو» أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا، وتيبو هذا هو الذى كان حضر إلى إسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الإنكليز المحاربين له فى بلاده، فوعدوه ومنوه وكتبوا له أوراقا وأوامر.

وحضر [تيبو] إلى مصر وذلك فى سنة اثنتين ومايتين وألف أيام السلطان عبد الحميد، وقد سبقت الإشارة إليه فى حوادث تلك السنة وهو رجل كان مقعدا تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم، ثم إنه توجه إلى بلادفرنسا واجتمع بسلطانها، وذلك قبل حضوره إلى مصر، واتفق معه على أمر فى السر لم يطلع عليه أحد غيرهما، ورجع إلى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان [لويس].

غادر الجيش قيصرية فى ٤ بريريال فى الساعة الثانية صباحا. وفى الساعة الثامنة توقف بالقرب من المياه الحلوة فى أسفل صخرة عالية تبرز على شاطىء البحر وتحتمى بها سفن أهل بلاد السامراء وهم يسمون اليوم بالنابلسيين. واستأنفنا السير فى الساعة الثانية واتبعنا شاطىء البحر إلى أن وصلنا إلى مكان يرتفع عنده الشاطىء فجأة ويصبح رأسيا مما اضطرنا إلى الاتجاه نحو الشرق قليلا خلال أراض جبلية تكسوها الحشائش والنباتات الشوكية وبها أيضا بعض الأشجار العالية.

ولما كان نسيم البحر لا يصل إلينا فقد أحسسنا بوطأة حرارة الشمس. ترهقنا ووصلنا قبل غروب الشمس إلى جدول ماء أمضينا الليل على مقربة منه وهو يحيط من كل جانب تقريبا بمرتفع من الأرض يتحكم فى الأراضى المجاورة ويشكل موقعا عسكريا قويا جدا بطبيعة أحواله. فأمر الجنرال بونابرت بضرب الخيام على المرتفع.

أن مياه الجدول لها طعم ورائحة المستنقعات. وفى أثناء الحملة كان السامريون سكان هذا الإقليم يهددون مواصلاتنا مع يافا وقد هاجموا بعضا من قوافل عرباتنا فأحرقنا قراهم ومحاصيلهم.

وفى ٥ بريريال رحلنا عن هذا المخيم فى الساعة الثانية صباحا متجهين نحو الغرب. وعند الفجر وصلنا إلى شاطىء البحر وسلكنا الطريق المحاذية له حتى وصلنا إلى يافا. ومكث الجيش فيها مدة أربعة أيام قام خلالها بهدم جميع تحصينات المدينة وتدمير كل ما كان يمكن أن يستخدمه العدو فى إقامة منشآت عسكرية.

ومن يافا واصل الجيش سيره نحو غزة. وعندما مررنا بهذا الطريق لأول مرة

ثم إن تيبوا المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده، فهذا ملخص معنى السبب.

(الثانى عشر) موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه، وإذا تولى أمرها غيره، يلزم نقضها، ويطول الأمر، وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس.

(الثالث عشر) سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الإنكليز من إسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر.

(الرابع عشر) أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الإنكليز وعزم على أنه عندما نملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم.

(الخامس عشر) لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب أ هـ. [انتهى].

(وفى يوم الثلاثا سابعه) حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية أنه وصل إلى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك.

(فلما كان ليلة الجمعة عاشره) أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمون وجاويشية وغير ذلك. وحضر الوكيل وقايمقام وأكابر

فى فانتوز وجدنا فى هذا الإقليم مساحات كبيرة من الأراضى تغطيها المياه الضحلة ووجدنا صعوبات كبيرة فى شق طريقنا وسطها وفى عودتنا وجدنا هذه الأراضى يابسة وبها شقوق من قلة الماء ولم نعثر على طول هذا الطريق إلا على ثلاث آبار كان استعمالها صعبا نظرا لعمقها ومياهها كانت شحيحة لم تف بارتواء الجيش ولم تمده بالمياه اللازمة له.

يقطن القرى المنتشرة بين يافا وغزة مثل ابنة Ebneh وأسدود Esdod ودير نارون Deyr-Naron عرب من أعدائنا فأحرقنا بيوتهم ومحاصيلهم من القمح. لقد جمع هؤلاء العرب منهم حوالى ٩٠٠ رجل من المشاة و ١٠٠ من الفرسان وحاولوا فى ١٦ فانتوز مباغتة رجال مقر القيادة وأموال الجيش ممن كانوا يواصلون مسيرتهم بقوافل عرباتهم للحاق بالجيش أمام يافا، فاضطروا إلى الفرار بعد أن خسروا بعضا من رجالهم، ولكن هذا العقاب لم يكن كافيا فأتممناه عند عودتنا.

تحرك الجيش من غزة فى ١٢ بريريال وراح يعسكر للمبيت فى خان يونس وبقيت مؤخرة الجيش فى غزة حتى اليوم التالى لحماية عمليات هدم القصر. ثم التحقت بالجيش فى العريش وكان قد وصل إليها فى مساء ١٣ بريريال بعد مسيرة طويلة ومتعبة للجنود.

تبعد خان يونس عن العريش بمسيرة عشر ساعات على ظهور الخيل، وبالرغم من أن الأراضى التى تفصل بين هاتين النقطتين بعضها مزروع وتكسوها أشجار صغيرة وبعض الزراعات الأخرى، إلا أن جميعها رملية تغوص فيها الأقدام فيتضاعف المجهود الذى يبذله الإنسان الذى يسير

فيها على قدميه، وبالتالى يتضاعف تعبه وتنهك قواه بسرعة.
وكان يجب اجتياز هذه المسافة فى يوم واحد وإلا كنا نضطر إلى قضاء الليلة التالية دون ماء، وهذا ما كنا نخشاه أكثر من التعب مهما عظم شأنه.
وفى هذه المسيرة كان الجندى يحمل بالإضافة إلى أسلحته وأدواته الخاصة- صفيحة ملأى بالمياه وزاده من الطعام لمدة أربعة أيام.
يهيىء حصن العريش لم يمتلكه ميزات كثيرة، إذ يضمن له الانتفاع بآبار مياهها حلوة غزيرة، وهى جيدة جدا للشرب، ولو أنها ليست نقية كمياه النيل أو السين Seine مثلا. وهو يسهل عمليات إقامة حوانيت ومحلات للجنود سواء عبرت الصحراء للذهاب من مصر إلى سوريا أو العكس.
أن هذا الحصن كان يتبع دائما مصر وهو ضرورى لأمنها وضرورى أيضا للانطلاق منه عند مهاجمة سوريا كلما حاول العدو تنظيم أو تدبير خطة لمهاجمتنا. ولذلك أمر الجنرال بونابرت بتدعيم حاميته وزيادة قوتها ولم يفكر قط فى ادخاله ضمن برنامج هدم استحكامات القلاع التى وقعت فى أيدينا ابان غزونا لسوريا.
ومنذ أربعة أشهر وهو فى أيدينا ولا تزال الأعمال جارية فى تقويته وتدعيمه.
عندما نغادر العريش فى طريقنا إلى الأراضى المصرية نرى أمامنا الصحراء جرداء على مدى النظر برمالها المحرقة، ولا نجد فيها إلا ما ندر من نباتات شوكية هزيلة تافهة، فى الفصل الحالى من السنة تبهر هذه الرمال أعين ناظريها من فرط توهج الشمس الذى تعكسه على سطحها، وحرارتها تشوى الأقدام من خلال نعل الحذاء.
وتبلغ المسافة من العريش إلى

عساكرهم وركبوا جميعاً بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية، فقابلوا سارى عسكر بونابارته هناك وسلموا عليه ودخل معهم إلى مصر من باب النصر بموكب هايل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونساهم وأطفالهم فى نحو خمس ساعات من النهار إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية، وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهاراً، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا وشهد له الخصم.

ولصاحبنا الفاضل النجيب والأديب اللبيب السيد على • الصيرفى الرشيدى نزيل عكا المحروسة فى هذه الواقعة قصيدة لطيفة طويلة من بحر الخفيف يقول فيها:

وأراهم قبيحهم حسنَ قصد
نحو عكا ذات السعود البادى
فاستعدوا لها بآلات حرب
ورجال كثيرة كالجراد
خيموا حولها بجيش وخيش
ومتاريس ضاق منها الوادى
أشبهوا قوم صالح فى فعال
ينحتون الجبال لاستعداد
فى حصون من التراب تراهم
شيدوها بقوة وعماد
فكأنَّ الجن الشياطين فيهم
يسرعون الأعمال عند التنادى

حاصروها وشددوا فى حصار
واستمدوا بكل نوع مراد

ومنها:

ثم دارت رحى الحروب لدينا
بضروب مدامة الترداد
كل يوم وليلة فى رعود
وبروق من غيم ذاك الوادى
كم نهار أضحى كليْلَ بهيم
من دخان الوغى عدا فى ازدياد

إلى آخر ما قال وهى طويلة.

وفيه قبضوا على إسماعيل القلق الخرَّبطلى وهو متولى كتخدا العزب وكان ساكنا بخط الجمالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه.

والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر.

ولما وصل سارى عسكر الفرنساوية إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى والبهالوين وطوايف الملاعبين والحواة

الصالحية، وهى أول بقعة من الأراضى المنزرعة، حوالى ١٦٠ كيلو مترا/ وتقع إلى جانب هذا الطريق، قتاية Qattyeh على مسافة ٨٨ كيلو مترا من العريش و ٧٢ كيلو مترا من الصالحية، وفيها أحراش من أشجار النخيل يجعل منها جزيرة وسط الصحراء ونجد فيها أيضا آبارا ذات مياه مالحة لا يستطيع أن يشربها الآدميون ولكن الخيول لا تأبى شربها وإن كانت قد أضرت ببعضها، لأن كثيرا من الخيول التى ارتوت منها نفقت . وقد لحقت بنا أكبر خسارة فى جيادنا، حوالى ٦٧ حصانا فى المسافة بين قتاية وبير الأب Bir-el-Ab.
أقام الجيش فى قطيه يومى ١٧ و ١٨ بريريال، وخلال هذين اليومين قام الجنرال بونابرت والجنرالات برتييه ومينو وأندريوسى والصول Le-Turcq.
بزيارة القطاع الشرقى من بحيرة المنزلة، وهم على ظهور الجمال. وقد امضوا ليلة ١٧ و ١٨ بالقرب من مصب النيل الذى سماه قدماء اليونانيين طانطيك Tanitique وسماه العرب أم فريج Omm farége وقد عادوا إلى قتاية سالكين الطريق التى كانت تقع فيه قديما مدينة بيلوز (التينه).
وعندما وصلوا إلى الأرض الضحلة التى أعطت اسمها لهذه المدينة ترجلوا عن جمالهم وساروا على أقدامهم لمدة ثلاث ساعات على أرض وحلة ولزجة. كانت حرارة الشمس مرتفعة جدا تجعل تخيلات السراب قريبة من الحقيقة بشكل كاد يجعلهم يضلون الطريق عدة مرات. هذه الظاهرة التى شرح أسبابها المواطن مونج Monge مثلت أمام أعيننا عدة مرات فى الصحراء، ولا يمكن للمرء أن يتخيل

كيف أن الشعور بالظمأ يجعل الإنسان يتصور وجود ماء وسط أرض فسيحة قاحلة.

في ١٩ بريريال تحركت القيادة العامة وفرق رينيه ولان وبون في طريقها إلى الصالحية.

وتأهبت الفرق التي يقودها الجنرال كليبر للذهاب إلى دمياط سالكة الممر الرملي الضيق الذي يفصل بين البحر وبحيرة المنزلة.

غادرنا معسكر قناية في الساعة الثانية بعد الظهر وبعد أن اجتزنا جبل كاسيوس Casius قضينا الليل بالقرب من واحة صغيرة بها حوالى مائة شجرة من النخيل ومن تحتها، وعلى عمق بسيط، توجد مياه مالحة. انها في الحقيقة صالحة للشرب ولكنهم يفضلون عليها مياه قطيه. يوجد موقع النخيل على حدود الرمال التي تقابلنا لمدة خمس ساعات قبل وصولنا إلى قناية وبعد خمس ساعات من خروجنا منها. هذه الرمال هي الأكثر تحركا وعمقا بين الرمال التي توجد بين مصر وسوريا. أنها تكون جبلا وتغير الرياح من شكل هذا الجبل وموقعه باستمرار. وابتداء من أشجار النخيل إلى الصالحية يتركز الطريق على أرض ثابتة إلا في الساعة الأخيرة من المسيرة التي نضطر خلالها إلى السير من جديد على الرمال.

وفي وسط المسافة يوجد مكان به أشجار رأينا فيه عند مرورنا به للمرة الأولى مستنقعا من المياه الحلوة. وعند عودتنا كان يكفي الحفر لعمق نصف متر (١٨ بوصة) لكي يكون عندنا بئر ذات مياه غزيرة أصلح للشرب من كل المياه التي ارتوينا بها وبعد أن اجتزنا هذا المكان بقليل زمجرت ريح غربية حارة جدا استمرت طوال اليوم وكانت تهب علينا وتلسع وجوهنا وكأنها نفحات آتية علينا من فرن مجاور ولما



والقرادين [القرادتيه] والنسا الراقصات والخلابيص، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، وفي كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ.

ثم انفض الجمع بعد ما أعطاهم سارى عسكر دراهم وبقاشيش.

وفي يوم الأحد عزلوا «دستان» قايمقام، وتولى عوضه «دوجا» الذى كان وكيلا عن سارى عسكر وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى، وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر وسافر أيضاً منهم طايفة إلى جهة البحيرة.

وفيه طلبوا من طوايف النصارى دراهم سلفة مقدارماية وعشرين ألف ريال.

وفى خامس عشره أرسلوا إلى زوجات حسن بك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال، وذلك لسبب أن حسن بك التف على مراد بك وصار يقاتل الفرنسيس معه، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام فلم يقبل منهم ذلك، فلما وقع لنساه ذلك ذهبن إلى الشيخ محمد المهدى ووقعن عليه فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة.

وفى تاسع عشره هلك مخاييل كحيل النصرانى الشامى وهو من رجال الديوان الخصوصى فجأة وذلك لقهره وغمه، وسبب ذلك أنهم قرروا عليه فى السلفة ستة آلاف ريال فرانسة، وأخذ فى تحصيلها ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل فخرجت روحه فى الحال.

وفيه كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا، وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحا،وصورتها:

من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر خطابًا بالأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة.

النصيحة من الإيمان.

قاربت الساعة الرابعة بعد الظهر لاحت لنا غابات نخيل الصالحية فأسرعنا إليها.
أن من عادة الفلاحين أن يحضروا مياه النيل فى جرار إلى الطريق لبيعها للمسافر الظمآن. فقد استقبلنا كثير من هؤلاء الفلاحين وهم يحملون قربا ملأى بالمياه فاشتريناها منهم وارتوينا بلذة لا يمكن للمرء أن يتصورها إلا إذا وجد نفسه فى مثل هذه الظروف.
عندما وصل الجيش إلى الصالحية اعتبر نفسه قد بلغ نهاية مطافه. فقد وصل إلى بلاد يجد فيها مياه النيل على طول الطريق وكل ما يلزمه من الخبز والألبان والبيض والطيور والحمام والشمام والبطيخ بوفرة وبأثمان زهيدة.
وصل الجيش إلى القاهرة فى صباح ٢٦ بريريال فخرج لملاقاته المشايخ والتجار والصناع والعسكريون من أهل البلاد وهم يحملون الاعلام وكانت تتقدمهم الموسيقى وضاربو الدفوف والطبول من راكبى الجمال والاناشيدالحماسية.
وتقدمت أيضا لاستقباله الفرق الفرنسية لحماية القاهرة وجميع المدنيين من الأهالى الذين أقاموا فى المدينة فى غياب الجيش عنها عند (حى) القبة. لقد اندهشنا عندما رأينا لون وجوههم لاننا كنا قد اعتدنا رؤيتهم وقد لوحت شمس الصحراء لون وجوههم. كانوا يبدون لنا شاحبى الوجوه مما جعلنا نسألهم عن صحتهم فى قلق.
أن ذلك يعطينا فكرة عن قوة العادات المستحكمة التى ولدت عند السود شعور الاشمئزاز من اللون الأبيض واعتقادهم بأنه لا دم يجرى فى عروقنا.
دخل جنود الجيش القاهرة من باب

قال تعالى فى محكم القرآن، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، وقال تعالى وهو أصدق القايلين فى الكتاب المكنون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون. فعلى العاقل أن يتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحذور، نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية، ونزل بعسكره فى العادلية سليما من العطب والأسقام ودخل إلى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم وشنك جليل فخيم، وصحبته العلما والوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية.

وكان يوما عظيما مشهودا، وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه شرح الله صدره للإسلام.

والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية، وتعطيل الأموال الديوانية [و] لا يحبون راحة العبيد، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم «إن بطش ربك لشديد».

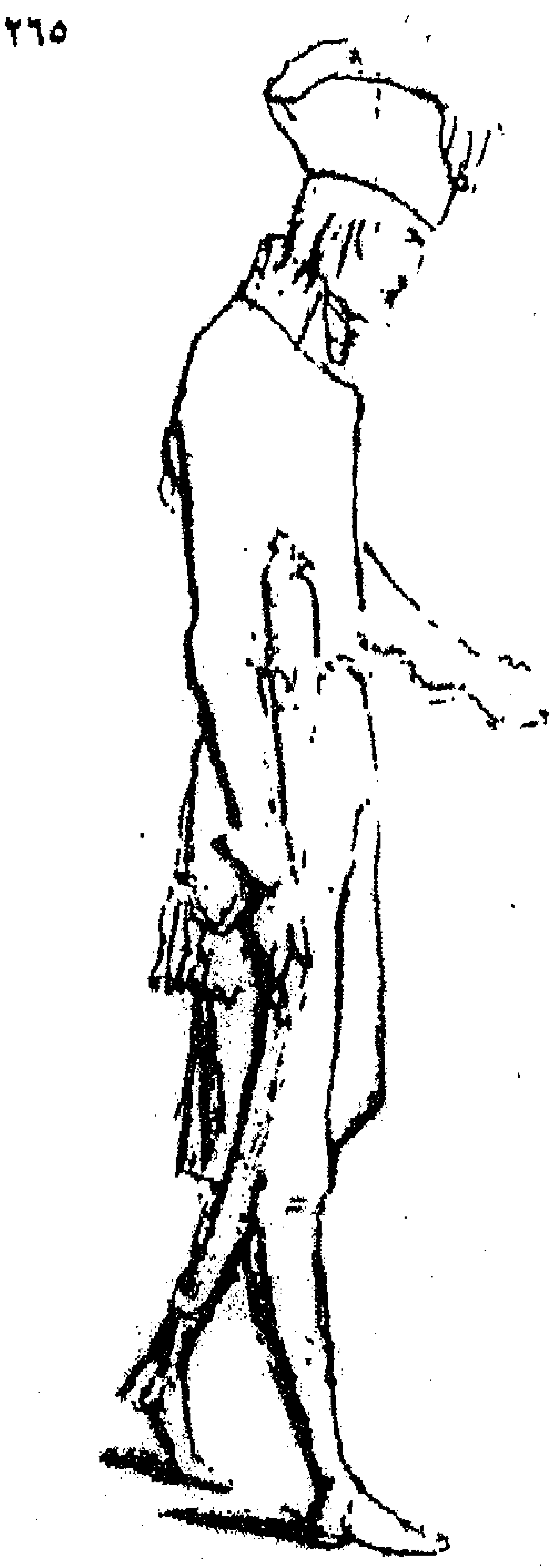
وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى والعيايدة الفجرة المفسدين يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين «إن ربك لبالمرصاد».

النصر وقد ثبت كل جندى على خوذته غصنا من النخيل وهرول سكان المدينة لاستقبالهم.
وقد أقيمت الحفلات لمدة ثلاثة أيام تتخللها الألعاب من جميع أنواعها مثل الرقص على الحبال والتحطيب وغيرها من الألعاب المسلية، كان يؤديها المواطنون من جميع الطبقات فى ساحة الأزبكية.

ل. كوستاز

انظر: كوريبه دي ليجيبت العدد ٣١.

* باب النصر على وقت الحملة الفرنسية.



ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال أنها ليست بحاضرة، فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر، وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر، مثل ما كان يفعل إبراهيم بك فى غزة، حيث كان، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعى أنها من طرف السلطان ويصدقه أهل الأرياف خسفاء العقول، ولا يقرون العواقب فيقعون فى المصايب.

وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران، وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان، فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى بسبب هذا الرأى السديد.

ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ولا يفرق بين الأخيار والأشرار، وقد جمع الطموش [الجموع] الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها، وأحبوا اجتماعهم عليهم لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها، ولكن لم تساعده الأقدار، والله يفعل ما يشا ويختاره.

وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده أن يصل إلى قطيا فتوجه حضرة سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ونادوا الفرار الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار، وكانوا نحو ثلاثة آلاف، وملك قلعة العريش وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا، ولما دخل غزة نادى فى رعيتها

بالأمان وأمر بإقامة الشعاير الإسلامية وإكرام العلما والتجار والأعيان.

ثم انتقل إلى الرملة وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقِرب أكثر من ألفين قِربة كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه إلى مصر.

ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام. ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه* ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه، فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه، وقتل منهم نحو أربعة الاف أو يزيدون بعدما هدم سورها وأكرم من كان بها من أهل مصر، وأطعمهم وكساهم، وجهزهم فى المراكب إلى مصر، وغفرهم بعسكره خوفا عليهم العربان، وأجزل عطاياهم.

* حول هذه المذبحة البربرية التى قام بها بونابرت لأهل يافا بعد أن أعطاهم الامان انظر الهامش ص(٢١١).

وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا وبعضهم ما نجاه إلا الفرار، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم*،وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان، ثم أخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر، حتى أنه يقال كان هناك مدينة.

* حصن قرب الرملة من بلاد فلسطين.

وقد كان بنى حصونها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين وظلم فى بنيانها عباد الله، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة، فهل ترى لهم من باقية، نزل عليهم

كصاعقة من السما ثم توجه راجعا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين:

الأول: أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر، والوعد عند الحرّ دَين. والسبب الثانى : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية، وحبه لمصر وإقليمها شى عجيب ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة.

ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعدا والأخصام.



*بونابرته.

فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخير لمن والاه، فسلموا ياعباد الله وارضوا بتقدير الله، وامتثلوا لأحكام الله ولا تسعوا فى سفك دمايكم وهتك عيالكم ولا تتسببوا فى نهب أموالكم، ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين.

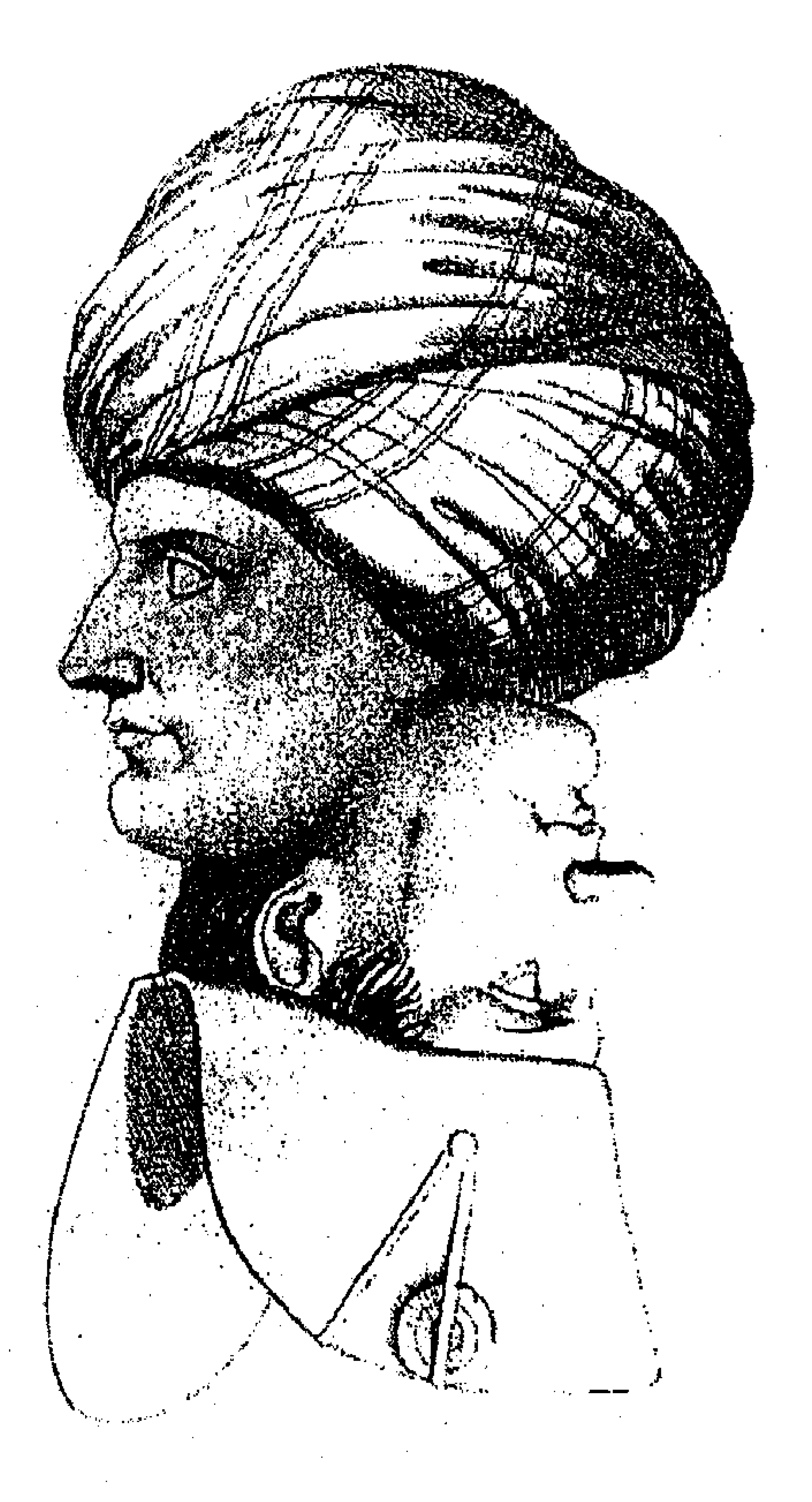
ولاتقولوا إن فى الفتنة إعلاء كلمة الدين، حاشا لله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام، والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس.

ولما حضر سارى عسكر إلى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبى عليه

الصلاة والسلام، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان، وأمر بإقامة شعاير المساجد الإسلامية وإجرا خيرات الأوقاف السلطانية، وأعطى عوايد الوجاقلية وسعى فى حصول أقوات الرعية، فانظروا هذه الألطاف والمزية، ببركة نبينا أشرف البرية.

وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجداً *عظيما بمصر لا نظير له فى الأقطار، وأنه يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. انتهى بحروفه.

* بونابرت يتعهد ببناء أكبر جامع للإسلام فى مصر.



وكان أشيع بمصر قبل مجيهم وعودهم من الشام بأن سارى عسكر بونابارته مات بحرب عكا، وتناقله الناس وأنهم ولوا خلافه، فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار: «وقد حضر سليما من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته» إلى آخر السياق المتقدم.

وفى ثانى عشرينه أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملازاده ابن قاضى العسكر، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به إلى القلعة، فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديداً.

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قريت عليهم. مضمونها أن سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلما يكون من أهل مصر ومولودا بها، يتولى القضا ويقضى بالأحكام الشرعية كما كانت الملوك المصرية يولون القضا برأى العلما للعلما.

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم إننا جميعا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده إلى مكانه، فإن والدته وجدته وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه، وسارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة.



وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك، وزاد فى القول بأن قال: وأيضًا إنكم تقولون دايما إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى، فهذا الفعل مما يسى الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم، وخصوصا عند العامة فأجاب الوكيل بعد ما ترجم له الترجمان بقوله: لا بأس بالشفاعة، ولكن بعد تنفيذ أمر سارى عسكر فى اختيار قاض خلافه وألا تكونوا مخالفين ويلحقكم الضرر بالمخالفة.

فامتثلوا وعملوا القرعة* فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى، ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون، وذهب به الوكيل إلى سارى عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات، فتغير خاطره عليه وأمر بإحضاره آخر النهار، فلما حضر لامه وعاتبه فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل.

* انتخاب الشيخ العريشى قاضى قضاة لمصر بالقرعة. وهو بذلك أول قاضى قضاه مصرى.

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية فى منزل «دوجا» قايمقام، وركبوا صحبته إلى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثمنة، وركبوا جميعاً

إلى المحكمة الكبيرة بين القصرين ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم إلى دار السيد أحمد المحروقى وجلسوا عنده، ولما كان فى ثانى يوم أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس وينطل القيل والقال.

وفيه كتبوا أوراقاً *وطبعوا منها نسخا وألصقوها بالأسواق وصورتها:

* منشور بونابرت بخصوص انتخاب قاضى قضاة مصر من المصريين.

جواب إلى محفل الديوان من حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية محب أهل الملة المحمدية خطابا إلى السادات العلما أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى، نخبركم أن القاضى لم أعزله وإنما هو هرب من إقليم مصر وترك أهله وأولادهم وخان صحبتنا من المعروف والإحسان الذى فعلناه معه، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ويحكم بدله ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لأنه صغير السن ليس هو أهلا للقضا، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة، واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين، فاستحسنت أن يجتمع علما المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علما مصر وعقلاهم لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المومنين، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعاً أن

يكون لابسًا من عندى وجالسًا فى المحكمة، وهكذا كان فعل الخلفا فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين.

وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والإكرام لما حضر لى وقابلنى ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ولم أحب أن يضره أحد حكم أماننا له، ولما رفعناه إلى القلعة لم نرد ضرره بل رفعناه مكرمًا مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام.

* سارى عسكر بونابرته.



وسبب ما رفعناه إلى القلعة سكون الفتن والإصلاح بين الناس، وبعد لبس القاضى الجديد وجلوسه فى محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضى وأنزله من القلعة وأرد له كامل تعلقاته وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث أرادوا باختيارهم لأنه فى أمانى وتحت حمايتى، وأعرف أن أباه ما كان يكرهنى ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه.

وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول.

* بونابرت يعلن انقضاء دولة العثمانلى من مصر.

وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمانلى* من أقاليم مصر وبطلت أحكامها منها.

وأخبروهم أن حكم العثمانلى أشد تعبًا من حكم المماليك وأكثر ظلمًا، والعاقل يعرف أن علما مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية يصلحون للقضا أكثر من غيرهم فى ساير الأقاليم.

وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين أخرج من حقهم، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة لأجل ما

أعاقبهم، فإن سيفنا طويل ليس فيه ضعف ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها، كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلايق أجمعين بإذن رب العالمين والسلام انتهى.

وفى تلك الليلة قتلوا شخصين أحدهما على جاويش ريس الريالة* الذى كان بالإسكندرية عند حضور الفرنسيس والثانى قبطان آخر، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياماً ثم يطلقونهما، فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما حتى قتلوهما.

* الريالة: هى الأسطول البحرى.

وفى صبيحة ذلك اليوم قتلوا شخصين أيضاً من الأتراك بالرميلة.

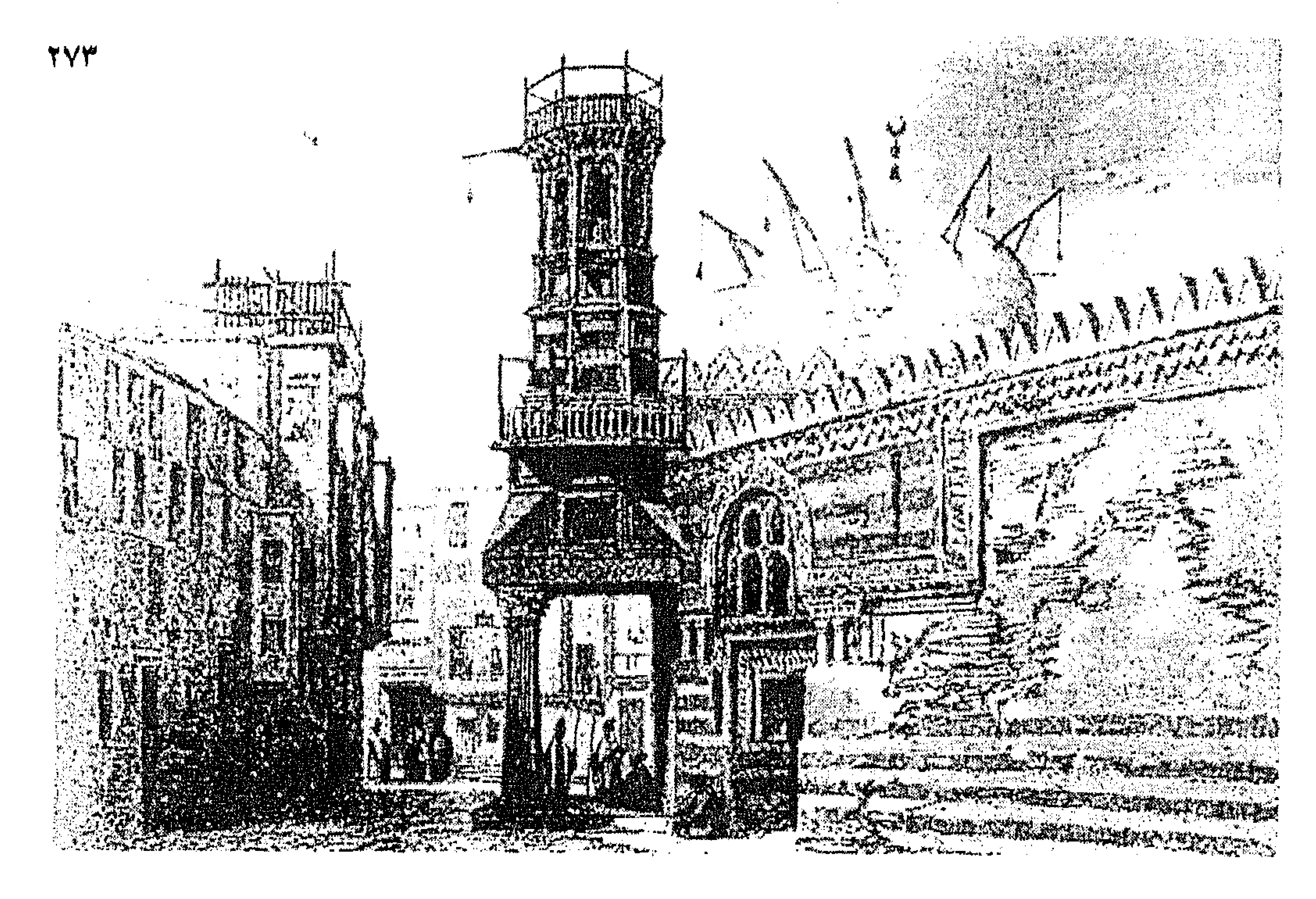
وفيه أفرجوا عن زوجات حسن بك الجداوى.

وفى ثامن عشرينه جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماهم.

وفى تاسع عشرينه قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بك الكبير، وآخر يسمى أبو كلس، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى حسين مملوك الدالى إبراهيم فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر المذكور فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه، فأطلق وبقى الآخر.



* احد شوارع دمياط .

وفي يوم الأحد ثالثه حضر السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف سابقا من دمياط إلى مصر وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر وفيهم عثمان أفندى العباسي، وحسن أفندى كاتب الشهر وأخوه قاسم أفندى وأحمد أفندى عرفه، والسيد يوسف العباسي والحاج قاسم المصلي وغيرهم، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ومنهم من حضر من البر خفية فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بك التى بساحل بولاق حتى وصل إلى داره، وتوجه في ثاني يوم مع [الشيخ] المهدى وقابل* سارى عسكر فبش له ووعده بخير ورد إليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح إليه على العادة.

* عمر مكرم يقابل بونابرت.

وفيه رابعه حضر أيضًا حسن كتخدا الجربان بأمان وكان بصحبته عثمان بك الشرقاوى.

وفيه أشيع أن مراد بك ذهب إلى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد.

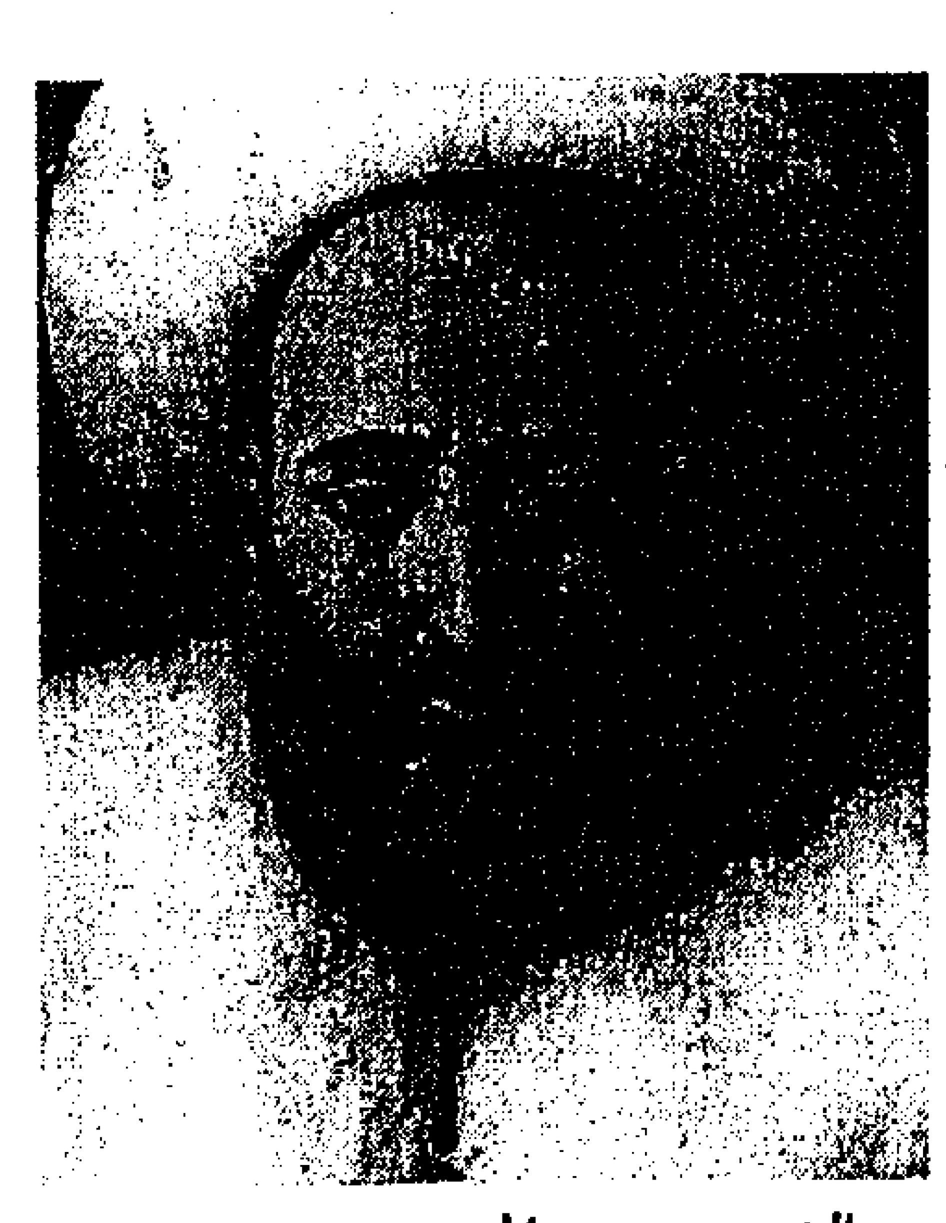
* قتل عبد الله أغا أمير يافا.

وفى خامسه قتلوا * عبد الله أغا أمير يافا وكان أخذ أسيرا وحبس ثم قتل.

وفيه قتل أيضًا يوسف جربجى أبو كلس ورفيقه حسن كاشف.

* الشيخ المهدى يولم وليمه لبونابرت.

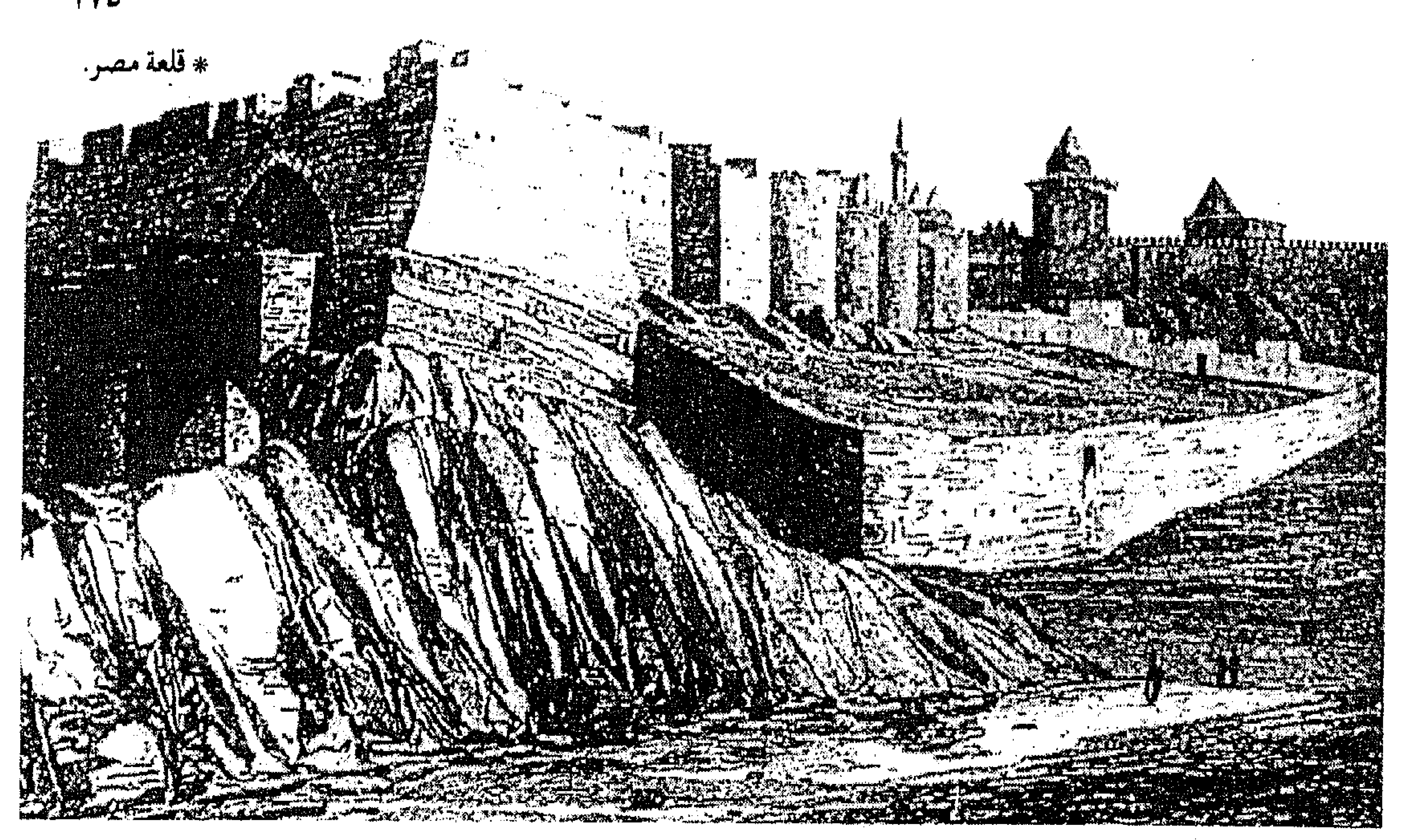
وفى سادسه عمل الشيخ محمد المهدى* وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا.



* الشيخ محمد المهدى.

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكا أسرى وأصعدوهم إلى القلعة قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بالبحيرة فأووا إلى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس، فنزل عليهم طايفة من العرب فأخذوا الخيول فمروا مشاة، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم، وقيل إنهم أووا إلى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد وكانوا أكثر من ذلك، وفيهم كاشف من جماعة عثمان بك الطنبرجى فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا إليهم ليلا وفر من فرمنهم وقتل من قتل وأسر الباقى، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف التجأ إلى كبير الفرنسيس فحماه وأخذه عنده وأحضروا الأسرى إلى مصر

* قلعة مصر.



وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى روسهم عرقى* من لباد وغيره وأصعدوهم إلى القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا.

* عرقى: طاقية.

وفى تاسعه أحضروا أيضًا ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة وفى ذلك اليوم قتلوا أيضًا نحو العشرة من الأسرى المحابيس.

وفى يوم الأحد عاشره ركب فى عصريته سارى عسكر وعدى* إلى بر الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك، ولما صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بك عندهم.

* مطاردة مراد بك فى الجيزة وهروبه للصعيد.

وفى هذا اليوم ظهر أن مراد بك رجع ثانيًا إلى الصعيد وشاع الخبر أيضًا أن عثمان بك الشرقاوى وسليمان أغا الوالى

وآخرين مروا من خلف الجبل وذهبوا إلى ناحية الشرق فخرج عليهم جماعة من العسكر وفيهم برطلمين ينى الرومى ريس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضمة إليهم وبعض فرنساوية فأدركوهم بالقرب من بلبيس وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة، وكان عثمان بك يغتسل فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملهم وقدور الطعام. على النار ولم يمت منهم إلا مملوكان وأسروا منهم اثنين، ووجدوا على فراش عثمان بك مكاتبة من إبراهيم بك يستدعيهم إلى الحضور إليه بالشام.

وفى ليلة الاثنين حادى عشره [١٦ يوليو ١٧٩٩م] وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الإسكندرية وأبى قير وأخبروا بأنه وردت مراكب* فيها عسكر عثمانية إلى أبى قير، فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديهم إلى البر الغربى بسبب ذلك، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى، وفى ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضًا واهتم حنا بينو المتولى على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة.

* وصول الاسطول العثمانى إلى أبو قير (موقعة أبو قير البرية).

وداخل الفرنساوية من ذلك وهم* كثير ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر وبعث بالمقدمة وركب هو فى يوم الثلاثا ثانى

* بسبب تمارض العسكر الفرنساوية ورغبتهم فى السفر إلى فرنسا اصدر بونابرت الأمر التالى:
من القائد العام بونابرت إلى الجنرال برتييه

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

عشر. وأرسل مكتوبا إلى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعوا فى غيبته السابقة.

وفى سادس عشره ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل إلى قلعة أبى قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها، وعثمان خجا هذا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بك وحج معه ورجع صحبته إلى الشام فلما توفى صالح بك سافر إلى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور، فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى.

واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام، فقال المسلم للنصرانى إن شا الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم وكلام من هذا المعنى، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه، وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرفوا وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة.

فأرسل قايمقام إلى الشيخ المهدى وتكلم فى شأن ذلك، وحاججه واصبحوا فاجتمعوا بالديوان فقام المهدى خطيبا وتكلم كثيراً ونفى الريبة وكذّب أقوال الأخصام وشدد فى تبرية المسلمين عما نسب إليهم وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى، وهذا المقام من مقاماته المحمودة ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم.

وفيه حضرت مكاتبة * من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبى قير وصورتها:

رئيس أركان الحرب العام.
القاهرة فى ١٣ فريمير سنة٧
أرجو يا سيادة الجنرال المواطن أن تبلغ الأطباء ورئيس الجراحين أنى غير راض عن السهولة التى يمنحون بها شهادات العودة إلى أوروبا لأشخاص يدفعهم الجبن وعدم الثبات وعدم حبهم لتأدية الواجب إلى ترك الجيش قبل انتهاء الحملة.
أوضح لهم أنه يتحتم عليهم ألا يمنحوا الشهادات إلا للأشخاص الذين لا يمكن علاجهم إلا فى أوروبا الأمر الذى يدعو ـ فى بلد صحى مثل مصر ـ إلى الحد من تلك الشهادات إلى عدد قليل من المرضى.
أن ذلك لا يعنى يا جنرال أنى أنوى الاحتفاظ فى الجيش بعناصر لا تخفق قلوبها بالإحساس بشرف زمالتنا فى السلاح.
ليرحلوا فانى سوف أسهل لهم طريق العودة ولكنى لا أريد منهم أن يتستروا ـ بادعاء المرض ـ على السبب الحقيقى لعدم مشاركتنا التعب والمخاطر حتى لا نجازف باشراكهم فى مجدنا وعزتنا وكرامتنا.
(كورييه دى ليجيبت ص (٧٥).

* خطاب من عسكر أبو قير إلى بونابرت بوصول الأسطول العثمانى.

انتصار أبو قير

مستخرج من خطاب الجنرال بونابرت
إلى الجنرال دوجا

من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور الساعة ٧ صباحا.

فى الساعة السابعة من صباح البارحة وجدنا أنفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمنا هزيمة منكرة، واستردنا منه القريتين، وأستولينا على متارسهم واستحكاماتهم وخنادقهم وكل ما فى معسكرهم وطاردناهم حتى البحر وأغرقنا منهم، من ١٠ آلاف إلى ١٢ ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر واسمه سعيد مصطفى باشا، سأحضره بنفسى إلى القاهرة. وقد قتل منا مائة جندى وأصيب أربعمائة بجراح، من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجيير Fugieres وقائد الفرقة مورانجييه وكان ضمن القتلى العريف لوتورك وقائد الفرقة دوفيفييه Duvivier وياورى جبير Cuibert

أمضاء بونابرت

وهذه بعض التفاصيل الأخرى التى وصلتنا بخطابات خاصة:

يظهر أن سلاح الفرسان كان له ضلع كبير فى الانتصار. لقد تقدم الفرسان الهجوم على الأعداء للاستيلاء على استحكماتهم المبنية من الرمال، وكانت فجواتها مليئة بالمنحدرات، وأصاب قائدها الجنرال مورا جرح فى فمه فى اللحظة التى أعطى فيها إشارة الاندفاع الجارف الذى كان دائما يحقق له النصر. والمعتقد أن حالته لا تدعو إلى الانزعاج.

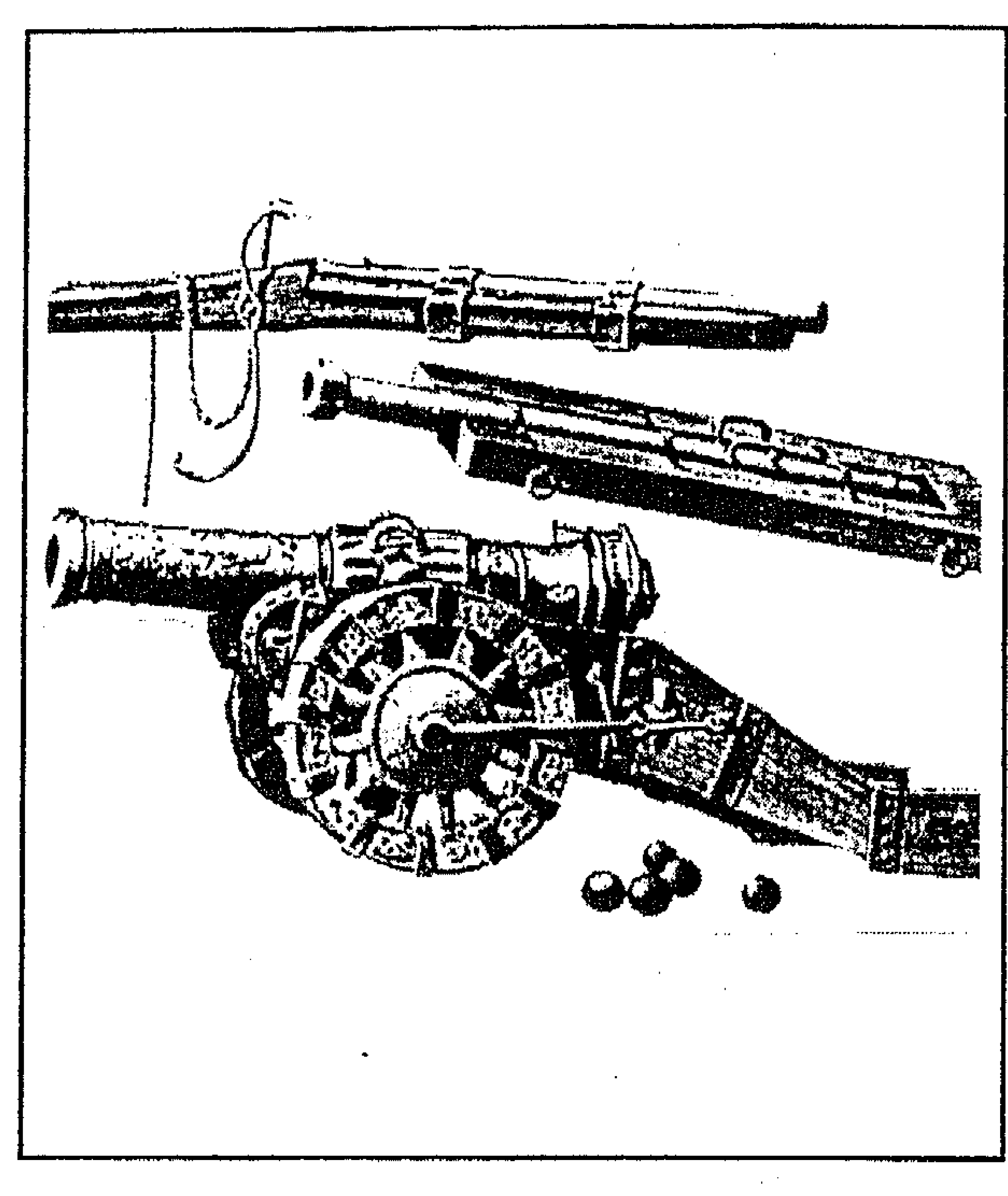
لم تبذل سفن مدفعية الأعداء أى مجهود لحماية جنودهم فكانوا يفرون مهرولين نحو البحر.

سعيد مصطفى باشا كان قد أحضر معه مؤنا غذائية من البن وغيره

* أعلى ميناء ابو قير واسفل الاسطول الفرنسى فى الميناء قبل تدميره فى موقعة ابو قير البحرية.

لا إله إلا الله محمد رسول الله ›، نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير، عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق الزايدة إليكم نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ونقاصص أعدانا المحاربين، وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة، حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة.

وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر إسكندرية وقصدوا أن يدخلوها فلم



يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم، فرحلوا عنها وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير وابتدوا ينزلون فى البر، وأنا الآن تاركهم وقصدى أن يتكامل الجميع فى البر وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع وأخلى بالحياة الطايعين، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر.

والسبب فى مجى هذه العمارة إلى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان لأجل نهب البلاد وخراب القطر المصرى.

وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الإفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله وعدواتهم واضحة

ومعاطف وغيرها من الملابس ونقودا لتوزيعها على أهل البلاد واكتساب مؤيدين له ومريدين، فأستولينا على كل ذلك.

هذا الانتصار الباهر كان خاتمة حملتنا الدفاعية للسنة السابعة. هزم العدو فى ميسرته فقد هدمنا فى سوريا ذاتها كل ما كان يعده فيها لغزو مصر عن طريق البر فى الوقت الذى لم تكن تسمح له الرياح بالقيام بأية مغامرة عن طريق البحر. ومن ثم لم يتمكن من اجبارنا على تقسيم قواتنا لمقاومته فى موقعين متباعدين عن بعضهما، بل بالعكس هذه الميزة كانت لنا حتى إذا ما واتت الرياح لفرصة انزال الجنود، عجلت بالزج بميمنته إلى ساحة الوغى والهزيمة.

هذا ونأمل أن يكف البريطانيون عن كبريائهم فى تفاخرهم بموقعة أبو قير البحرية، وأن أخبار موقعة أبو قير التى دارت فى ٧ ترميدور سنة ٧ سوف تخفف فى نفوس الفرنسيين من حسرة ذكرى تلك الموقعة البحرية التى دارت رحاها فى خليج أبو قير بتاريخ ١٤ ترميدور سنة٦.

ليس هناك تفكير فى أن يرسل الجنرال بونابرت إلى بلدية باريس سيف الجنرال البرى والبحرى الأسير. فلو كنا قد أودعنا فى بلدية باريس سيوف جميع الجنرالات والقواد التى استولت عليها القوات الفرنسية أثناء الحرب لكنا حولنا هذا المبنى إلى ترسانة لا تخلو طبعا من السيوف البريطانية ولكن هذا عمل لا يقدم عليه الجمهوريون، وأوروبا ذاتها التى عودناها على أعمالنا الجسام لن تسكت عن مثل هذا الغرور.

انظر. كورييه دى ليچيبت العدد (٣٥).

في مقر القيادة العامة بالاسكندرية
في ١٥ ترميدور سنة ٧
من ألكسندر برتييه إلى قائد الفرقة دوجا.
صمدت قلعة أبو قير منذ بدأت المعركة في ٧ من هذا الشهر إلى ظهر يوم ١٤ حيث استسلمت بعد أن دكت حصونها من حوالى ١٥ مدفعا طوال هذه المدة من جميع العيارات.
وجدنا فيها حوالى ثلاثة آلاف عسكرى تركى أسرناهم وكان من بينهم ابن مصطفى باشا القائد العام ووجدنا أيضا ٨٠٠ جندى مصابين بجراح مختلفة.
وبذلك يكون الجيش التركي قد فنى وكان قوامه ١٥ ألف مقاتل قتل منهم من قتل وغرق من غرق، وأسر الباقون ولم يَنجح أحد.
اقبلكم.

الكسندر برتييه

وصل القائد العام والجنرال برتييه إلى القاهرة في ٢٣ ترميدور وقد وصل أيضا في نفس اليوم مصطفى باشا والأسرى الاتراك الآخرون قادمين من أبوقير.
اتفاق تبادل الأسرى موقع بين الجنرال مارمون Marmont بتصريح خاص من القائد العام بونابرت، والباترونا بك Pa-trona Bey قائد الاسطول الحربي التركي.
البند الأول: يتبادل الطرفان أسراهم رجلا برجل ورتبة برتبة.
٢ ـ الجرحى والاطباء والجراحون لا يعتبرون أسرى حرب.
٣ ـ ابتداء من اليوم وفي ظرف ثلاثة أشهر ويستحسن قبل هذا الميعاد يرحل الأسرى الفرنسيين الموجودين حاليا في القسطنطينية ومختلف أنحاء الامبراطورية التركية على سفن ترسو في ميناء الاسكندرية. وفي نفس الوقت يرحل إلى الاسكندرية عدد مماثل من الاتراك وستجرى عملية

لمن كان يعبد الله ويومن برسول الله، يكرهون الإسلام. ولا يحترمون القرآن، وهم نظرا لكفرهم في معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة، وأن الله ثالث تلك الثلاثة، تعالى الله عن الشركا، ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لا تعطى القوة وأن كثرة الآلهة لا تنفع، بلى إنه باطل لأن الله تعالى هو الواحد الذى يعطى النصرة لمن يوحده، هو الرحمن الرحيم المساعد المعين المقوى للعادلين الموحدين، الماحق رأى الفاسدين المشركين، وقد سبق فى علمه القديم وقضاه العظيم أنه أعطانى هذا الإقليم، وقدر وحكم بحضورى عندكم إلى مصر لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم وبرهان قدرته العظيمة، ووحدانيته المستقيمة، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا لأنهم ما قدروا أن يعملوا الذى عملناه ونحن المعتقدين وحدانية الإله ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر للكاينات والمحيط علمه بالأرضين والسموات، القايم بأمر المخلوقات، هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات.

ونخبركم بالمسلمين إن كانوا صحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام لأن أعدا الإسلام لا ينصرون الإسلام، ويا ويل من كانت نصرته بأعدا الله وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مويدا أو يكون مسلما ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير مع السفالة والرذالة، وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار كل

يوم تخريف واحتقار، ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال.

نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية من ساير الأقاليم والبلاد، لأن البلد الذى يحصل فيه الشر يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن نفعل فيهم مثل ما فعلناه فى أهل دمنهور وغيرها من بلاد الشرور بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحريراً فى الرحمانية يوم الأحد خامس عشر صفر سنة أربعة عشر ومايتين وألف [١٩ يوليو ١٧٩٩م].

وطبعوا من ذلك نسخاً وألصقوها بالأسواق وفرقوا منها على الأعيان، انتهى.

وفى ثامن عشرة، وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار وكلها على نسق واحد تزيد عن المائة مضمونها بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الإسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر، فصار الناس يحكى بعضهم لبعض ويقول البعض أنا قرأت المكتوب الواصل إلى فلان التاجر، ويقول الآخر مثل ذلك ولم يكن لذلك أصل ولا صحة، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة واختلق هذه النكتة، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم، وسبحان الله علام الغيوب.

التبادل بناء على البندين الأول والثانى.

٤ ـ كلما رست فى الاسكندرية سفينة تركية عليها أسرى فرنسيون يخطر قائد الحامية بعدد الاسرى الموجودين لديه للتبادل. وعلى القائد الفرنسى تقديم عدد مماثل من الأسرى الأتراك فى ظرف ٧٢ ساعة لاتمام عملية التبادل فوراً.

الاسكندرية فى ١٨ ترميدور سنة ٧ للجمهورية.

* * *

أمر يومى بتاريخ ١٤ ترميدور سنة ٧ بونابرت القائد العام.

كان اسم أبو قير بغيضا لكل فرنسى ولكن يوم ٧ ترميدور جعل هذا الاسم مجيدا بانتصار الجيش الذى عجل بعودته إلى أوروبا.

لقد استولينا على ماينز Mayence وحدود نهر الراين واليوم استرددنا ممتلكاتنا فى الهند وممتلكات حلفائنا. وبعملية واحدة أوجدنا فى يد حكومتنا السلطة والقدرة على اجبار بريطانيا بالرغم من انتصاراتها البحرية على قبول صلح يمجد جمهوريتنا.

لقد تحملنا الكثير من العذاب وحاربنا أعداء من مختلف الملل والبيئات والأجناس وبقى علينا أن ننتصر على آخرين، وستكون نتائج هذه الصراعات جديرة بنا، وسوف نستحق عليها اعجاب وتقدير أمتنا.

بونابرت

امضاء: اسكندر برتييه

قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام

انظر كوريه دى ليجيبت ص ١٤٠.

وفى ليلة الأربعا عشرينه [صفر ١٢١٤هـ = ٢٤ يوليو ١٧٩٩م] أشيع أن الفرنساوية تحاربوا* مع العساكر الواردين على أبى قير وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبى قير وأخذوا مصطفى باشا أسيراً وكذلك عثمان خجا وغيرهما، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة وبصحن الأزبكية وعملوا فى ليلتها أعنى ليلة الأربعا حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى، وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة* من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت، لم أقف على صورتها

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢١٤

فى ثانيه وصلت مراكب من بحرى وفيها جرحى من الفرنساوية.

وفيه قبضوا على الحاج مصطفي البشتيلى الزيات من أعيان أهالى بولاق وحبسوه ببيت قايمقام، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشى، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر، ثم نقلوه إلى القلعة.

* القضاء على الأسطول العثمانى فى أبو قير.

* خطاب الجنرال دوجا بخصوص الاستيلاء على قلعة أبو قير ونصه:

صورة مكتوب لجنرال دوكا قيمقام أمير الجيوش بمصر حالا، إلى الإسلام وكافة أرباب الديوان.

بعد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم، لا يخفاكم انه وصلنى خبر صحيح بأن العساكر الفرنساوى ملكت قلعة أبو قير فى ١٥ شهر ترميدور الموافق إلى شهر صفر سنة ١٢١٤ [يذكر الجبرتى فى المتن المجاور أن الفرنسيين استولوا على قلعة أبى قير فى ليلة الأربعا ٢٠ صفر أى ليلة الواقعه (وهو الأصح). وأنهم استأسروا فيها ثلثة آلاف نفر، ومن الجملة مصطفى باشا. وغاية ما وقع أن العمارة التى نزلت فى أبو قير كانت بها عساكر خمسة ألف لم يخلص منهم أحد، بل الكل تلاشوا وهلكوا، ثم أخبركم، عن لسان حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته، إنكم، فى الحال، تظهرون هذا الخبر بين الخاص والعام، وتشهروه فى الأقاليم المصرية. فإنه خبر فيه سرور وفرح وألزمكم انكم تعرفونى، فى الحال، عن إشهار هذا الخبر القاخر المعتبر. وأخبركم أن حضرة السارى عسكر الكبير بونابرته يحضر إليكم عن قريب. والله تعالى يحفظكم. والسلام ختام]'.

تحريراً فى ٢٢ شهر ترميدور سنة السابعة لمشيخة الفرنساوية الموافقة إلى ٢ ربيع الأول سنة ١٢١٤ [١٤ أغسطس ١٧٩٩م]

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر حالاً

وحول انتصار أبو قير:

مستخرج من خطاب الجنرال بونابرت إلى الجنرال دوجا.

وفى سادسه حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم فى رواية الأخبار.

وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامى، وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا ابن العظم.

وفى ليلة الأحد تاسعه حضر سارى عسكر الفرنساوية بونابرته ودخل إلى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين، وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس، ثم إنهم صرفوهم بعد حصة من النهار فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية وأصعدوا باقيهم إلى القلعة.

وأما مصطفى باشا سارى عسكر فإنهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه إلى الجيزة مكرما، وأبقوا عثمان خجا بالإسكندرية، ولما استقر سارى عسكر بونابارته فى منزله ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه، فلما استقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان إن سارى عسكر يقول لكم إنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه، وأما فى هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه، وأن المهدى والصاوى ما هم «بونو» أى ليسوا بطيبين ونحو ذلك، وسبب كلامه هذا الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات، فإن الأغا الخبيث كان يريد

من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور الساعة ٧ صباحا.
فى الساعة السابعة من صباح البارحة وجدنا انفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمناه هزيمة منكرة، واستردنا منه القريتين، واستولينا على متاريسهم واستحكاماتهم وخنادقهم حتى البحر وأغرقنا منهم، من ١٠ آلاف إلى ١٢ ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر واسمه سعيد مصطفى باشا ـ سأحضره بنفسى إلى القاهرة وقد قتل منا ماية جندى وأصيب أربعماية بجراح، من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجبير وقايد الفرقة كريتان وقايد الفرقة موارنجييه. وكان ضمن القتلى العريف لو تورك وقايد الفرقة دوفيفييه وياورى جبير.

امضاء

بونابرت

كوريه دى ليجيبت ـ رقم ٣٥ ص ١٣٥.

* فى اثناء عودة قافلة الحجاج المغاربة ارسل قايدهم خطابا إلى بوسليك جاء فيه.
منذ أن تركنا مدينتكم زرنا بيت الله. لقد مضت هذه الرحلة فى هدو، ولم نقابل عربا فى طريقنا.
اما عند عودتنا فقد هجم علينا حشد من العرب عند خروجنا من المدينة ـ مدينة النبى ـ واستولينا على عدد من جمالهم. وفى هذه المعركة قتل اثنان من حجاجنا.
وصلنا القصير وكنا سنسلك طريق مصر إلا أن امير الحج [الشامى إسماعيل باشا العظم] طلب منا أن نصحبه إلى مقربة من القدس، فاتضح لنا عندئذ أنه يدبر دسيسة ما ضد الفرنسيين مما اضطرنا إلى الانفصال

أن يقتل فى كل يوم أناسا بأدنى سبب، فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه فى الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة، وهو يرسل إلى سارى عسكر فيطالعه بالأخبار ويشكو منهما، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك، فلاطفوه حتى انجلى خاطره، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين إلى أبى قير والنصر عليهم وغير ذلك.

وفى يوم الثلاثا حادى عشره عمل المولد النبوى بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده. وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا وإسراج قناديل واصطناع مهرجان، وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الإسكندرية إلى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافى القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به إلى داره فقطعوا رأسه تحتها ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق*.

وفى ثالث عشره أشيع بأن كبير الفرنسيس سافر إلى جهة بحرى، ولم يعلم أحد أى جهة يريد، وسيل بعض أكابرهم فأخبر أن سارى عسكر المتوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجها إلى ناحية أبى قير ووعده بالعود إليه بعد وصوله إلى مصر، وراج ذلك على الناس وظنوا صحته.

ولما كان يوم الاثنين سادس عشره خرج [بونابرت] مسافرا من آخر الليل وخفى أمره على الناس.

عنه دون تحية واتخذنا طريقنا إلى القدس ـ وهذه الدسيسة هى أن الجزار ارسل رسولا إلى إسماعيل باشا قبل أن يصلوا القدس ينصحه بأن يقود جميع الحجاج إلى عكا حيث تحمل مراكبه المغاربة إلى مراكش ووعد بأن تكون هذه المراكب فى حماية البريطانيين موكدا بأنهم إذا لم يأخذوا بنصيحته واصروا على العودة إلى القاهرة، فسوف يبيدهم الفرنسيون ويسلبون أموالهم. فأجاب قايد المغاربة أن امبراطور مراكش على صلة صداقة طيبة مع فرنسا.
كوربيه دى ليجيبت العددين ٣٥، ٣٦. ص١٣٦، ص١٣٨.

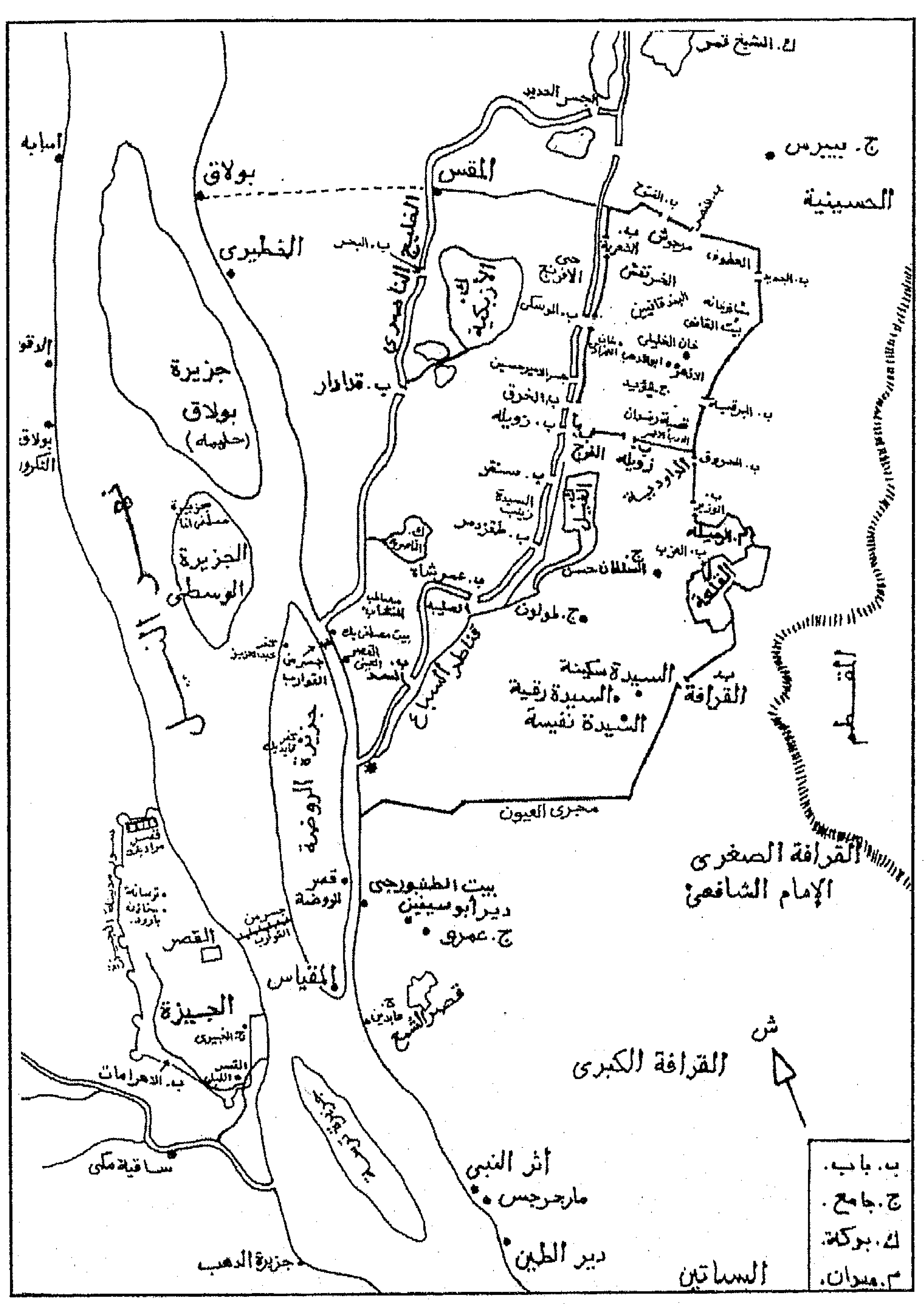
* وهذه هى صورة الفتوى، حكم الشرع الشريف، الذى صدر من محكمة رشيد، دام جلالها، على عثمان خوجا. خطابا إلى حضرة الجنرال الحاكم فى البلد المذكورة، مؤرخ بأربعة وعشرين من شهر ترميدور. سنة السبعة من إقامة الجمهور الفرنساوى، يعنى فى الثامن من ربيع الأول سنة ١٢١٤ [١٠ أغسطس ١٧٩٩م].
وصلنا مكاتيبكم بالأمر اننا نستخبر ونكشف عن جميع الأعمال التى حدثت من طرف عثمان خواجا كردلى، وننظر إن كان حصل منه

الشرّ أكثر من الخير. وبموجب هذا الأمر، بحضور حضرة سيدنا شيخ الإسلام العالم المتورع الشريف أحمد الخضارى مفتى حنفى، ونقيب الاشراف المكرّم المحترم الشريف بدوى، وقدوة الأعيان الحاجّ أحمد أغا السلحدار، والمكرّم على شاوش كتخدا، وقدوة التجّار أحمد شحال، والمكرم سليم أغا، والمكرّم إبراهيم الجمال، والشريف على الجمانى، والشيخ مصطفى ظاهر، والشريف إبراهيم سعيد، والمكرّم محمد القادم، والحاجى باشى سليمان، وبحضور جماعة المسلمين خلاف المذكورين اعلاه. ثم حضر رمضان حمودى، ومصطفى الجبّار، وأحمد شاوش، وعبد الله والحاجّ حسن أبو جوده، والحاج بدوى المقرالى، وعلى أبو زرازى، وبدوى دياب، وحسن عرب. وثبت، من اقوارهم ومن شهاداتهم، أن عثمان الخوجا المذكور كان ظلمهم ظلما شديداً بالضرب والحبس من دون حق، ونهب أملاكهم. وخلاف ذلك سيل، من جماعة المسلمين الحاضرين فى المجلس، إن كان حصل من طرف عثمان خوجا الشرّ أكثر من الخير، فكلّهم قالوا بلسان واحد: ان حصل من طرف عثمان خوجا الشرّ أكثر من الخير. وبسبب ذلك انقطع رأس عثمان خوجا حاكم رشيد سابقاً، مطابق لأصله ومعناه باسم حاكم رشيد الان.

طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة.



* مصطفى باشا. كان قائدا للأسطول العثمانى الذى هزمه الفرنساويه واسروه



* القاهرة على وقت الحملة الفرنسية

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه الموافق لتاسع مسرى القبطى كان وفا النيل* المبارك فنودى بوفائه على العادة، وخرج النصارى البلدية من القبطة والشوام والأروام، وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب وذهبوا تلك الليلة إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة وأكتروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغانى، وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمرا سابقا، من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف، وصحبتهم نساهم وقحابهم وشرابهم، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين، وبعضهم تزيا بزى أمرا مصر ولبس سلاحا وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم، على سبيل الاستهزا والسخرية وغير ذلك وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر، ووقع فى تلك الليلة بالبحر وساحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف، وسلك بعض غوغا العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله، وإن لم يكن من أمثاله.

إذا كان رب الدار بالدف ضاربا
فشيمة أهلِ الدار كِلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير.

ترجمة للمحضر الخاص بقطع جسر الخليج والعقد الذى يعلن أن «الميرى» مستحق على الشعب المصرى.

أحمد العريشى قاضى مدينة القاهرة المحروسة.

هذا ما وقع فى جلسة العدل الشريفة وفى مجلس شيوخ الدين حفظه الله ووقاه من كل تغيير وكل بدعة، المنعقد فى القصر الكائن على مصب قناة الحاكمى بين مصر القديمة وبولاق، بمقتضى سلطة مولانا وسيدنا عالم المسلمين الجليل الكامل فى علومه، سند ديانة محمد وسعادة الكون، المتبصر فى تطبيق الشرع، قاضى القضاة الموجود الآن فى القاهرة المحروسة والمبين اسمه أعلاه، حفظ الله مجده وزاده من نعمته. وبحضور السيد الاستاذ الأكبر العالى الثقافة والشرف والاحترام، مفخرة ذرية الصديق نجم مجدهم اللامع فى الحق فرع الشجرة المحبوبة المطهرة كنار الشرف، حامى أهل الخير وسند أهل الحق المؤمن برحمة الله خالقه، مولانا وسيدنا الشريف خليل أفندى البكرى الصديقى من سلالة الحسن، شيخ بيعة أجداده، أسيادنا من بين الصديقين وحماة الأشراف النبلاء فى القاهرة حاليا، من سيدنا ومولانا الشيخ، أول العلماء اقداما على نقل العلوم إلى محبيها، سند طلاب العلم، عماد المؤمنين الحقيقيين، بركة المسلمين، ووارث علم سيد المرسلين، زين

الشريعة والدولة والدين، سيدنا الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ المشايخ النافعين والذين يدرسون فى الأزهر الشريف.
من مولانا وسيدنا شرف العلماء والعلم عماد الحق المتقد الذكاء، حجة العلماء الكبار فريد عصره، صدى نقل العلوم والمعارف، الفطن اللسان العالم المشهور بين العلماء، سيدنا الشيخ شمس الدين محمد الحفناوى المعروف باسم المهدى المحترم
من مولانا وسيدنا علامة العلماء، بحر الأضواء، لسان الخطباء حقل أهل الفكر، سند المعلمين، عماد الحق ووارث العلم من سيد المرسلين زين الشريعة والدولة والدين، سيدنا الشيخ مصطفى الصاوى عين وأفضل المتبصرين بين النافعين الذين يصدرون القرارات ويدرسون فى الجامع الأزهر.
ليحفظهم الله لنا لمواصلة الخير الذى نناله منهم آمين. ومن أشرف الأثرياء النجم العالم بين العظماء العين المبصرة بين جماعات المحترمين من أصحاب المراتب العليا الأمير مصطفى آغا عبد الرحمن آغا فرقة الانكشارية بالقاهرة.
من فرع الشجرة المحبوبة التاجر المحترم السيد الشريف حاج أحمد المعروف باسم المحروقى أعظم رجل فى هيئة تجار القاهرة.
من الشريف بين الأغنياء المشهورين المتازين المحترمين الشهير الأمير حسن آغا بكراتى المحتسب فى القاهرة.
من الشريف بين المشهورين الرجل الممتاز المحترم الشهير البرنس على اغا شعراوى حامى القاهرة المحروسة.
من المحترم بين زملائة الأمير المحترم يوسف بيه جاويش توفيكجو.
من المشهور المحترم الأمير يوسف باشا هياتم
من الشريف بين الأكابر مصطفى آغا حتال باش اختيار نوت فركاح.
من الشيخ الوقور الأمير مصطفى أفندى أول كاتب فى هيئة الكتاب.
من المشهور المحترم الأمير إبراهيم كخياعزبان.
من المرموق بين أهل القلم الممتاز بينهم ذى المكانة المحترمة بين الكبراء الرجل المشهور الأمير إسماعيل أفندى كاتب أحوال.
وأخيرا من مجلس كبير يتكون من أشخاص كثيرين آخرين لا يمكن ذكر أسمائهم وكلهم يتمتعون بالاحترام آمين.
فى اليوم المبارك (الجمعة) ١٩ من شهر أمشير القبطى هو آخر شهر فى سنة ١٢١٣ من الميرى (الخراج) الموافق ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ هجرية، وهذا اليوم هو التاريخ المذيل به هذا العقد الذى عقد بحضور طائفة من أهل السلطة المحترمين للحاكم المشهور دوجا، قائد حامية مدينة القاهرة المحروسة، جعل الخير على يديه، آمين.
لقد اكتمل النيل المبارك بإذن الله العظيم المعبود الرحمن الرحيم بعباده، وقد فرحنا وسررنا سرورا عظيما، وكان لنا أكبر عزاء، ونحن نرجو ونطلب من الله أن يغمرنا بنعمه وعطفه، ونشكره على عطاياه لخلقه وعباده.
ارتفعت مياه النيل فى هذه السنة إلى ١٦ ذراعا و ٧ سنتيمترات كما هو مبين فى مقاييس العمود الخاص بها، وبناء على ما أعلنه الشيخ مصطفى، قياس ومدير قاعة مقياس الروضة. فى هذا اليوم بعد طلوع الشمس انكسر سد الخليج وتدفقت المياه فى قناة الحاكمى كالمعتاد منذ قديم الزمان، وحمدنا الله على أن النيل ارتفع منسوبه إلى ١٦ ذراعا و ٧ سنتيمترات وأن السد قد تهدم وأن المياه تدفقت فى القناة كما قلنا.
وبناء على هذا يجب على جميع الملاك فى مصر قاطبة دفع رسوم الميرى بأكملها والحاصلات الزراعية لهذا العام كالمعتاد.
انها تعتبر دينا واجب الأداء قبل الحاكم الذى يطالب بها دون ابطاء ولا أمهال ـ هذه هى مشيئة القانون.
فى هذا اليوم المبارك ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٤ هجرية والحمد لله الخالق العظيم الذى يرى ويحاسبنا على جميع أفعالنا.
امضاءات
انظر. كوربيه دى ليجيبت العدد. ٥٠ ص ١٩٤.

وفى الصباح ركب دوجا قايمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر وحضروا إلى قصر السد وجلسوا به، واصطفت العساكر بين الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى أن انكسر السد وجرى الما فى الخليج فانصرفوا.

وفى خامس عشرينه طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا.

وفى سادس عشرينه كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل.

وفيه ألصقوا أوراقا أيضا مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به، ونادوا بموجب ذلك بالأسواق.

وفى سابع عشرينه كتبوا أوراقا أيضا مضمونها انقضا سنة مؤجرات أقلام المكوس، ومن أراد استئجار شى من ذلك فليحضر إلى الديوان ويأخذ ما يريده بالمزاد.

وفيه أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها، وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه.

وفي ثامن عشرينه تشفع أرباب الديوان في أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة ماية كيس، فاجتمع الرويسا والتجار وترووا واشتوروا في مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها في كل عشرين يوما خمسة وعشرون كيسا، فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا، وأفرج عنهم من القلعة وأجلوا الباقي على الشرح المذكور.

وفيه ورد من بونابارته* سارى عسكر الفرنساوية كتاب من الإسكندرية خطابا لأهل مصر وسكانها فأحضر قايمقام دوجا الرويسا المصرية وقرا عليهم الكتاب، مضمونه:

أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفوا له ملك مصر، ويقطع دابر المفسدين وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا كليبر سارى عسكر دمياط.

فتحير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الإنكليز ووقوفهم بالثغر، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية صيفًا وشتا، ولكيفية خلوصه وذهابه أنبا وحيل لم أقف على حقيقتها.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه قدم سارى عسكر كليبر صبيحة ذلك اليوم فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم، وذهب إلى

* سفر نابليون بونابرت سرًا إلى فرنسا وتعيين كليبر محله. وكليبر هو جان – باتيست كليبر – ولد في استراسبرج عام ١٧٥٣م = ١٦١٧هـ. توفي قتيلاً في القاهرة، بيد سليمان الحلبي في حديقة الأزبكية في القاهرة في ١٤ يونيو عام ١٨٠٢م = ١٢١٧هـ.
كان من أهم قواد الحملة الفرنسية على مصر. جرح في الاسكندرية أثنا قيادته لحملة ضد المماليك، كما أنتصر على العثمانيين في معركة (جبل التوباد) المشهورة. خلف نابليون بونابرت على قيادة الحملة في مصر، عندما ذهب نابليون إلى فرنسا سعيا وراء العرش الذى يحلم به. هزم الحملة العثمانية في عين شمس عندما فشلت المفاوضات الخاصة بجلا الحملة الفرنسية على مصر.
* وعن وقايع عودة بونابرت إلى فرنسا نذكر إن نابوليون اتفق مع الأميرال غانتوم على أن تكون تحت أمرته السفينتان لاكاريير La Carriére ولاموريرون La Muiron وركب في



بيت بونابرته الذى كان ساكنا به وهو بيت الألفى بالأزبكية وسكن مكانه، وفى ذلك اليوم قدمت طايفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النسا وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة.

وفيه ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا إلى الغد، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابرته، فإنه كان بشوشا ويباسط الجلسا ويضحك معهم.

الأولى بونابارت والجنرالان «برتيه ومونج» ومعهما «برتللو» العالم الرياضى، و«بوريين» سكرتير نابوليون. وركب فى الثانية الآخرون. وقد روى «بوريين» لنا فى مذكراته أن عدد الذين ركبوا السفينتين كان يبلغ من اربعماية إلى خمسماية بين قواد وضباط وعلما. وأتباع. وكان ممن سافر مع نابوليون رستم المملوك المشهور الذى أهداه إليه السيد خليل البكرى، ومما رواه سافارى (كونت ده رفيجو) فى مذكراته، أن نابليون ومن معه غادروا ضواحى الاسكندرية ليلاً بحيث لم يعلم بهم أحد، ولما نزلوا البحر من نقطة على الشاطىء (لابد وأن تكون برج العرب قرب المكس) تركوا الخيول التى كانوا يركبونها فعادت أدراجها جافلة إلى الاسكندرية فذعرت الحامية وارتفعت أصوات الأبواق، وهب الحراس ظنّا منهم أن هناك حملة فاجأتهم على غرة، حتى إذا ابصروا الخيل بلا فوارس لها، ظنوا أن كميناً من الأعراب فتك بشرذمة من الجنود الفرنساويين، فأصدر قايد الحامية أمراً باعداد حملة للاستكشاف، وصارت المدينة فى هرج ومرج، وضجيج وصخب، حتى اتضح الأمر، وعرف جواد نابوليون وأخبر بعض الخدم العايدين بما جرى. وهنا نكمل لمولانا الشيخ الجبرتى عبارته بذكر أنباء الحيل التى استطاع بها نابوليون بونابرت الوصول إلى فرنسا «مع وجود مراكب الإنجليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنساوية»

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

فلا مندوحة لنا من نقل بيان موجز للوسايل التى اتخذت للتملص من الاساطيل البريطانية، ولدينا فى مذكرات بوريين، كاتم أسرار نابوليون ورفيقه فى هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار، العبارة الآتية:

قال بوريين:

«فى يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٧٩٩ ركبنا فى السفينتين (لاموريون، ولا كوبير) وكان عددنا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ وكانت الليلة حالكة الظلام بحيث كنا نلتمس الوصول إلى السفينتين تحت نور النجوم الضئيل.

ولم يكن الاميرال غانتوم حرا فى تصرفاته واتخاذ السبل البحرية التى يراها موصلة بنا إلى الشواطى الفرنسية لأن نابوليون استبد بالأمر وقال للاميرال بصراحة وصرامة: إن ارادتى هى أن تسير بمحاذاة الشواطى الافريقية إلى أن نصل إلى جنوبى جزيرة سردينيا.. إن معى بضعة أفراد من الرجال الأبطال ومعى كمية من الذخاير والمدافع فإذا انقض علينا الانجليز ونحن بجوار الشاطى الافريقى، فانى أستطيع أن أنزل إلى الأرض اليابسة وأشق طريقى بهولا الشجعان الصناديد إلى وهران، أوإلى تونس، أوإلى أية فرضة بحرية أخرى علنا نستطيع الحصول على ما يوصلنا إلى بلادنا».



ثم استمر بوريين فى وصف الرحلة والقلق الذى كان يساور نابليون ومن معه من انقضاض السفن الانجليزية عليهم، حتى أراد الله الذى اختار نابليون بونابرت لعرش فرنسا لينفذ على يديه ارادته العالية فى اوروبا، أن تصل السفينتان الفرنسيتان إلى خليج (مريجوس) فى جنوب فرنسا فى الثامن من شهر اكتوبر من تلك السنة.

صورة خطاب الجنرال دوجا بخصوص سفر بونابرت:

من محفل الديوان الخصوصى، خطابا إلى ساير الأقطار المصرية، من الأقاليم جهة القبلية والبحرية، وكامل الرعايا وفقهم الله.

نخبركم أنه حضر إلى الديوان مكتوب من حضرة الجنرال دوكا القيمقام، بأن سارى عسكر بونابرته الكبير، قبل غيابه، اقام عوضه رجلاً كاملاً عاقلاً، فيه شفقة ورحمة عامة على الرعيّة، جعله اميراً على الجيوش الفرنساوية. وأخبرنا القيمقام اننا نكون فى غاية الامان والاطمينان على ديننا ومتاجرنا واموالنا وأسباب معاشنا، كما كنّا فى زمان حضرة السرعسكر الكبير بونابرته. فننصحكم يا ايّها الرعايا لا تطيعوا اهل الفساد، واتركوا الفتن والعناد، وامتثلوا أمر خالق العباد. والسلام عليكم ختام.

القيادة العامة بالقاهرة من كليبر القايد العام إلى الجيش.

أيها الجنود

دفعت اسباب قهرية الجنرال بونابرت القايد العام إلى السفر إلى فرنسا. لم تمنعه اخطار الملاحة فى وقت الأعاصير وشق طريقه وسط عباب بحر ضيق محاط بالأعدا من كل جانب، من السفر إلى فرنسا لأن فى ذلك مصلحة لكم.

أيها الجنود، سوف تأتيكم نجدة عظيمة أو يحل علينا سلام مجيد جدير بكم وبأعمالكم فتعودوا إلى أوطانكم.

عندما تسلمت اعباء القيادة من بونابرت شعرت بأهميتها وبكل ما كان يكتنفها من متاعب ومشقة، ولما كنت من جهة أخرى مقدرا فيكم الهمة العالية التى طالما توجت نجاح باهر، ولهـا كنت مقدار ايضا مثابرتكم العظيمة وطول أناتكم وشجاعتكم فى تحدى الأخطار والأهوال وتحمل جميع صنوف الحرمان، ولما كنت اقدر حق التقدير كل ما يمكن الاقبال عليه من أعمال جِسام مع مثل هولا الجنود لم اتردد البتة فى أن يكون لى شرف قيادتكم وقد زدت قوة على قوة.

أيها الجنود لا تشكوا إطلاقا فى أن كل ما تطلبونه سوف يكون موضع عنايتى الخاصة.

امضاء كليبر



* سارى عسكر كليبر.

الفقير السيد خليل البكرى
نقيب الاشراف
الفقير محمد المهدى
كاتم سرّ الديوان
الفقير سليمان الفيومى
المالكى
الفقير على كتخدا مجرلى
باش اختيار
الفقير لطف الله
المصرى
الفقير جبران
سكروج
الفقير بودوف
الفقير عبد الله الشرقاوى
رئيس الديوان
الفقير مصطفى الصاوى
الشافعى
الفقير السيّد احمد
المحروقى
الفقير يوسف باش شاوش
تفنكجيان
الفقير يوسف
فرحات
الفقير لومار
الفقير ذو الفقار كتخدا
كوميسار الإسلام
نظر وعلم وكيل الفرنساوى
جلوتيه.

(طبع بمطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة)

وهذا نص منشور كليبر بتولية القيادة بعد سفر نابليون.

واستهل شهر ربيع الثانى
بيوم الأحد سنة ١٢١٤ (١٧٩٩م)

*مولد الحسين.

فى أوايله ابتدوا فى عمل مولد* المشهد الحسينى وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الجوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الخميس ثانى عشره.

وفيه طلب سارى عسكر الجديد من النصارى القبط ماية وخمسين ألف ريال فرانسة فى مقابلة بواقى سنة اثنتى عشرة ومايتين وألف وشرعوا فى تحصيلها.

وفى يوم الجمعة سادسه ركب سارى عسكر الجديد من الأزبكية ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد إلى القلعة وكان أمامه نحو الخمسماية قواس وبأيديه النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروزه، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم، وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولّى من جهتهم ومنضما إليهم ما عدا رؤسا الديوان من الفقها فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى فى ذلك الموكب، ولما صعد إلى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب إلى داره.

وفى يوم السبت سابعه ركب أغات الينكجرية فى أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس وأمامه المنادى يقول: حكم ما رسم سارى عسكر خطابا للأغا أن جميع الدعاوى والقضايا العامية لا تعمل إلا ببيت الأغا،

وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستاهل ما يجرى عليه.

وفيه ركب سارى عسكر الكبير فى موكب دون الأول ووصل إلى بيت ريس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوى، ثم رجع إلى داره.

وفى يوم الأحد ثامنه عمل سارى عسكر وليمة فى بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ثم انصرفوا إلى دورهم.

وفى يوم الثلاثا * عاشره كان آخر المولد الحسينى وحضر سارى عسكر الفرنساوية مع أعيانهم إلى بيت شيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم وأمامه الأغا والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة، فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب، وشاهدوا وقود القناديل.

* فى صفحة ٢٩٤ يذكر الجبرتى أنه كان من المقرر أن ينتهى المولد فى يوم الخميس ثانى عشر ربيع الثانى.

وفى سادس عشره نودى بنشر الحوايج* وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات، ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأة أيضًا للكشف على أماكن النسا، فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها كقولهم إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم، مع أنه لم يكن شى سوى التخوف من العفونة والوبا.

* احتياطات لمنع انتشار الطاعون. ونشر الحوايج هنا يقصد به نشر أثاث المنازل ومتاعها فى الشمس والهواء الطلق.

* مولد السيد على البكرى. وكيفية صياغة الولى.

وفى عشرينه نودى بعمل مولد السيد على البكرى* المدفون بجامع الشرايبى بالأزبكية بالقرب من الرويعى، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات، وأذنوا لهم بالذهاب والمجى ليلا ونهاراً من غير حرج.

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد علىّ وأنه كان رجلا من البُلْه، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الراس والسوأتين غالبا، وله أخ صاحب دها ومكر لا يلتم به، واستمر على ذلك مدة سنين، ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثيابا وأظهر للناس أنه أذن له بذلك، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك. فأقلبت الرجال والنسا على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه والإنصات إلى تخليطاته وتأويلها بما فى نفوسهم، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بما فى النفوس، فانهمكوا على الترداد إليه وقلد بعضهم بعضا وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شى وخصوصا من نسا الأمرا والأكابر، وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته وصادت شبكته وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البو* العظيم، فلم يزل على ذلك إلى أن مات فى سنة سبع بعد المايتين كما تقدم، فدفنوه بمعرفة أخيه فى قطعة حجر عالية من هذا المسجد من غيرمبالاة ولا مانع، وعمل عليه مقصورة ومقاما وواظب عنده بالمقرين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين، بذكر كراماته وأوصافه فى قصايدهم ومدحهم ونحو ذلك،

* البو: هو الجمل المولود أو جلده بعد موته يحشى بالتبن لينتفخ ويقرب من امه حتى تدر لبنها.

ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شبّاكه وأعتابه ويغرفون بأيديهم من الهوا المحيط به ويضعونه في أعبابهم وجيوبهم ، كما قال البدر الحجازى فى بعض منظوماته:

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا
كل ذى جنة لدى الناس قطبا
عَلَمًا هم به يلوذون بل قد
اتخذوه من دون ذى العريش ربا
إذا نسوا الله قائلين فلان
عن جميع الأنام يفرج كربا
وإذا مات يجعلوه مزارا
وله يهرعون عجما وعربا
بعضهم قبّل الضريح وبعض
عتبَ الباب قَبلوه وتربا

هكذا المشركون تفعل مع أصنامهم تبتغى بذلك قربا.

إلى أن قال:

كل ذا من عمى البصيرة والويـ
ـل لشخص أعمى له الله قلبا
والحجازى من سمى حسنا يـنـ
ـظر ما خالف الشريعة صعبا

وفى المعنى:

ألا قل لمكى مقول نصوح
وحق النصيحة أن تستمع

* دراويش الطرق الصوفية.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

متى سمع الناس فى دينهم
بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير
ويرقص فى الجمع حتى يقع
ولو كان طاوى الحشا جايعاً
لما زاد من طرب واستمع
وقالوا سكرنا بحب الإله
وما أسكر القوم إلا القصع
كذلك الحمير إذا أخصبت
تنهق من ريها والشبع

فهرعت لزيارة قبره النسا والرجال بالنذور والشموع وأنواع المأكولات، وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً، فلما حضر الفرنساوية إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه فى جملة المهملات وترك مع المتروكات، فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرايع واجتماع النسا واتباع الشهوات والتلاهى وفعل المحرمات، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

فيه اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل وشددوا فى ذلك، وعملوا عزايم وولايم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين، ولم يعملوه

عيد الثورة الفرنسية.
تفاصيل الاحتفال بأول فاندمير سنة ٨ المقام في القاهرة بمناسبة عيد تأسيس الجمهورية.
عند شروق الشمس أطلقت جميع مدافع القلعة والحصون المحيطة بالقاهرة طلقاتها ايذانا ببدء الاحتفال. وفى نفس الوقت هب الجنود المعسكرون فى بولاق ومصر العتيقة والقاهرة من مختلف الأسلحة لينتظموا فى طوابير تتجمع فى الأرض الفضاء الواسعة والكائنة بين مزرعة إبراهيم بك وحصن المجمع العلمى [عند القصر العينى].
وفى الساعة السابعة اجتمع عند الجنرال كليبر القائد العام جميع كبار الضباط وآغا الجنود الانكشارية وأعضاء الديوان والقضاة وحسين مصطفى باشا الذى أسر فى موقعة أبو قير.
استقبلهم القائد العام فى السراى الفسيحة ذات الذوق الرفيع وذات الرياش الفاخرة والتى تزينها تذكارات النصر المختلفة. وقبل الذهاب إلى مكان الحفل خلع القائد العام على كل من آغا الانكشارية ورئيس الديوان وقاضى القضاة معاطف مزركشة جميلة قائلا لأولهم:
تقبلوا هذا المعطف شاهدا على ثقتى بكم وشعارا للسلطة التى أريد أن تتحلوا بها، فعندما تسهرون، أنام أنا مطمئنا مستريحا.
وقال لرئيس الديوان: فتذكروا دائما الهيئة التى ترأسونها. انها أنشئت لمعاونة السلطة بحكمتها وبنصائحها. وعليها أن تكبح الشهوات الجامحة التى تؤدى إلى الجرائم. ويتعين على أولى الأمر من رجال الشرع معاقبة الذين يستحقون العقاب.
ثم قال لقاضى القضاة: أنت يا وزير العدل، أقم العدل بين الناس دون

على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصاري العظيم المنتصب والكيفية المذكورة، لأن ذلك الصاري سقط وامتلأت البركة بالماء.

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمرا والأعيان بالبكور إلى بيت ساري عسكر فاجتمع الجميع في صبح يوم الاثنين فركب ساري عسكر معهم في موكب كبير وذهبوا إلى القصر العيني، فمكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ولعبوا لعبهم في ميدان الحرب، وخلع ساري عسكر على الشيخ الشرقاوي والقاضي وأغات الينكجرية خلع سمور، ثم رجعوا إلى منازلهم ثم نودي في جميع الأسواق بوقود أربع قناديل على كل دكان في تلك الليلة، ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا في المراكب طول ليلهم.

وفي سابعة بعد عيد الصليب نقص ما النيل، وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شرا الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم هذه الغلة الموجودة الآن إنما هي زراعة العام الماضي، وأما هذا العام فلا تخرج زراعته إلا في العام المستقبل، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر، وقد كاد يقع الغلا العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت.

تميز، فكلهم متساوون أمام القانون، واجعلوا الناس ـ بفضل عدالة أحكامكم ـ يباركون الحكومة الفرنسية التي ارتبطتم معها بيمين عظيمة.

ثم وزع القائد العام الهدايا على كبار المشايخ وبدأ الموكب يتحرك، تتقدمه وتتبعه جنود الفرسان والموسيقى العسكرية في الطريق إلى الساحة على ضفة النيل الشرقية بجوار مزرعة إبراهيم بك وحصن المجمع.

كل جنود المشاة يسيرون على جانبي مربع كبير تقفل طرفيه ثلة من رجال الهجانة والخيالة في منظر رائع.

وكان يقف فوق المرتفعات التي تفصل بين السهل والمدينة جنود من المشاة لاستكمال هذا المنظر الجميل.

استعرض القائد العام جميع الفرق ثم اتخذ مكانه ومن في معيته على منصة عالية وسط المربع وألقى في الجنود الخطاب الآتي:

أيها الجنود..

لقد طويتم اليوم السنة السابعة منذ أن حطم الشعب الفرنسي آخر قيود العبودية وأطاح بالملكية وأقام جمهوريته.

لقد ساندتم الجمهورية وحميتموها بقيمكم الغالية، في الشمال والجنوب والشرق والغرب، ووسعتم من حدودها، تقهقر الأعداء الذين كانوا في غمرة كبريائهم، قد اقتسموا مقاطعات بلادنا، وهم الآن، والذعر يملأ قلوبهم، لا يعرفون متى تكفون عن غضبتكم في التنكيل بهم وماهية الحدود التي تقفون عندها.

أن أعلامكم، يارفاق السلاح الشجعان، تنوء بما تحمله من أكاليل الغار. وأعمال مثل هذه الأعمال ينبغي أن يكون لها حدود، ومجدكم هذا يحتم ثمنا غاليا. أن الأمر لا يتطلب سوى قدر قليل من المثابرة حتى تحققوا هذا وذاك. وما هي إلا



* رسم لوشم علي الذراع بصعيد مصر.

* عيد الصليب: هو ذكري الكشف عن الصليب الذى عُلق عليه السيد المسيح.

لحظات قليلة حتى تصبحوا على استعداد لأن تمنحوا العالم سلاما دائما بعد حروبكم المجيدة.
وكانت الهتافات تدوى بحياة الجمهورية تصاحبها طلقات المدافع ورصاص البنادق.
وبعد أن قام الجنود بمختلف المناورات بدقة ومهارة مذهلة، بدأ جنود المشاة بالسير في مقدمة الموكب بطوابير منسقة تتبعها فرقة الهجانة ثم المدفعية ثم لحقت بها فرقة الفرسان ومدافع الميدان.
وبمناورة سريعة ورشيقة اتخذت مواقعها استعدادا للمعركة، المدفعية فى الوسطة فى مواجهة المنصة العالية التى كان يعتليها القائد العام وجميع المشايخ الأتراك والباشا الذى أظهر دهشة فائقة لهذه المناورات وطريقة أدائها من الجنود. وفور الانتهاء من هذا التشكيل أطلقت المدفعية وفرقة الفرسان طلقات سريعة ايذانا بانتهاء الحركات العسكرية.

وعاد الموكب بنفس النظام الذى جاء به مجتازا جزءا كبيرا من المدينة فى طريقه إلى مقر القائد العام.
وبعد أن تفرق المدعوون فى الساعة الرابعة بعد الظهر، تجمعوا من جديد لتناول طعام الغداء. وقد وقع الاختيار لإقامة المأدبة على شرفة جميلة تزين حديقة القائد العام التى تشرف على ميدان الأزبكية. وزينت فيها الأعمدة والتعاريش بذوق بديع وتنسيق جميل، وأعدت مائدة عليها مفارش فخمة على طول الشرفة وهى تتسع لمائتين من المدعون. وعند طرفى المائدة خصص مكان لفرقتين موسيقيتين كانتا تتناوبان عزف أجمل السيمفونيات والمقطوعات الموسيقية طوال فترة تناول الطعام.

وفى نهاية المأدبة نهض القائد العام وشرب نخب رفاهية الجمهورية ومجد سلاحها.
وفى غمرة الفرح كان الليل قد قارب أن يرخى سدوله والأتراك الذين يأوون إلى منازلهم فى وقت مبكر ظلوا ساهرين ليشاهدوا عملية إطلاق الصواريخ التى قام بها الجنود بقيادة قائد المدفعية جروبير Grobert وقد أدوها بنجاح كبير.
وأقيمت قنطرة تمثل جسر النصر وقد انحسرت المياه وكشفت عن دعائم الجسر وأعدت الطرق على هيئة مدرجات بقصد استعمالها في الحفل وأقيمت بين أقواس القنطرة مسلات تعلو قمتها أكاليل من أوراق الزيتون. أما الوسطى منها فكان يعلوها تمثال يمثل أوروبا وكتب تحتها الاستيلاء على مالطة. أما تمثالا قارتى آسيا وأفريقيا فكانا في وسط القوسين الجانبيين وقد كتب تحت الأول: معركة جبل تابور Tabor وكتب تحت تمثال أفريقيا: معركة أبو قير.
ففى هذه البقع الثلاث من العالم تميز جيش الشرق. أما الدعائم الأربع للجسر وكانت تقرأ عليها العبارات التالية:
الذكرى السنوية للجمهورية الفرنسية.
الوطن ساهر علينا.
الشجاعة اكتسبت الحرية.
أيها الجنود دافعوا عن رسالتكم.
ووضعت بعض الصواريخ على المراكب والجزر الصغيرة التى لم تغمرها مياه الفيضان وأطلقت المدافع بين الحين والآخر خلال إطلاق الصواريخ.
أما المدينة فكانت كلها مضاءة وقد اشترك أهل القاهرة فى احتفالاتنا بشكل لم يسبق له مثيل.
وانصرف المسلمون الذين كانوا قد أمضوا النهار عند القائد العام أو فى ضيافته بعد الانتهاء من إطلاق الصواريخ.

وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية إلى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير، فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات. ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة واصطلح معهم على شروط(*) منها تقليد إمارة الصعيد تحت حكمهم،

وفى هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس.

واستهل شهر رجب
بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

وفيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا إلى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان أغا كتخدا الدولة وحسين أغا نزله أمين ومصطفى أفندى الدفتردار وباقى رجال الدولة، وعسفوا فى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرايب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال، فلما كان فى منتصفه وردت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش، وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها فى تاسع عشره واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب، وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع

وقد اختتمت الحفلات بحفلة أوروبية راقصة أحيتها الفرنسيات اللاتى صحبن الجيش إلى مصر واللائى كن يعشن فيها من قبل وسيدات بعض الجاليات الأوروبية الأخرى.
انظر: كورييه دى ليجيبت: العدد (٣٩).

* معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك
بسم الله القدير
نظراً لما أبداه الأمير سامى المقام الحائز لكمال الشرف والاعتبار مراد بك محمد من الرغبة فى أن يعيش فى سلام ووفاق مع الجيش الفرنسى بمصر، ولما يرغبه القايد العام كليبر من الإعراب عما له فى نفوس الفرنسيين من الاحترام الذى استوجبته شجاعته واقتضاء مسلكه حيالهم، فقد تم الاتفاق على ما يأتى:

المادة ١
يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك محمد أميراً وحاكماً للوجه القبلى ويخوله بهذا الوصف سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل ابتداء من ناحية بلصفورة بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر.

المادة ٢
يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٣٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ باره علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

المادة ٣
الخراج الذى يدفع نقداً يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر

قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى، أما الخراج الذى يؤدى عيناً فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور، ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقداً.

المادة ٤

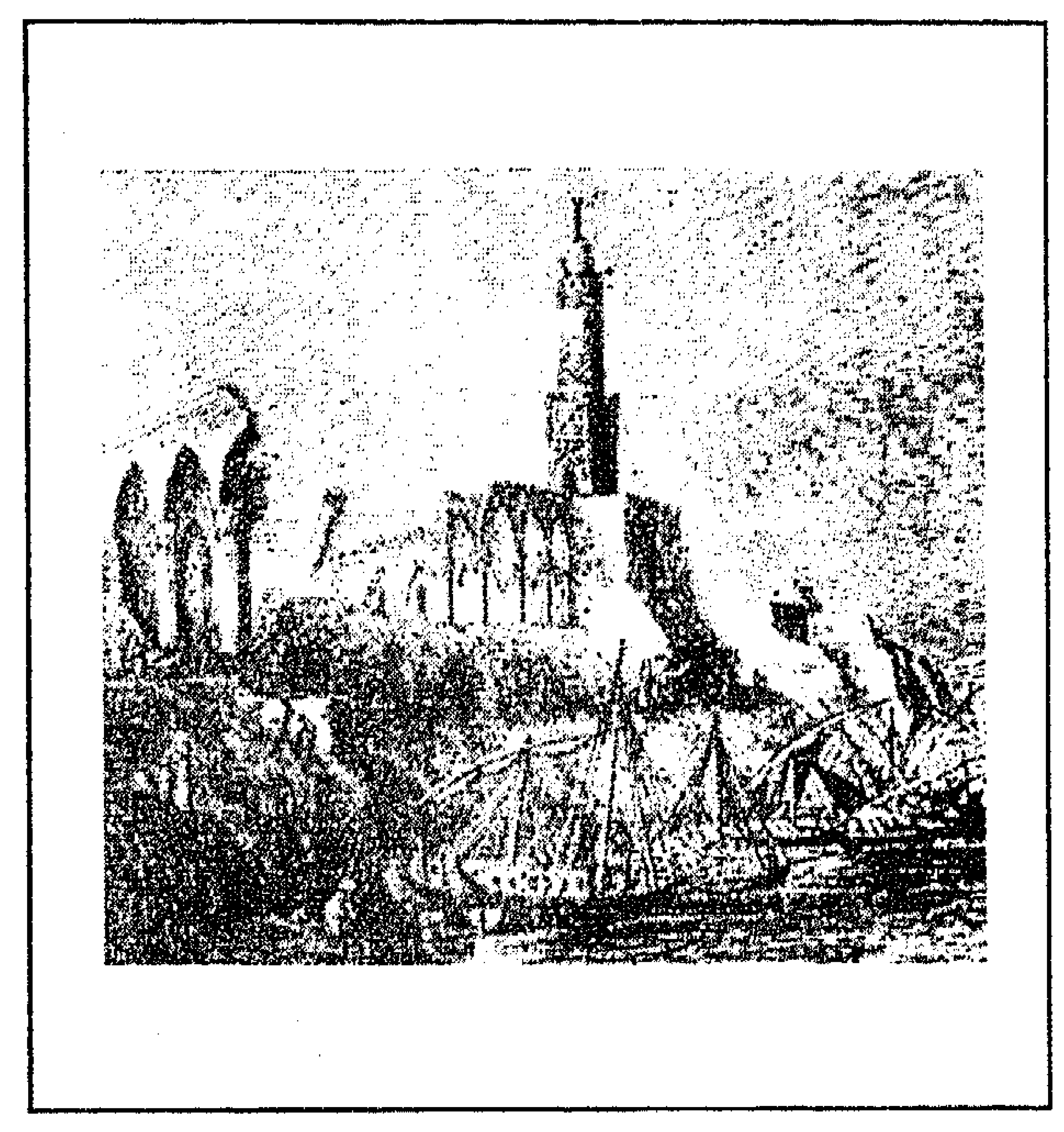
يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا، وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مايتى جندى وعلى مراد بك أن يودى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات الحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية.

المادة ٥

بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرايب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

المادة ٦

على كل طرف أن يرد إلى الطرف الآخر الجنود اللاجئين إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرايب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.



* جرجا كما كانت فى عهد الجبرتى.

المادة ٧

يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا) مقراً له. وعليه أن يرسل للقايد العام حرسًا من خمسة وعشرين مملوكًا، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبًا مفوضًا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

المادة ٨

يضمن قايد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته. وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أياً كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عدداً من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية، وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة، ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

المادة ٩

يعد القايد العام كليبر بألا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

المادة ١٠

إن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قايد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والستويان جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشون المالية المفوضين عن القايد العام كليبر،

جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم*.

فاتفق أنه وقعتْ نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة وكان شيأ كثيراً فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرنؤد الجلفي وغيره من المصرلية، ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقربها مما نزل عليهم من النارِ والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت.

ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش، وأن عساكر العثمانيين زاحفة إلى جهة الصالحية، تهيأ سارى عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت وخرج بعساكره وجنوده إلى الصالحية، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سيدنى كبير* الإنكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين.

ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطابا إلى جمهور الفرنساوية باستدعا رجلين من روساهم وعقلاهم ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما سيشترطونه بينهم، فوجهوا إليه من طرفهم «بوسليك» ريس الكتاب وديزه سارى عسكر الصعيد فنزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار.

وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القايد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد.

استيلاء العثمانيين والمصرلية على العريش من العسكر الفرنسى وانفجار القلعة بهم.

*هو الكومودور وليم سدنى سميث: قايد الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط فى ذلك الوقت، ولد فى سنة ١٧٦٤، وكان الابن الثانى لكابتن فى فرقة الحرس الانجليزية. دخل البحرية الانجليزية فى سن الثالثة عشرة. واصبح ملازما سنة ١٧٨٠. ثم عمل فى البحرية السويدية حتى حصل على لقب سير من الملك جوستاف الثالث. ثم سافر إلى القسطنطينية حيث عاش ثلاث سنوات مع أخيه تشارلز سبنسر سمث الذى كان يعمل بالسفارة الانجليزية بمنصب سكرتير أول. وفى عام ١٧٩٣ م استدعته البحرية الانجليزية للعمل بها ضد البحرية الفرنسية، فوقع فى الأسر عام ١٧٩٦ وحبس فى سجن

واستهل شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٤

فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين فيه إلى الصالحية فأرسلوا لهم الخيول وما يحتاجان إليه، وحضروا إلى مصر وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين ريس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدما.

وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير*، وورد الخبر بذلك إلى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا.

وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال إلى دوجا قايمقام فجمع أهل الديوان وقرا عليهم ذلك، ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع.

وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنسية:

هذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بوسليك مدبر الحدود العام نواب سر العسكر العام كليبر المفوضين بكامل السلطان وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى راسيسه أفندى ريس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام إن للجيش

«التمبل» فى باريس. ولكن أحد الضباط الفرنسيين المعادين للجمهورية، ويدعى لوى ـ ادمون لوبيكار دفليبوا ـ وكان زميل دراسة لنابليون بونابرت فى المدرسة الحربية بباريس عام ١٧٨٣م ـ تمكن من تهريبه إلى انجلترا عام ١٧٩٨م. فأنعم على دفيليبو برتبه كولونيل فى البحرية الانجليزية.

وفى عام ١٧٩٩م، أصبح سدنى سمث قايداً للأسطول البريطانى الصغير الذى كان يجوب البحر المتوسط، فى الوقت الذى كان فيه نابليون قد استولى على يافا، فأرسل على الفور السفينة ثيسيوس وعليها الكولونيل دفيلبو لمساندة الجزار الذى كان محاصراً فى عكا حينذاك.

انظر: بونابرت فى مصر. ج. كرستوفر هيرولد. ص٣٨٢ وما بعدها.

* بعد رحيل بونابرت، أدرك كليبر حالة الانحطاط فى الجيش فأخذ يفكر فى استئناف المبادرة الدبلوماسية مع العثمانيين ـ وأرسل إلى الصدر الأعظم يذكره بضرورة اتحاد الفرنسيين والعثمانيين ويستأنف استخدام كلام الدعاية التى ميزت الأشهر الأولى للحملة! فهو يوضح أن المماليك وحدهم اعداء الفرنسيين، وأن الفرنسيين قد حافظوا على كل علامات السلطة العثمانية فى مصر. ثم يذكر قائلا.

إن الفرنسيين لا يخشون لا أعداءهم ولا عدد هؤلاء الأعداء، كما أنهم لا يخشون الحرب، وقد قدموا البراهين على ذلك منذ عشر سنوات، لكنهم

الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدما ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب العالى فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها، يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد المغرب قاطبة.

الشرط الأول: أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرنسا إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم، أم فى تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال فقد وقع الاتفاق [انه] من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه إلى قلعة إسكندرية نايب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا.

الشرط الثانى: فلابد عن المهلة وتوقف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى، وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة فالمهلة المذكورة يقتضى مطاولتها إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال، ومن الواضح أنه لابد عن إصراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكى لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد، إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم.

إن خاضوا الحرب ضد صديقهم القديم الباب العالى، فهذا يعنى انهم يخوضونها ضد انفسهم، بل اننا مضطرون إلى الاسف لانتصاراتنا لأنها تضعف جيوشكم، التى يجب أن نتحد معها بسرعة لمحاربة اعدائكم الحقيقيين.

ويذكر كليبر فى خطابه إلى الجنود لتبرير اسباب هذه المعاهدة قوله:

ايها الجنود

اضطررت تحت ظروف قاهرة لا يمكننى التصريح بها الآن لأن اقرر وقف مجرى انتصاراتكم ومفاوضه اعدائنا بدلا من مقاتلتهم وعلى ذلك فانه بناء على المعاهدة التى وقعت عليها سوف تعودون لمواصلة خدمة الوطن بأسلحتكم وبسالتكم وعزيمتكم المعهودة بطريقة افضل من خدمتكم فى هذه البلاد، وأكثر فعالية.

ايها الجنود

لو كنت قد خيرت فى المسئوليات الجسام التى خلفها لى الجنرال بونابرت لما كنت قد قبلتها قط إلا اننى احس بأن قواى لم تكن لتفى بمهام القيادة فى تلك الملابسات الصعبة التى كنا نمر بها، وأنتم على علم بأننى لم أكن املك الخيار فى هذا الأمر.

وعلى كل حال، فان ما يعذبنى هو إيمانى الوطيد بأننى إذا كنت لم أكن قد عملت من أجلكم كل ما تستحقه شجاعتكم واخلاصكم للجمهورية، فقد عملت على الاقل كل ما كان يمكن عمله بصورة إنسانية فى تلك الظروف الصعبة التى احاطت بالجيش من كل جانب.

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى تدبيره بيد الوكلا القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسر العسكر كليبر، وإذا حصل خصام ما بين الوكلا المذكورين بوقت الرحيل فى هذا الصدد فلينتخب من قبل حضرة سيدنى سميث رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز.

الشرط الرابع : قطية والصالحية لابد عن خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم، وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضا شروط الاتفاق هذه ، ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوما، وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوما، وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر، وأما المحلات الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى اليوم العاشر والدلط [الدلتا] أى الأقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر. والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيس إلى حد خلو مدينة مصر، ولكن من حيث إنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر، فممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضا وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد. والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم إلى الباب الأعلى [الباب العالى] كما هى فى حالتها الآن.

الشرط الخامس : ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوما وأكثر بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت إمضا الشروط المذكورة.

إن الذين لم يصموا آذانهم لصوت العقل والضمير سوف ينصفوننى فيما اقول ولست غيور على ارضاء الآخرين.

ايها الجنود.

تربطنا الآن تعهدات رسمية مشهورة مشتركة مع الجيش العثمانى. وأنا مقتنع فى قرارة نفسى بأنه لا الوزير ولا أحد من الرويسا المسلمين تخالجه فكرة خيانتها ولكن فى ظل قوانينهم ونظمهم المتهورة، هل يتمكنون دائما من السيطرة على تصرفات مرؤوسيهم ؟ لا، بدون شك.

ويصبح إذن عليكم انتم الذين تحكمكم نظم وقوانين حكيمة متزنة أن تدرأوا وتتجنبوا أية مشاجرات يترتب عليها عواقب قد تكون وخيمة. ولن اترك دون عقاب أية إهانة ستوجه إليكم - ولكننى أيضا ساعاقب بفضل ما تتضمنه قوانينا من شدة كل من يتسبب منكم فى خلق أية مشكلة.

الإمضاء كليبر

كوريه دى ليجيبت. رقم ٥٧. ص٢٢٣.

الشرط السادس :أنه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناه فى أن الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته، وذلك إما من أهالى البلاد وإما من جهة العسكر السلطانى العثمانى.

الشرط السابع :وحفظا لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلابد عن استعمال الوسايط وأن عسكر الإسلام يكون دايما متباعدا عن العسكر الفرنساوى.

الشرط الثامن : فمن تقرير وإمضا هذه الشروط فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوايف من رعايا الباب الأعلى بدون تميز الأشخاص أوليك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الإطلاق والتعلق، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان والأساكل من مملكة العثملى وكذلك كامل الأشخاص من أيمّا طايفة كانت أوليك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن إنعتاقهم.

الشرط التاسع :فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر، والتدبير فى

من الملاحظ انه كانت هناك داخل فرنسا قوى تعارض حملتها فى مصر وفيما يلى مستخرج من جريدة لوسرفاتور ترتستينو عدد ٦٦.

قدم النائب رويل Ruelle لمجلس الخمسماية تقريرا باسم لجنة الاحد عشر ويعد مقدمة وأساسا لتوجيه الاتهام إلى رجال حكومة الإدارة السابقين. وفيما يلى مقتطفات منه:

أيها المواطنون النواب.

لا شك فى أن المصدر الرئيسى لضرر الوطن هو عملية انتهاك الأراضى العثمانية التى قامت بها الحملة على مصر، لانها هى التى دفعت الأتراك إلى الدخول فى الحلف الجديد، وجعلت النمساويين والروس ـ بعد أن أمنوا سلامتهم من جانب هذه الدولة القوية ـ يرسلون ضدنا قوات متفوقة، بل فى استطاعتهم أن يرسلوا قوات حتى آخر رجل لديهم.

أن الحملة على مصر التى تقررت ازدراء بالدستور وممثلى الأمة. هى المؤامرة الحقيقية والخطيرة ضد الأمن الداخلى والخارجى للجمهورية.

ولنكف عن القول بأن انعدام الخبرة لدى المديرين السابقين وانعدام كفاءتهم هو السبب فى نكساتنا الحالية. أن السبب فى الحقيقة هو خيانتهم، بقطع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والامبراطورية العثمانية فى نفس الوقت ليزداد الحلف الجديد قوة واتساعا فى شتى نواحيه. يضاف إلى هذه الأحداث جميع الأخطاء التى نتجت عن دبلوماسيتهم فى غضون عامين، فى هولندا وسويسرا وإيطاليا.

إذ كيف يمكن أن نتصور استفزاز الامبراطورية العثمانية والقوى البربرية والولايات المتحدة الامريكية علانية، تلك الدول التى لم تكن فى يوم من الأيام تفكر أو ترضى عن تقديم المعونات للحلف المذكور. لقد جاء الاستفزاز من جانب أولئك الذين كان يتعين عليهم بأى حال وبأى ثمن، العمل على كسب صداقة الامبراطورية العثمانية.

فإذا كنتم تريدون القضاء على هذه المؤامرة واجبار الروس على العودة إلى ديارهم وحرمان الانجليز من نفوذهم فى أمريكا، وقعوا معاهدة الصلح مع الأتراك والأمريكيين وأفهموهم أن الأمة الفرنسية لا تقبل العنف الذى اتبع ضدها .... (ثم تأتى الاتهامات كما يلى).

- لبيعهم أو السماح ببيع ذخائرنا وأسلحتنا ومؤننا ومختلف الأشياء الخاصة بنا، وتركهم حصوننا دون تموين لجمودهم القاتل فى موقفهم بينما كل شيء من حولهم ينذر بخطر الحرب واعداؤنا يقومون باستعدادات هائلة وتتدفق علينا من الشمال جحافل المقاتلين المدربين.

- للزج بجنودنا البواسل المتعبين دون سلاح ولا مؤن، تباد فلولها على ضفاف الدانوب والاديج من عدو يفوقها عددا.

- للاحتفاظ داخل البلاد بأكثر من مائة ألف جندى وقت إعلان الحرب.

- لانهم أرسلوا بمحض إرادتهم أربعين ألف جندى إلى صحارى الجزيرة العربية [الشام] وكأنهم ذهبوا للمنفى.

- لانهم تسببوا فى إغضاب جيش إيطاليا وفتور شجاعته وهمته بمحاكمة شامبيونيه Championnet الذى كان قد أنزل أحد الملوك عن عرشه وتعيين شيرر Scherer بدلا من هذا القائد.

- لأنهم لم ينزلوا العقاب بعملاء ووكلاء المجلس الإدارى المتهمين بتدبير المكايد والتبذير والإسراف فى الجمهوريات الحليفة.

- لتقويض دستور جمهورية شمال إيطاليا بقوة السلاح وتشويه السلطة فيها.

- لابطال المراسلات بين الوكلاء الدبلوماسيين والوزير ثم الاستيلاء عليها.

- لمحاولة النيل من الحرية الوطنية بانتهاك حرية الانتخابات.

- لانهم أرسلوا وكلاء عنهم مكلفين بالتأثير على هذه الانتخابات لصالح المجلس الإدارى وتهديد كل من كان يرفض الامتثال قائلين أن تلك هى إرادة الحكومة.

- لإرسالهم رسائل خاصة إلى الوكلاء المركزيين تتضمن شرحا وافيا عن طرق افساد الرأى العام.

- لعدم معاقبة وكيل مقاطعة السارت Sarthe والدفاع عنه بعدة خطابات.

- للطرق الإرهابية التى استعملها وكلاء المجلس الإدارى لإبعاد الوطنيين عن المجتمعات السياسية.

- لاتخاذ الإجراءات التعسفية ضد عديد من موظفى الجمهورية وعزلهم من مناصبهم قبيل الانتخابات بحجة الفوضى، وذلك لإبعاد أصوات الشعب عنهم مما أدى إلى إخماد الرأى العام.

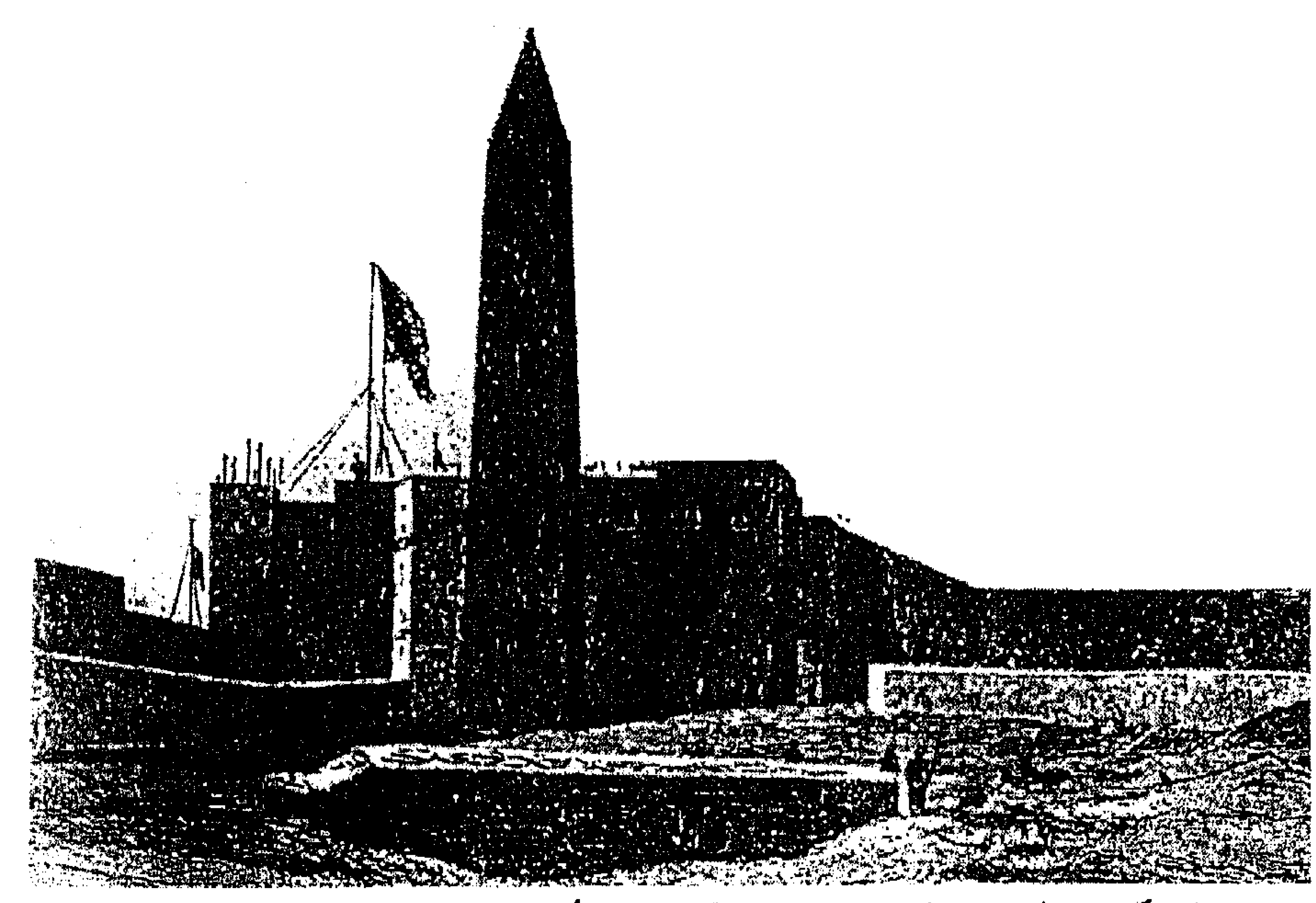
- لما قاموا به من إلقاء القبض على المواطنين وحبسهم بطرق استبدادية.

- لتركهم إعادة تنظيم صفوف المقاتلين فى حرب الفاندية Vendée

ذلك يكون بيد الوكلا فى إسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد.

الشرط العاشر :فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى من أى ملة كانت وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم نظرا إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر.

الشرط الحادى عشر : ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه أعنى بهما مملكة إنكليزة ومملكة الموسكوب [الروسيا] فرمان الإذن وأوراق المحافظة بالطريق، وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرنسا.



* الاسكندرية على عهد الجبرتى ونشاهد هنا المسلة القائمة أمام القلعة والمسلة الثانية الساقطة امامها.

الشرط الثانى عشر : وعند نزول الجيش الفرنساوى المذكور الكاين بمصر الان فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرنسا لا يحصل عليهم شى قط مما يكدرهم، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كليبر سر العسكر العام يعاهد من قبله، وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بأنه لا يصدر منهم مما يئول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المذكورة، وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه، وكذلك إن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرنسا، ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى.

بينما كان الواجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة نحو عدم اندلاعها، أو مقاتلة رجالها بوساطة القوات المنتشرة فى داخل البلاد.
ـ لتشجيعهم المواطنين على القتل والاغتيالات الموجهة خصيصا ضد الموظفين العموميين والجمهوريين، وذلك بسبب تشجيعهم الرجعية وعدم معاقبة المجرمين.
ـ وأخيرا لتعريضهم سلامة الجمهورية للخطر بسبب فساد إدارتهم.
انظر : كورييه دى ليجيبت العدد (٤٢).

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة، ودخل بمينا إسكندرية، فلازم عن سفره حالا، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالما والزاد اللازم، ويرجع إلى فرانسا وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة وإذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب تحتاج إلى الترقيع فهذه لا غير يباح لها الإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور، وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرنسا نظير التى قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها.

الشرط الرابع عشر :وقد يستطيع حضرة الجنرال كليبر سرى العسكر العام أن يرسل خبرا إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال، ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ليسهل بهذه الوساطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرنسا.

الشرط الخامس عشر : وإذا قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى ما دامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى، وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الآن من وكلا الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما

يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شونه وذلك من بعد إمضا هذه الشروط فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى.

الشرط السادس عشر: ثم إن الجيش الفرنساوى منذ ابتدا وقوع إمضا هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفوايد قطعا بالإقليم المصرى، لا بل وبالعكس فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجب قبضه، وذلك إلى حين سفرهم وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال، وأخيرا مخازن الخرج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلا موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الإنكليزى وبرفقة الوكلا المتصرفين بأمر الجنرال كليبر سارى العسكر وهذه الأمتعة لابدعن قبولها من وكلا الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور لسهولة انتقاله عاجلا ونزوله بالمراكب، وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه فالحسيس والنقص فى ذلك لابد من دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى، على جهة السلفة تلك التى يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلا المعينين من الجنرال كليبر سارى العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر : ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر فلابد أن تقبض وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى ذكره، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسماية كيس، وفى غلاق الثلاثين يوما خمسماية كيس أخرى، وبتمام الأربعين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند تمام الخمسين يوما ثلثماية كيس شرحه، وعند غلاق الستين يوما ثلثماية كيس أخرى، وفى السبعين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند تمام الثمانين يوما ثلثماية كيس أخرى، وعند غلاق التسعين يوما خمسماية كيس أخرى، وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسماية غرش عثملى، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلا المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى، ولكى يسهل إجرا العمل بما وقع الاعتماد عليه، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضا على النسختين من الفريقين يوجه حالا الوكلا إلى مدينة مصر وإلى بقية البلاد المستقر بها الجيش.

الشرط الثامن عشر : ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها.

الشرط التاسع عشر : ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعا فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة

والموجودة في البر بالإقليم المصرى مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة، وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الاسكندرية، ومن إسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون: فمن حيث إنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أوليك الذين مشكوك بهم بريحة من هذا الدا الطاعونى أن ينزل بالمراكب، بل إن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق يستمرون فى بيمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشان، ويعالجهم الأطبا من الفرنساوية أوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم يسمح لهم بالرحيل الشى الذى لابد عن اقتضا الاستعجال به بأسرع ما يمكن، ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق، نظير ما يجرى على باقى الجيش، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرويسا العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين [الموانى] التى تتعين لهم من رويسا الأطبا، تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة من حيث إنها من مجرى العادة ولا بد عنها.

الشرط الحادى والعشرون: فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ولم يمكن الاطلاع عليها فى

هذه الشروط. فلابد عن نجازها بوجه الاستحباب، ما بين الوكلا المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالى الشان وحضرة الجنرال كليبر سارى العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو.

الشرط الثانى والعشرون: وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل[تبادل] النسخ، وذلك بمدة ثمانية أيام، ومن بعد حصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما، صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالعسكر، حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهر بلويوز [بليفيوز] * سنة ثمان من إقامة المشيخة الفرنساوية، وفى رابع عشرين شهر كانون الثانى عربى من سنة ألف وثمانماية الواقع فى ثمان عشرين شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومايتين وألف هجرية، الممضيين الجنرال متفرقة دزه البلدى وبوسليك المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كليبر وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ومصطفى راسيسه أفندى ريس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشان منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية إلى الوكلا العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية. ممضى دزه وبوسليك تقرير الجنرال سارى العسكر العام [كليبر] محرر فى آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم، إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجيش الفرنساوى بالإقليم المصرى [كليبر] أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على إجرايه بالعمل بالنوع

* استخدمت الثورة الفرنسية منذ انتصارها عام ١٧٩٣ التقويم الجمهورى الذى قسمت فيه السنة إلى ١٢ شهراً متساوية، عدد أيام كل منها ٣٠ يوما، يضاف إليها خمسة أيام «نسىء»، وكانت الشهور مقسمة إلى عشرات الأيام وليس إلى أسابيع (لاحظ التشابه الكبير بين هذا التقويم والتقويم المصرى الفرعونى). حتى أن عيد الفيضان المصرى كان يأتى مع أول السنة الفرنسية).
وكان بدء السنة الجمهورية فى ٢٢ سبتمبر ١٧٩٣. وهذه الشهور هى:
١ - فنديميير - شهر القطاف والجنى. أوله ٢٢ سبتمبر.
٢ - بريميير - شهر الضباب. أوله ٢٢ اكتوبر.
٣ - فريمير - شهر الصقيع. أوله ٢١ نوفمبر.
٤ - نيفوزيه - شهر الثلوج. أوله ٢١ ديسمبر.

والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطا المشروحة إلى الآن هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلا أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالى الشان، الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرايها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل.

صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر بليفيوز [يناير ١٧٩٩م] سنة ثمان من المشيخة. ممضى كليبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى ممضى داماس.

انتهى بحروفه وما فيه من خطأ وتحريف فيه طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية، ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية [العربية]، والله أعلم.

٥ ـ بليفيوز ـ شهر الامطار. أوله ٢٠ يناير.
٦ ـ فانتوز ـ شهر الرياح. أوله ١٩ فبراير.
٧ ـ جرمينال ـ شهر البذار. أوله ٢١ مارس.
٨ ـ فلوريال ـ شهر الزهور. أوله ٢٠ أبريل.
٩ ـ بريريال ـ شهر المروج أوله ٢٠ مايو
١٠ ـ ميسيدور ـ شهر الحصاد. أوله ١٩ يونيو.
١١ ـ ترميدور ـ شهر الحرارة ـ أوله ١٩ يوليو.
١٢ ـ فريكتيدور ـ شهر الثمار ـ أوله ١٨ أغسطس.
وقد ألغى هذا التقويم فى فرنسا عام ١٨٠٦م.

واستهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة ١٢١٤ (٢٦ يناير ١٨٠٠م)

فى ثانيه حضر سارى عسكر الفرنساوية كليبر إلى ناحية العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا فأرسل سارى عسكر إلى حسن أغا نجاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراما زايدا، فلما كان بعد العشا دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب، فحصل للناس ضجة عظيمة وازدحموا على مشاهدتهم له



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

والفرجة عليه، وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقايف وانطلقت النسا بالزغاريت من الطيقان واختلفت آراهم فى ذلك القادم ولم يعلموا ما هو، فدخل من باب النصر وشق القاهرة، ولم يزل سايرا حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا، فنزل هناك، فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس.

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع العلما والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام، فلما تكلموا أبرز لهم فرمانا من الوزير فقرى عليهم بالمجلس، فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك* أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة، وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن.

* أول من أرسلته السلطنة العثمانية لمصر كان أغات الجمارك. الذى حمل معه أول فرمان للسلطنة ينص على تحصيل الأموال.

وأبرز فرمان آخر قرى بالمجلس مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسر بأبى قير وكيلا عنه وقايمقام بمصر إلى حين حضوره، وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة الآلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية.

وانفض المجلس على ذلك، وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف وشرعوا فى تحكير الأقوات، فغلت أسعارها وضاقت مون الناس، ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين.



* مصطفى باشا.

الجبرتى/ سنة ١٢١٤هـ

وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم، وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة، فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر، وبادر بالدفع من غير تأخير، لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية، ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم.

وحضر مصطفى باشا من الجيزة، وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير فرمانات إلى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم.

وأرسل إلى البنادر وجعل فى كل بندر أميراً ووكيلا لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل، ولا يخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد.

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فإنهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار، وكشفوا نقاب الحيا معهم بالكلية، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية، ولم يفكروا فى عواقب الأمور ولم يتركوا معهم للصلح مكانا، حتى إن فقها المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقا وطوايف حسبة، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رويساهم كقولهم:

الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان ونحو ذلك، وظنوا فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة.

على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس كقول القايل:

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكى عندها الحبر اللبيب

وأيضاً

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا*

* هذا البيت للمتنبى من قصيدة هاجم بها كافور الاخشيد لانه لم يجزل عليه عطاياه.

وقد قيل: قاتل بجد وإلا فدع.

وقال الشعبى من جملة كلام:

وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقيا ولا فجرة أقويا.

وأخذ الفرنساوية* فى أهبة الرحيل، وشرعوا فى مبيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس، ثم إن العثمانيين تدرجوا فى دخول مصر وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قايمقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرايقهم القبيحة.

* الفرنساوية يستعدون للرحيل والعسكر العثمانى يعسف بالأهالى دون رادع من الباشا.

* وصول الوزير يوسف باشا إلى بلبيس وبداية دخول العسكر العثمانية والمملوكية إلى القاهرة دون مانع من الفرنساوية.

وورد الخبر بوصول* حضرة الوزير إلى بلبيس وصحبته الأمرا المصرية ، وأرسلوا إلى مراد بك ومن معه بالحضور إلى العرضى فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه فى الصعيد فلم يقبلوا عذره، فأكدوا عليه بالحضور فاستأذن الفرنساوية سرا فأذنوا له فى المقابلة، وكان سفيره فى ذلك عثمان بك البرديسى، ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة إبراهيم بك وخلع عليهما.

ورجع مراد بك فخيم جهة العادلية، وحضر حسن أغا نزله أمين * ودخل مصر وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقى القلاع التى أحدثوها ونزلوا منها، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور.

* نزله أمين: هو المسئول المالى عن مصروفات وتكاليف الحملة العسكرية.

وحضر أيضًا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجى الفرنساوية إليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل إبراهيم أفندى الروزنامجى وثانى قلفة وغيرهما بنساهم وأولادهم يظنون فروغ القضية، والذى خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه.

وأرسل إبراهيم بك إلى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للماليك ولخاصة نفسه، فأرسل إليه مطلوبه. وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام وهيأت نسا الأمرا والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم فى التغالى ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح إلى خيم ساداتهم وهم راكبو البغال والرهوانات والحمير

الفارهة وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة، وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع، إلى غير ذلك مما يحرك الحفايظ ويوغر الصدور.

ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك فى الثانى والعشرين من شهر رمضان استأذن العلما والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم، فذهبوا أيضًا إلى سارى عسكر كليبر واستأذنوه فأذن لهم أيضا، فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا إلى نصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه.

فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس سأل عن أسماهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى، وكذلك على الامرا المصرية ورجعوا إلى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوط* أسود ووصل نصوح باشا والأمرا إلى جهة الخانكاه ثم إلى المطرية.

* قبوط : عباءة.

وفيه حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكث أياما ثم توجه إلى قبلى وصحبته نحو الماية نفر، وكذلك ذهبت طايفة إلى السويس وإلى دمياط والمنصورة وانبثوا فى البلاد ودخلوا مصر شيأ فشيأ.

فى سابعة وقعت حادثة* بين عسكر الفرنساوية والعثمانية، وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم، وهو أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى، ووقعت فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك، ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة، وباتوا ليلتهم عازمين، على الحرب، فتوسطت بينهم كبرا العسكر فى تمهيد ذلك، وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان، وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة وهم ستة أنفار، فقتلهم وأرسلهم إلى سارى* عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك. وقال لابد من خروج عسكركم إلى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة، وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة لا يدخلون إلا بطريقته [أى بموافقته] وبدون سلاح، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ولا يبقى منهم أحد، ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر، فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول إلى المدينة فعند وصوله إليهم ينزل عندهم وينزع ما عليه من السلاح، ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع، فإذا وصل إلى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضى إلى أصحابه فكان هذا شأنهم.

وفى منتصفه توجه جماعة من أعيان الفرنساوية إلى الإسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قايقمام وديزه

* حادثة العسكر العثمانية مع العسكر الفرنساوية.

*كليبر يطلب خروج العسكر العثمانلى من القاهرة.
وقد نشرت كورييه دي ليجييت في عددها رقم (٦١) الأمر اليومي الصادر في هذا الأمر كما يلي:
أمر القائد العام أن تأخذ العدالة مجراها فيما يتعلق باغتيال الجنديين التابعين للفرقة ٧٥ والذين اغتالهما الجنود الفارون من جيش الوزير الأعظم فى يوم ١٢ فانتوز بالقاهرة.
وكان قد ألقى القبض على خمسة من العثمانيين ثبت ادانتهم فى هذه الجريمة واعدموا اليوم شنقا بأمر الباشا، وقد تركت اجسادهم معروضة أمام الشعب فى ميدان الأزبكية.
هذا وقد أعدم خمسة آخرون بقطع رقابهم.
جنرال الفرقة رئيس أركان الحرب العام امضاء: داماس

ساری عسکر الصعيد وبوسليك ريس الكتاب ومدبر الحدود، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم، فتعرض لهم الإنكليز* يريدون معاكستهم، فأرسلوا إلى سارى عسكر بمصر وعرفوه الحال، فأرسل بذلك إلى الوزير، فأجابه بجواب لم يرتضه ، وأصبح زاحفا إلى سطح الخانكاه، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها فى دخول الوزير إلى مصر وخروج الفرنساوية منها، فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام آجلة زيادة على أيام المهلة فأجيبوا إلى ذلك، ووصل الأمرا المصرية وعرضى نصوح باشا، وجملة من العساكر العثمانية إلى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك.

ثم إن الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم وطوايفهم من البلاد القبلية والبحرية، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة إلى شبرا وترددوا إلى نواحى القلاع وهى لم يكن بها أحد، وشرعوا واجتهدوا فى رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك ومصطفى باشا قايمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيا، والبعض يقول إن الوزير أرسل إليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ونحو ذلك من الخرافات التى لا تروج على الفطن.

ويقال إن الفرنساوية أرسل إليهم بعض أصدقاهم من الإنكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الإنكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر فلما حصل منهم معهم

*** موقف الانجليز من اتفاقية الصلح بين العثمانية والفرنساوية**

وقف الانكليز موقفا معاكسا لتنفيذ الاتفاق. وقد ارسل قائد الاسطول الانجليزى فى البحر المتوسط خطاب إلى كليبر جاء فيه.

سيدى:

أخطركم بأنه صدرت إلى أوامر إيجابية من جلالة الملكة بالا أقبل أى تسليم من الجيش الفرنسى تحت قيادتكم فى مصر وسوريا إلا إذا ألقى الجيش السلاح ، واعتبر جنوده اسرى حرب، تاركا جميع السفن والمون الموجودة فى الموانى ومدينة الاسكندرية للسلطات المتحالفة. وفى حالة التسليم فانه لا يمكنني السماح لاية فرقة بالعودة إلى فرنسا قبل إجرا التبادل معها. واعتقد ايضا انه من الضرورى أخبركم بأن جميع السفن التى تحمل جنودا فرنسيين المختصين بذلك سوف يجبرهم ضباط السفن التى اقودها، على العودة إلى الاسكندرية، وأن السفن التى يتم الالتقاء بها عائدة إلى أوروبا وهى مزودة بجوزات سفر ممنوحة تطبيقا بمعاهدة خاصة مع إحدى الدول المتحالفة سوف تصادر وتعتبر غنيمة، ويعتبر جميع الأشخاص الموجودين عليها اسرى حرب.

الإمضاء كيث

ورد كليبر على ذلك بجملة وجهها إلى جنوده وهى

أيها الجنود.

اننا نعرف كيف نرد على مثل هذه الوقاحة بانتصاراتنا استعدوا للقتال.

كوريبه دى ليجيبت ــ العدد ٦٢ ص ٢٤١ ومابعدها.

ما سبقت الإشارة إليه تحققوا ذلك، وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجبهم بجواب شاف وعجل بالرحيل والقدوم إلى ناحية مصر.

وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم، فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم إلى القلاع فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك، خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر، وانتشروا فى تلك النواحى، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل.

وفى العشرين منه طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزله أمين فلما حضر إليهم أرسلوهما للجيزة، فلما كان اليوم الثالث والعشرون من شوال ركب* سارى عسكر كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير، فمنهم من توجه إلى عرضى الوزير، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم، فلم يسعهم إلا الجلا والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم، وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر، فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين من إخوانهم إلى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا ما فى عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا إلى جهة

* هجوم كليبر على العسكر العثمانلى وفرارهم (معركة المطرية).

العرضى. فلما قاربوه أرسلوا إلى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات، فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية فى أثره وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون فى البلاد والقرى والنواحى لجمع المال* ومقررات الفرض وظلم الفقرا.

* العسكر العثمانلى ينشغل بجمع الأموال من الفلاحين.

أما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال، ولم يدركوا حقيقة الحال، فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد وقتلوا أشخاصًا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا إلى أصحابهم، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية.



* كليبر يستعد لطرد العثمليه.

وخرج السيد عمر أفندى [مكرم] نقيب الأشراف والسيد المحروقى وانضم إليهما أتراك خان الخليلى والمغاربة الذين بمصر، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بك الصغير، وتبعهم كثير من عامة أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر بأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب كثير من طوايف العامة والأوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطارف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم وقاموا على ساق، وخرج الكثير منهم إلى خارج البلدة على تلك الصورة فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح، وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشى لجهلهم أيضاً حقيقة الحال، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج

البلد ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر [مكرم] النقيب والسيد أحمد المحروقى وحسن بك الجداوى وعثمان بك المرادى وعثمان بك الأشقر وعثمان بك الشرقاوى وعثمان أغا الخازندار وإبراهيم كتخدا مراد بك المعروف بالسنارى. وصحبتهم مماليكم وأتباعهم، فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا إلى وكالة ذى الفقار، فقال نصوح* باشا عند ذلك للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فعندما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفون من نصارى القبط والشوام وغيرهم، فذهب طايفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكى، فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العساكر الفرنساوى والأروام وقد كانوا قبل ذلك محترسين، وعندهم الاسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر، فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى البندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم، والآخرون يرمون أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوايف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار.

* نصوح باشا يدخل القاهرة خلسة ويأمر بقتل النصارى والاقباط.
من الواضح أن السلطنة العثمانية والحكومة الإنجليزية كانتا تنويان على الغدر بجنود الحملة الفرنسية ويتضح ذلك من أوراق مسترموربيه سكرتير اللورد ايلجن السفير فوق العادة والوزير المفوض لجلالة ملكة بريطانيا لدى الباب العالى التى استولت عليها القوات الفرنسية منه بعد فراره من دمياط فى أعقاب نقض اتفاقية العريش. وفيما يلى بعض هذه المذكرات التى نشرتها كوريبه دى ليچيبت فى العدد (٧٠):
غادرت القسطنطينية فى ٢٣ ديسمبر على ظهر سفينة المدفعية مارى آن التى كان الأميرال سيدنى سميث قد استولى عليها من الفرنسيين.
وفى يوم ١٣ يناير أوصلتنا ريح مواتية إلى جزيرة رودس وكان لدىّ تعليمات تقضى بأن أبحث عن مكان السير سدنى سميث لكى اتصل به قبل اللحاق بالوزير بغية الاتفاق معه على وضع منهاج لخدعة حربية لتنفيذها بشأن جلاء الفرنسيين عن مصر.

فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفانية [الفوهة] فعالجوها حتى فتحوها، وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمرا المصرية على أقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها إلى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفي، وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضاً بالمدافع والبنادق.

واستمر الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر.

وفى هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية وشرعوا فى بنا بعض جهات السور واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس.

فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع، ووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعا بها، فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبرا والروسا على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات والقلاع بيد الفرنساوية، ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها، وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها فى كل يوم، وربما امتنع وصول ذلك إذا تجسمت الفتنة، فاتفقوا على الخروج بالليل.

وفى ٢٤ يناير ابحرنا فى ظروف جوية قاسية فى اتجاه قبرص أو دمياط حسب اتجاه الريح.

وفى مساء ٢ فبراير فى الساعة العاشرة مساء وصلت إلى معسكر تركى بالقرب من العريش وذهبت فورا إلى خيمة المستر «فرانكينى» حيث علمت أن سيدنى سميث لم يبحر بعد وأن معاهدة الجلاء عن مصر قد أبرمت وتم التصديق عليها.

وفى ٣ فبراير، وبناء على التعليمات الصادرة إلى، لم أضيع وقتا دون مقابلة سيدنى سميث فذهبت على ظهر السفينة «كاميليون» حيث كان موجودا بها، وعلى وشك الابحار إلى يافا للحاق بسفينة قيادته. فأطلعنى على جميع الأوراق التى كانت قد صدرت وأعلنت وأفهمنى انه قد أنهى معاهدة الجلاء عن مصر وشرح بالتفصيل جميع الظروف التى حملته على الاشتراك فى المسائل الحربية لهذه البلاد.

وكانت تشغله كثيرا فكرة ثابتة وهى أن أمن الامبراطورية العثمانية يتوقف على التزام النص فى تنفيذ المعاهدة بحذافيرها، وكان يعتقد أن تنفيذ مشروع الخدعة الحربية من شأنه إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

وتسامع الناس بذلك، فتجهز المعظم للخروج، وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا وازدحمت تلك النواحى بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك الصورة.

ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف، وتسامع أهل خان الخليلى من الألداشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك، فجاءوا للجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعضدهم طايفة عساكر الينكجرية وعمدوا إلى خيول الأمرا فحبسوها ببيت القاضى والوكايل وأغلقوا باب النصر وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية وأزقة الحارات أيضا وكل متهيىء للخروج.

فلما حصل ذلك وأصبح يوم السبت فتهيأ كبرا العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذى لا قوة له للحرب، وذهب المعظم إلى جهة الأزبكية وسكن الكثير فى البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة فى بعض بيوت الأمرا، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضايع من حديد وأحجار استعملوها عوضا عن الجلل للمدافع وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية، واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية، وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى

* جندى انكشارى



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

أخذه وذهب به إلى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش فيحبس البعض حتى يظهر أمره ويقتل البعض ظلما، وربما قتل العامة من قتلوه وأتوا برأسه لأجل البقشيش، وكذلك كل من قطع رأسا من روس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ويأخذ فى مقابلة ذلك الدراهم.

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقى الأبواب التى فى أطراف البلد، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس وفى الاحتراس، وجلس عثمان بك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بك طبل عند متأريس المحجر، ومحمد بك المبدول عند الشيخ ريحان ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بك الكبير والصغير عند الناصرية ومصطفى بك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طايفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة وجماعة خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب.

وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية، إذا جا صارخ من جهة من الجهات أمدوه طايفة من هولا وصار جميع أهل مصر إما بالأزقة ليلا ونهارا، وهو من لا يمكنه القتال وإما بالأطراف ورا المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب.

ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخايف وناصف باشا وإبراهيم بك وجماعاتهم وعسكر من الينكجرية والأرنؤد والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهوا والرحبة الواسعة التى عند جامع أزبك والعتبة الزرقا [الخضراء].

وأنشا عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قايد أغا بخط الخرنفش وأحضر القندقجية* والعربجية والحدادين والسباكين لانشا مدافع وبنبات وإصلاح المدافع التى وجدوها فى بعض البيوت وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية، وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد، وجمعوا إلى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنايع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى بجانبه، والرحبة التى عند بيت القاضى من جهة المشهد الحسينى، واهتم لذلك اهتمامًا زايدًا وأنفق أموالا جمة وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكاينة بالمطرية، فكانوا كلما أدخلوا مدفعاً أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال، ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات مثل قولهم: الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك.

وحضر محمد بك الألفى فى ثانى يوم وتترس بناحية السويقة التى عند درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوايفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية، وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة، وكذلك كشافه وخصوصاً إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية فإنه لم يزل

* القندجيه: من الكلمة التركية «قونداق» بمعني كعب البندقية «الدبشك» الحقت بها «جيه» أداة النسب إلي الصنعة ليكون معناها صانع الأسلحة.
ولقد كانت سوق السلاح تقام بجوار مسجد السلطان حسن كل صباح إلا صباحى الاثنين والخميس، فقد كانت تقام فى هذين اليومين فى خان الخليلى، وكان بعض التفكجيه والقندقجيه يعملون فى مدخل الدرب الأحمر، وهناك كانت سوق القندقجيه.

يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بك الذى أصله بيت حسن بك الأزبكاوى وبيت أحمد أغاشويكار، وتترس فيهما، وحسن بك الجداوى تترس بناحية الرويعى وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة أخرى.

* تكرار ظهور مدعى الولاية من المغاربة اثناء ثورات القاهرة للقيام بأعمال السلب والنهب مستغلين فى ذلك النوازع الدينية لدى العامة.

وحضر أيضاً رجل مغربى* يقال إنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقًا والتفت عليه طايفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كانوا قد قدموا صحبة الجيلانى الذى تقدم ذكره، وفعل ذلك الرجل المغربى أموراً تنكر عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه، فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النسا ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فيما على راسها وشعرها من الذهب.

* إهانة الشيخ خليل البكرى بسبب تداخله مع الفرنساوية وقد ظلت العثمانية تضمر له الشر حتى قتلوا ابنته فيما بعد بدعوى تداخلها مع الفرنساوية.

وتتبع الناس عورات بعضهم البعض وما دعتهم إليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم، واتهم الشيخ خليل البكرى* بأنه يوالى الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة، فهجم عليه طايفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه إلى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة وحصلت له إهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما، فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غما شديداً ووعده بخير

وطيب خاطره، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره وأكرمهم وكساهم، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة.

وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب، وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة.

وأما الفرنساوية فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وببيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم وبيوت القبطة المجاورين لهم، واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمرا ومن معهم من العسكر إلى مصر أيامًا قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون إلى بلادهم.

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب، واختلفت الروايات والأخبار، وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضى تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر، وأما عثمان بك حسن وسليم بك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنساوية، ثم رجعا إلى بلبيس فحاصروا من بها، وكان عثمان بك وسليم بك وعلى باشا الطرابلسى وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا إلى ناحية العرضى، فحارب الفرنساوية من [فى] بلبيس من العسكر، ولم يكن لهم بهم طاقة فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا

سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا فذهبوا أشتاتًا فى الأرياف يتكففون الناس ويأوون إلى المساجد الخربة ومات أكثرهم من العرى والجوع.

ثم لما لحق عثمان بك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه* بالكلام فاعتذر إليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبار بالعريش، اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة الفرنساوية عما دبره عليهم مع الإنكليز، فقال له عثمان بك أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغايب فامتنعوا ولم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوع وهو نحو الألف، وعادوا على إثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا فى البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين* [لمحاربة سارى عسكرها] لكونهم نظروه فى قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم فضاربوهم بالنبابيت والحجارة وأصيب سرج سارى عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه إلى الأرض وتسامع المسلمون، فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهم الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية، فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين، فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدايرة، وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على إثرهم إلى الصالحية، فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع إلى الشام.

* الامراء المماليك يوبخون الوزير بسبب نقضه لاتفاق مع الفرنساوية فيتعلل بانه كان يظن عقلـه ـ الفرنساوية عن الغدر بهم.

* معركة القرين.



وأما مراد بك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمرا بالمطرية وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل، وذهب إلى ناحية دير الطين، ينتظر ما يحصل من الأمور وأقام مطمينا على نفسه واعتزل الفريقين واستمر على صلحه مع الفرنساوية.

هذا حاصل خبر الشرقيين، ولما تحقق الباشا [نصوح] والأمرا الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزايم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم، واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وإرسال السعاة فى طلب النجدة والمعونة، وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس، فتروج عليهم وتسرى فى غفلتهم ويقولون للناس فى كل وقت إن حضرة الصدر الأعظم مجتهد فى محاربة الفرنسيس، وفى غد أو بعد غد يقدم العساكر والجنود بعد قطع العدو، وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح وتهدم العساكر القلاع وتقلبها على من يبقى من الفرنساوية، وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد، واجتهدوا فيما أنتم فيه وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربى والتركى بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك، ووصل طايفة من عسكر الفرنساوية ورجعوا من عرضيهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر فقويت بهم نفوس الكاينين بمصر ووقفت منهم طايفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغورى والمنيل، وحضر نحو خمسماية من عسكر الأرنود، وهم الذين كان الوزير

وجههم إلى القرى لقبض الكلف والفرض، فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم وخلصوا منهم ودخلوا إلى مصر، وفرح الناس لقدومهم، وضجت العامة بحضورهم، واشتدت قواهم ولفقوا أن يقولوا للناس إذا سيلوا أنهم حاضرون مددا، وسيأتى فى أثرهم عشرون ألفا، وعليهم كبير ونحو ذلك.

* الحاج مصطفى البشتيلى يقود الأهالى ضد الفرنساوية.

وأما بولاق فإنها قامت على ساق واحد وتحزم الحاج* مصطفى البشتيلى وأمثاله هيجوا العامة، وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر وعنده حرسية منهم، فقتلوا من أدركوه منهم، ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا إلى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودايع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا منها، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس واستعدوا للحرب والجهاد، وقوى فى روسهم العناد واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام فأوقعوا بهم بعض النهب وربما قتل منهم أشخاص، هذا ما كان من أمر هولا.

* عودة كليبر للقاهرة ومحاصرتها.

وأما ما كان من أمر سارى عسكر الفرنساوية ومن معه فإنه لما استوثق بهزيمة الوزير وعدم عوده ونجاته بنفسه ، لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية فأبقى بها بعضا من عسكر الفرنسيس محافظين، وكذلك بالقرين وبلبيس، ورجع* إلى مصر وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمرا وقيام الرعية، فلم يزل حتى وصل إلى داره بالأزبكية



* المعلم جرجس الجوهرى.

وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتدا الحركة، وقطعوا الجالب عن البلدين وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، فكانت جماعة من المفوضين لهم المحصورين داخل المدينة كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم يهربون إليهم ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم، فعند ذلك اشتد الحرب وعظم الكرب وأكثروا من الرمى المتتابع بالمكاحل والمدافع وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات من أعالى التلول والقلعات خصوصا البنبات الكبار على الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار فى الغدو والبكور والأسحار، وعدمت الأقوات وغلت أسعار المبيعات وعزّت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات وارتفع وجود الخبز من الأسواق وامتنع الطوافون به على الأطباق وصارت العساكر الذين مع الناس بالبلد يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب وعلا سعر الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم، فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذى عند قناطر السباع: وهم مصطفى بك ومن معه من العساكر.

وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم

انحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين، فأرسلوا إليهم الأمان، فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمرا وأعانوهم بالمال واللوازم.

وأما يعقوب* فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى، فكان معظم حرب حسن بك الجداوى معه.

* المعلم يعقوب يدافع عن نفسه وأهله ضد حسن بك الجداوى الطامع فى أمواله.



* المعلم يعقوب.

هذا والمناداة فى كل وقت بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس.

واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية وأنه عنده فى بيته جماعة من الفرنسيس، فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيس فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حمية حتى خلصوا إلى الناصرية، وأما الأغا فإنهم قبضوا عليه وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ثم تسلمه الإنكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش، فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة ومنعهم من دخول الدور وكل من وجده داخل داره مقته وضربه، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمرا والأعيان.

وهلكت البهايم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس بحيث صار ينادى على الحمار أو



البغل المعدد الذى قيمته ثلاثون ريالا وأكثر بماية نصف فضة أو ريال واحد وأقل، ولا يوجد من يشتريه، وفى كل يوم يتضاعف الحال، وتعظم الأهوال.

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب وترامى الفريقان بالمدافع والنيران، حتى احترق ما بينهم من الدور.

وكان إسماعيل كاشف الألفى تحصن ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان ببيته وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغما بالبارود* المدفون فاشتغل ذلك اللغم ورفع ما فوقه من الأبنية والنسا وطاروا فى الهوا واحترقوا عن آخرهم وفيهم إسماعيل كاشف المذكور وانهدم جميع ما هناك من الدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة على البركة، واحترق

* نسف منزل بلغم بارود واحتراق معظم دور الأزبكية.

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

جميع البيوت التى من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا إلى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها إلى الرحبة المقابلة لبيت الألفى سكن سارى عسكر الفرنساوية وكذلك خطة الفوالة بأسرها وكذلك خطة الرويعى بالسباطين العظيمين وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حد حارة النصارى وصارت كلها تلالا وخرايب كأنها لم تكن مغنى صبابات ولا مواطن أنس ونزاهات، وفيها يقول صديقنا العلامة النحرير الفهامة الشيخ حسن العطار* حفظه الله: وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمرا ومواطن الرويسا قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال العديمة المثال، فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة كثياب سندس خضر على أثواب من فضة، يوقد بها كثير من السرج والشموع فالأنس بها غيرمقطوع ولا ممنوع، وجمالها يدخل على القلب السرور، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور، ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليالى هن فى سمط الأيام من يتيم اللآلى وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضى لعاب وقد سل على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرضاب، وقام على منابر أدواحها فى ساحة أفراحها مغردات الطيور وجالبات السرور، فلذيذ العيش بها موصول وفيها أقول:

بالأزبكية طابت لى مسرات
ولَذَّ لى من بديع الأنس أوقات

* الشيخ حسن العطار ولد تقريبا عام ١١٨٠هـ = ١٧٦٦م، بالقاهرة ألف أول كتبه فى النحو عام ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م. فى أعقاب الغزوة الفرنسية هرب إلى اسيوط ثم عاد للقاهرة بعد أن أخذ الأمان سنة ١٢١٤ = ١٧٩٩م وكتب المقامة الشعرية متأثرا بأجواء الأدب الأندلسى. وفى عام ١٢١٧ = ١٨٠٢م غادر مصر إلى تركيا وزار الاسكندرونه ودمشق حيث قام بدراسته للصوفية ثم رحل إلى فلسطين عام ١٢٢٦ = ١٨١١م. واهتم بدراسة الطب وكتب ملخصات فى علم الكلام ووضع عدة حواشى. ثم عاد إلى مصر عام ١٢٣١ = ١٨١٥م حيث اشتغل بالتدريس والكتابة. وفى عام ١٢٣٦ = ١٨٢٠م ألف كتاباً فى المنطق، ثم عمل كمحرر عربى للوقايع المصرية فى عهد محمد على من سنة ١٢٤٤ = ١٨٢٨م وألف كتابه الرئيسى فى أصول الدين. وفى سنة ١٢٤٧ = ١٨٣١م عين شيخا للأزهر، وفى هذه الفترة اهتم برفاعة الطهطاوى وكان له تأثير قويا على اتجاهاته العملية.

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

حيث المياه بها والفلك سابحة
كأنها الزهر تحويها السموات
وقد أدير بها دُور مشيدة
كأنها لبدور الحسن هالات
مَدت عليها الروابى خضر سندسها
وغردت فى نواحيها حمامات
والما حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الأدواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط
من فضة واحمرار الورد طعنات
مراتع لبيض الترك ساحتها
وللأسود بها فيهن غيضات
وللنديم بها عيش تجدده
أيدى الزمان ولا تخشى جنايات
يروح منها صريع العقل حين يرى
على محاسنها دارت زجاجات
وللرفاق بها جمع ومفترق
لما غدت وهى للندمان حانات

توفى عام ١٢٥١ = ١٨٣٥م. انظر دراسة بيترجران للعطار فى كتابه الجذور الإسلامية للرأسمالية. ترجمة: محروس سليمان من ص ١٤٧ إلى ص ١٦٥.

قلت وقد جنب عليها أيدى الزمان وطوارق الحدثان، حتى تبدلت محاسنها وأقفرت مساكنها، وهكذا عقبى سوء ما عملوا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وأرسلوا* إلى مراد بك يطلبونه للحضور أو يرسل الأمرا والأجناد التى عنده، فأرسل يعتذر عن الحضور، ويقول إنه محافظ على الجهة التى هو فيها، فأرسلوا إليه بالإرسال والاستكشاف عن أمر الوزير، فأرسل يخبر أنه أرسل هجانا

* نصوح باشا يرسل إلى مراد بك لنجدته فيرفض وينصحه بالصلح مع الفرنساوية بعد ذلك يختفى نصوح باشا.

إلى الشرق من نحو عشرة أيام وإلى الآن لم يحضر، وإن الفرنساوية إذا ظفروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم وأنتم كذلك معهم، فاقبلوانصحي واطلبوا الصلح معهم، واخرجوا سالمين، فلما بلغهم تلك الرسالة حنق حسن بك الجداوى وعثمان بك الأشقر وغيرهم، وسفهوا رأيه وقالوا كيف يصح هذا الأمر وقد دخلنا إلى البلد وملكناها فكيف نخرج منها طايعين ونحو ذلك، هذا مما لا يكون أبداً فأشار إبراهيم بك برجوع البرديسي وصحبته عثمان بك الأشقر ليقول الأشقر لمراد بك ما يقوله، فلما اجتمع به ورجع لم يرجع على ما كان عليه حال ذهابه وفترت همته وجنح لرأى مراد بك.

واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدة البلا والكرب ووقوع البنبات على الدور والمساكن من القلاع والهدم والحرق وصراخ النسا من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع مع القحط وفقد المآكل والمشارب وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ووقوف حال الناس من البيع والشرا وتفليس الناس وعدم وجدان ما ينفقونه إن وجدوا شيأ، واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهاراً حتى كان الناس لا يهنا لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن، ومقامهم دايما أبدا بالأزقة والأسواق وكأنماعلى روس الجميع الطير، وأما النسا والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية إلى غير ذلك.

الجبرتي/ سنة ١٢١٤م

وفى أثنا ذلك فرضوا على الناس من أهل الأسواق وغيرهم ماية كيس، فردوها على بعض الناس كالسادات والصاوى.

وصار مونة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل وباللبن ويبيعون ذلك فى طشوت وأوان بالأسواق.

وفى كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس* فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون عليكم بالجهة الفلانية الحقوا إخوانكم المسلمين، فيرمحون إلى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها، وينتقلون إلى غيرها فيفعلون كذلك.

* الأهالى يمارسون حرب المتاريس داخل مدينة القاهرة.

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بك الجداوى، فإنه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة، ورأى الناس من أقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلا ونهارا ما ينبى عن فضيلة نفس وقوة قلب وسموهمة، وقل أن وقع حرب فى جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها وريس كماتها، هذا والأغا والوالى يكررون المناداة وكذلك المشايخ والفقها والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب يمرون كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد، وكذلك بعض العثمانية يطوفون مع أتباع الشرطة وينادون باللغة التركية مثل ذلك.

وجرى على الناس ما لا يسطر فى كتاب ولم يكن لأحد فى حساب، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته، منها عدم النوم ليلا ونهارا، وعدم الطمأنينة وغلو الأقوات

وفقد الكثير منها خصوصاً الأدهان، وتوقع الهلاك كل لحظة والتكليف بما لا يطاق، أو مغالبة الجهلا على العقلا وتطاول السفها على الروسا، وتهور العامة ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لا يمكن حصره.

ولم يزل الحال على هذا المنوال إلى نحو عشرة أيام، وكل هذا والرسل من قبل الفرنساوية وهم عثمان بك البرديسى تارة ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى، والاثنان من أتباع مراد بك يترددون فى شأن الصلح* وخروج العساكر العثمانية من مصر، والتهديد بحرقها وهدمها إذا لم يتم هذا الغرض، واستمروا على هذا العناد، ثم نصب الفرنساوية فى وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمى تلك الليلة وأرسلوا رسولا من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمرا يطلبون المشايخ يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر، فأرسلوا الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى وغيرهم، فلما وصلوا إلى سارى عسكر وجلسوا خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله أن سارى عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويحلقون بالعرضى، وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون إليه من المونة والذخيرة حتى يصلوا إلى معسكرهم، وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم فليقم، وله الإكرام، ومن أراد الخروج فليخرج والجرحى من العثملى يجردون من سلاحهم، وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه، وعلينا أن نداويهم حتى

* مراسلات الصلح بين الفرنساوية والمماليك المحصورين فى القاهرة.

يبروا، ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مونته، ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج، وعلى أهل مصر الأمان فإنهم رعيتنا.

وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه، ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفاض أمر الصلح على هذا قال لهم: لأى شى تفعلون هذا الفعل، وهذه المحاربات والوزير بتاعكم ولى مهزومًا ورجع هاربًا. ولا يمكن عوده فى هذا الحين إلا أن يكون بعد ستة أشهر . فاعتذروا له بأن هذا من فعل نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بك ومن معهم، فإنهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم، فقال لهم بعد كلام طويل قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم فإنهم لا طاقة لهم على حربنا ويكون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق، فقالوا له نخشى أنهم إذا امتثلوا وجنحوا للموادعة وخرجوا وذهبوا إلى سارى عسكرهم تنتقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك، فقال لا نفعل ذلك، فإنهم إذا رضوا ومنعوا الحرب اجتمعنا معكم وإياهم وعقدنا صلحًا ولا نطالبكم بشى والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم، وزودناهم وأعطيناهم ما يحتاجون من خيل وجمال وأصحبنا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم من عسكرنا ولا نضر أحدًا بعد ذلك.

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الانكشارية والناس قاموا عليه وسبوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرسى ورموا عمايمهم وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون

هولا المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين، وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس وتكلم السفلة والغوغا من أمثال هذا الفضول.

* الدجال المغربى ينادى بنقض الصلح لتحقيق مصالحه.

وتشدد فى ذلك الرجل المغربى* الملتف عليه أخلاط العالم ونادى من عند نفسه الصلح منقوض، وعليكم بالجهاد، ومن تأخر عنه ضرب عنقه، وكان السادات ببيت الصاوى فتحير واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله الزموا المتاريس ليقى بذلك نفسه من العامة، ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور، فالتفوا عليه [الدجال المغربى] وتعضد كل بالآخر وأن غرضه هو فى دوام الفتنة*، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب والتصور بصورة الإمارة باجتماع الأوغاد عليه وتكفل الناس له بالمأكل والمشرب هو ومن انضم إليه، واشتطّ فى المآكل مع فقد الناس لأدْوَن ما يوكل حتى إنه إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول لا آكل إلا الفراخ ويظهر أنه صايم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته فى هذه الشدة بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود، ثم هو مع ذلك لا يغنى شيا بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى فيها فارقها وانتقل لغيرها، وهكذا كان ديدنه وسبحه ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك، بل كما قيل لا ناقتى فيها ولا جملى، فإذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه إلى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره وحينئذ يكون كآحاد الناس ويرجع لحالته الأولى

* تحليل الجبرتى لشخصية الدجال.

وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخا منصوبا، ومخرق بها على سخاف العقول وأخفا الأحلام.

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم، أو اقتحم كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد فى بيع أنفسهم مع مرضاة رب العباد، لظا الهيجا، ولم يتعنت على الفقرا ولم يجعل همته السلب مصروفة وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

*المجذوب.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

وبالجملة فكان هذا الرجل سبباً فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية، ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء، وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر ضرب عنقه، وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمرا المصرية فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يبرمه ، وأى شى يكون هو حتى ينادى أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك، لكنها الفتن يستنسر بها البغاث سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغا إذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم.

وذنب جره سفهها قوم
وحل بغير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشى ولم يذكروا صلحا ولا غيره، إنما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا، فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام وسبوهم وشتموهم بل ضربوهم، وبعضهم رموا بعمامته إلى الأرض وأسمعوهم قبيح الكلام، وفعلوا ما فعلوا معهم، وصاروا يقولون لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجزّ ما طلبوا المصالحة والموادعة، وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت ونحو ذلك من الظنون الفاسدة، ولم يردوا عليهم جوابًا بل ضربوا بالمدافع والبنادق، فأرسلوا أيضًا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ، فأرسل إليهم الباشا* والكتخدا يقولان لهم: إن العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة يقولون فى ضمنها: قد عجبنا من قولكم إن العساكر لم ترض بالصلح! وكيف يكون الأمير أميرًا على جيش لا ينفذ أمره فيهم ونحو ذلك؟ وأرسلوا أيضًا رسولا إلى أهل بولاق* يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك فلم يرضوا وصمموا على العناد، فكرروا عليهم المراسلة وهم لا يزدادون إلا مخالفة وشغبا، فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا يقول أمان أمان سوا سوا، وبيده ورقة من سارى عسكر، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه، وظن كامل أهل مصر أنهم إنما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال، وجدوا فى الحرب من غير انفصال، والفرنساوية لم يقصروا كذلك، وواصلوا رمى المدافع والقنابر والبندق المتكاثر

* الباشا يعتذر للفرنساوية بعدم قدرته على إصدار الأوامر لجنوده.

* يبدو أن كل محاولات كليبر لتهديد سكان بولاق قد ذهبت أدراج الريح فقد نشرت كوريبه دى ليجيبت تقول أنذر القائد العام للمرة الثالثة سكان بولاق وناشدهم تقديم فروض الطاعة ووعدهم بنسيان الماضى إلى غير رجعة، وبحماية فعالة فى مقابل طاعتهم. فأجابوا بأنهم مصممون على أن يحذو حذو القاهرة وبأنهم سيدافعون عن أنفسهم حتى آخر رمق إذا هوجموا.
ولما استنفدت جميع أساليب التوفيق تلقى الجنرال فريان امرا بالهجوم فى

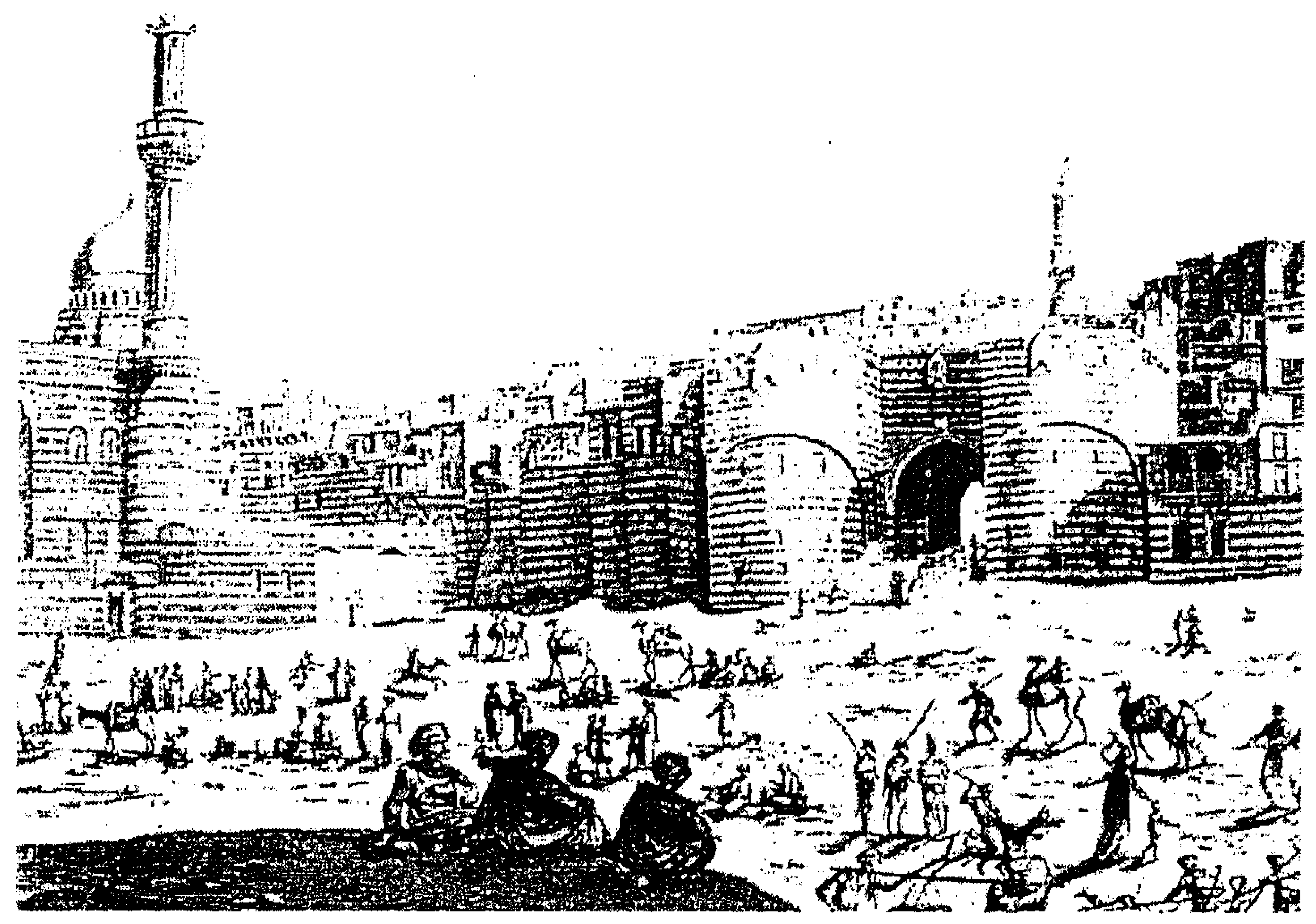
وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب: وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ويوقدون عليها القناديل ليلا ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى، ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم متصورون [محاصرون]، وكذلك صنع معهم أهل بولاق. وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكراً قادمين لنجدتهم، وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم، فصمموا على ذلك للحرب. واستمر هذا الحال بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه الموافق لعاشر برموده القبطى، وسادس نيسان الرومى [أبريل] فغيمت السما غيما كثيفا وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا. وأمطرت مطراً غزيراً، وسيلت سيلا كثيرا. فسالت المياه فى الجهات [واشتد ذلك بعد الغروب] وتوحلت جميع السكك والطرقات، فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال، ولطخت الأمرا والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين.

والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم فى خارج الأفنية، وهى لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم وما على روسهم، وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنايعهم بخلاف المسلمين. فلما حصل ذلك اغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتايل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط والأرواح المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطل وقنطرة

اليوم التالى على رأس جزء من رجال فرقته والاستيلاء على هذه المدينة بالقوة إذا لم يذعن سكانها عند رؤية الجنود. وقد نفذ هذا الأمر وقصفت المدينة بقنابل المدافع، ووقع اشتباك من أعنف الاشتباكات واشتعلت النيران فى اجزاء من أجمل مبانيها وسالت الدماء من كل جانب وسط صيحات الغضب واليأس من داخل الأسوار.

وفى وسط هذا الأتون من النار عرض عليهم أيضاً السلام والتفاهم فرفضوا كل العروض واشتد القتال بأعنف مما كان، وانتشرت الحرايق فى كل مكان. واستمرت عمليات السلب والنهب بضع ساعات ولم تنته إلا عندما جاء أعيان المدينة، ولكن بعد فوات الأوان وهم يطلبون باسم الشعب رحمة المنتصر الكريم.

راجع. كوربيه دى ليجيبت ـ العدد ٦٥ ص٢٤٨.



* ميدان الرميلة أمام القلعة وجامع المحموديه.

الحاجب وجهة الحسينية والرميلة. فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع وطايفة خلفهم بوارديه [ضاربو البارود] يقال لهم السلطان يرمون بالبندق المتتابع وطايفة بأيديهم الفتايل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقايف وضرف الحواتيت وشبابيك الدور. ويزحفون على هذه الصورة شيا فشيا، والمسلمون أيضا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم وتحول الأغا وأكثر الناس إلى تلك الجهة وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا، وهاجت العامة وصرخت النسا والصبيان ونطوا من الحيطان، والنيران تأخذ المتوسطين بين الفيتين من كل جهة، هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة

الجمعة، كذلك الرعد والبرق. وعثمان بك الأشقر الإبراهيمى وعثمان بك البرديسى المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيون من الفرنسيس إلى المسلمين ومن الفرنسيس إليهم، ويسعون فى الصلح بين الفريقين ثم إنهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا بالطريقة المذكور بعضها، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصى وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة، واحترقت الأبنية والدور والقصور، وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر، وكذلك الأطارف وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم إلى الجهة القبلية، ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها، واستولوا على الخانات والوكايل والحواصل والودايع والبضايع، وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنسا والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير* والأرز والأدهان والأصناف العطرية وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور. والذى وجدوه منعكفا فى داره أو طبقته ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحا نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حيا، وأصبح من بقى من ضعفا أهل بولاق، وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقرا لا يملكون ما يستر عوراتهم. وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه، وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه وأوهم

* الأبازير: جمع البزْر: كل حبُّ يبذر للنبات جمعه بزور، ويجمع على أبزار وأبازير، وعلى هذا فالأبازير جمع الجمع.

أصحابه أنه يحارب معهم، وفى وقت هجوم العساكر انفصل إليهم، واختفى البشتيلى فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرويسا، فحبسوا البشتيلى بالتكية والباقى ببيت سارى عسكر وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول، وفى اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلى من العامة وسلموهم البشتيلى* وأمروهم [بتجريسه وشهرته فى البلده وأن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذى كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح، وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه: إن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه، وأرسله مع رجل ليوصله إلى الكتخدا فوقع فى يد سارى عسكر كليبر، فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذى فعله، وقوبل على ذلك بأن أسلم إلى عصبته، وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت.

* قصة قتل مصطفى البشتيلى كما رسمها كليبر.

وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام* وقيدوا فيه تسعة من رويساهم ثم بعد مضى يومين ألزموا بغرامة مايتى ألف ريال.

* كليبر يأمر أهالى بولاق بتشكيل محكمة منهم لتحكم عليهم.

وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب إلى سادس عشرينه حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار، مع ما هم فيه من عدم القوت، حتى هلكت الناس وخصوصا الفقرا والدواب وإيذاء عسكر العثمانلى* للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التى كانوا عليها.

* العسكر العثمانلى يواصل السلب والنهب فى ظل مقاومة المصريين للفرنساوية.

والحال كل وقت فى الزيادة وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد والفرنساوية بالعكس، وفى كل يوم يزحفون إلى قدام والمسلمون إلى ورا، فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبى الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحى، وهم يحرقون بالفتايل والنيران الموقدة ويملكون المتاريس إلى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبى وناحية باب الحديد إلى قرب باب الشعرية، وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ورجع القهقرى، فعند رجوعه وقعت الهزيمة ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض.

وملك الفرنساوية كوم أبى الريش وصاروا يحاربون من كوم أبى الريش وهم فى العلو والمسلمون أسفل منهم، وكان المحروقى زور كتابا على لسان الوزير، وجا به رجل يقول إنه رسول الوزير وأنه اختفى فى طريق خفية ونط من السور، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة، وأنه تركه بالصالحية، وأن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار وأرسلوه إلى الوزير فى أثنا الواقعة، هذا والبرديسى ومصطفى كاشف والأشقر يسعون فى أمر الصلح إلى أن تمموه على كف الحرب، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمرا ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبون حيث أتوا، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر، وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال، وأخذ العثمانية والأمرا والعسكر فى أهبة * الرحيل وقضا أشغالهم، وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك، وكتبوا بعقد الصلح فرمانا مضمونه:

* انسحاب العسكر العثمانلى من القاهرة.

أنهم يعوقون عندهم عثمان بك البرديسى وعثمان بك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا حتى يصل إلى الصالحية، وأن يوصلهم سارى عسكر داماس بثلثماية من العسكر خوفا عليهم من العرب، وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ما عدا عثمان بك الأشقر فإنه إذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية يذهب مع البرديسى إلى مراد بك بالصعيد، وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى وكالة ذى الفقار بالجمالية، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة نصوح باشا فهاجت العامة وراموا قتلهم، وهموا بقتل عثمان كتخدا فأغلق دونهم باب الخان ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد، ورجب المغربى* فتوجه إلى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيس فحضر أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا يستأذنونه فى موافقة ذلك المغربى أو منعه، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال وركب [السيد أحمد] المحروقى عند ذلك ومر بسوق الخشب وقدامه المناداة بأن لا صلح ولزوم المتاريس، فمنعه «نزله أمين» ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ففروا وسكن الحال.

* الدجال المغربى يواصل إدعاء الجهاد.

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ودخول العثمانية وعساكرهم إلى المدينة ووقع ما تقدم، وكلفوا الناس الأمور الغير اللايقة. حضر السيد أحمد المحروقى إلى الشيخ أبى الأنوار السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة، فكتب له الشيخ* تذكرة وصورتها: حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير وما هى من الظالمين ببعيد.

* الشيخ أبو الأنوار السادات يرد على رسالة من عثمان كتخدا الدولة يوبخه فيها.

ظننت أنك عدتى أسطو بها
ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته
والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد فقد نقضت عهدى، وتركت مودة آل بيت جدى، وأطعت الظلمة السفلة، وامتثلت أمر المارقين الثفلة فأعنتهم على البغى والجور، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من إلزامكم الكبير والصغير والغنى والفقير إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصايب والدواهى، فاستحكم الدمار والخراب، ومنعت الأقوات وانقطعت الأسباب، فبذلك كان عسكركم مخذولا وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا، كيف لا وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم، وأخذ مرتباتهم، وإتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم، وقد أخفتم أهل البلد بَعْدَ أَمْنها، وأشعلتم نار الفتنة بعد طفيها، ثم فررتم فرار الفيران مِن السنوّر، وتركتم الضعفا متوقعين أشنع الأمور، فواغوثاه واغوثاه أغثنا ياغيات المستغيثين، واحكم بعدلك يا أحكم الحاكمين، وانصرنا وانتصر لنا، فإننا عبيدك الضعفا المظلومون يا أرحم الراحمين.

شهر ذى القعدة استهل بيوم الخميس

٢٧ مارس ١٨٠٠

[وقد ضمه الجبرتى لشهر شوال].

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢١٤

* خروج العثمانلية من القاهرة بعهد أمان من الفرنساوية.

فيه خرج* العثمانية وعساكرهم وإبراهيم بك وأمراه ومماليكه والألفي وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقى الشاه بندر وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة إلى الصالحية، وكذلك حسن بك الجداوى وأجناده، وأما عثمان بك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير، فلم يسع إبراهيم بك وحسن بك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم إلى قبلى، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم.

* تحليل الجبرتى لأحداث ثورة القاهرة الثانية.

وانكشف الغبار *عن تعسة المسلمين وخيبة أمل الذاهبين والمتخلفين، وما استفاد الناس من هذه العمارة وما جرى من الغارة إلا الخراب والسخام والهباب، فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة سبعة وثلاثين يوما وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهياج وخراب الدور وعظايم الأمور وقتل الرجال ونهب الأموال وتسلط الأشرار وهتك الأحرار، وخصوصا ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه.

وخرب فى هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة، مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان

والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الخشاب وخطة الساكت إلى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة، وكذلك جهة باب الهوا إلى حارة النصارى من الجهة القبلية، وأما بركة الرطلى* وما حوالها من الدور والمنتزهات والبساتين فإنها صارت كلها تلالا وخرايب وكيمان أتربة، وقد كانت هذه البركة من أجل منتزهات مصر قديما وحديثا، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر، وكانت تعرف ببركة الطوابين، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب، من أمرا الملك الناصر محمد بن قلاوون، لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الما من الخليج الناصرى وبنى القنطرة المنسوبة إليه، وعمر عليها الدور والمناظر، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهية، وكان هذا الجسر من أجل المنتزهات وقد خربت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى، وصار، محله بستانا عظيما، قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية، وفيه يقول بعضهم من قصيدة قديمة.

* أصل تسمية بركة الرطلى

أصابت الجسر عين الدهر فانقصفا
ولاح بدر التصابى فيه منخسفا
وأعين البحر قد فاضت معكرة
تبكى على زمن قد كان فيه صفا

ومنها :

أيارعى الله وقتا مَرّ حين حلا
بطيب عيش لنا فى الجسر قد سلفا

وكان للقاضى ابن الجيعان عليها دور جليلة، ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطئها، ومسجد الحريثى، وعرفت

ببركة الرطلى، لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة، يقال له الشيخ على الرطلى فنسبت إليه، وفيها يقول بعضهم.

فى أرض طبالتنا بركة
مدهشة للعين والعقل
ترجح فى ميزان عقلى على
كل بحار الأرض بالرطل

وقوله فى أرض طبالتنا بركة يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة، والطبالة* امرأة مغنية مشهورة فى آخر دولة الإخشيد، فلما حضر المغربى معد الفاطمى إلى مصر، وكان يدعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول:

* أصل تسمية أرض الطبالة.

يا بنى العباس ردوا
ملك الأمر معد
ملككم ملك معار
والعوارى تسترد

فأعجبه ذلك، وأراد أن ينعم عليها، فتمنّت عليه أن يقطعها هذه الأرض، فأقطعها إياها فعُرفت بها، وبهذه البركة بركة يطلع بها البشنين، وهو اللينوفر يقوم على ساق ممتد إلى أعلى بمقدار غمر الما، بحيث تكون نوارة كل ساق مساوية لسطح الما، ونواره أصفر، وهو على هيئة الورد المتفتح،

ويحيط بذلك الورد الأصفر ورق أخضر، وفى داخل الأصفر عروق بيض، يدور ذلك النوار مع الشمس حيث دارت.

وفيه يقول بعضهم:

وبركة تزهو بلينوفر
شبهته طيبة بشر الحبيب
مفتح الأحداق فى نومته
حتى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده
وغاص فى البركة خوف الرقيب

وليس يطلع هذا البشنين بجميع أرض البركة بل بقطعة منها مخصوصة تجاه الجسر المذكور.

ومما تخرّب أيضا حارة المقس* من قبل سوق الخشب إلى باب الحديد، وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرايب متهدمة محترقة، تسكب عند مشاهدتها العبرات، ويتذكر بها ما يتلى فى حق الظالمين من الآيات، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴿إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون﴾؛ وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾. وقال تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾.

* ما زالت هناك حارة ضيقة فى باب الحديد خلف مبنى هيئة سكك حديد مصر بهذا الاسم.



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ودخل الفرنساوية إلى المدينة يسعون، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العثمانية من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب جميعها، وقيل: إنهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه وقبضوا ذلك من الفرنساوية، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا إلى كبير الفرنسيس، فلما وصلوا إلى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها:

النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس، وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر، ولو كانوا يخالطون العثملى فى الحروب، وأنهم يشتغلون بمعايشهم وصنايعهم، ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكرة تاريخه.

* احتفالات الفرنساوية بدخول القاهرة.

ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة* للرعية بالاطمينان والأمان؛ فلما أصبح ذلك اليوم ركبت المشايخ والوجاقلية وذهبوا إلى خارج باب النصر، وخرج أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم، فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام، وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالوقوف على أقدامهم، ومن تباطأ فى القيام أهانوه، فاستمرت الناس وقوفا من ابتدا سير الموكب إلى انتهاه، ثم تلا الطايفة الآمرة للناس بالوقوف، جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف

خطاب كليبر فى شأن اطمئنان الرعية: من كليبر القايد العام إلى الجيش.
أيها الجنود
رغبة فى حقن الدماء، تابعت المفاوضات وفى نفس الوقت كانت العمليات الحربية تأخذ مجراها الطبيعى فى ضرب العدو. أن العقبة الكبرى التى صادفتنى خلال المفاوضات هى محاولة اقناع السكان وإشاعة الطمأنينة فى نفوسهم ضد عمليات السلب والتخريب. أن ما راوه مثلا فى بولاق، حيث سمحت لكم بأن تشفوا غليلكم بانتقامكم العادل، كان له

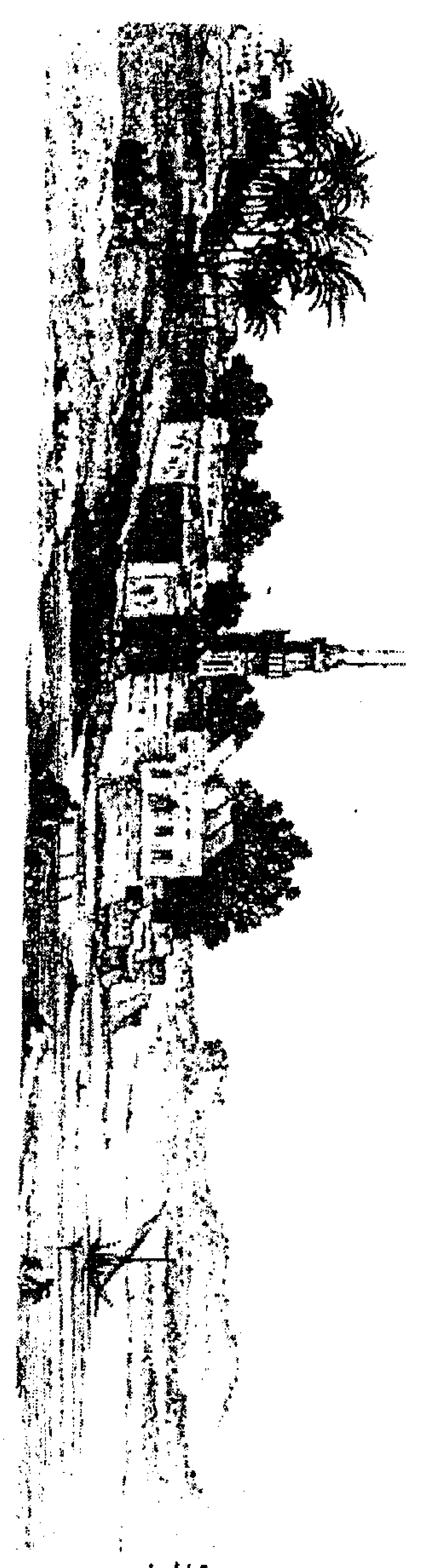
مسلولة وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى روسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم، ثم تتالى بعد هولا طوايف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم إلى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بك البرديسي وعثمان بك الأشقر، وخلفهم طوايف من خيالة الفرنسيس.

وقع رهيب في نفوسهم. وقد توصلت إلى تبديد مخاوفهم ووعدتهم بمنحهم الامان والحماية لاشخاصهم وممتلكاتهم. وعند ذلك كفوا عن خلق العراقيل لمنع انسحاب الجنود العثمانيين.
ايها الجنود عندما يقطع قايدكم على نفسه تعهدات باسم الجيش فان عليكم انتم القيام بتنفيذها ....
الإمضاء كليبر
كوريبه دى ليجيبت، العدد ٦٦، ص ٢٥٠.

ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثا مع السهر ووقود القناديل ليلا، ثم دعاهم فى يوم الأربعا وعمل لهم سماطا عظيما على طريقة المصرلية، وبعد انقضا الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم: إن سارى عسكر يقول لكم إنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة ويعمل تدبيرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية، وقلدوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطناني أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان، وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج وهو بيت البارودى الثاني فسكن به وشرع فى تنظيمه وفرشه، ولبسوه فى ذلك اليوم فروة سمور فقاموا من عنده فرحين مطمينين مستبشرين.

فلما كان يوم الخميس سابعه ذهب* إلى مراد بك بجزيرة الدهب باستدعا، فمد لهم أسمطة عظيمة وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمرا من الأغنام وغيرها، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس وولوه إمارة الصعيد من جرجا

* كليبر يذهب لمراد بك بجزيرة الدهب للاحتفاء به.



* مدينة المنيا.

إلى إسنا ورجع عايداً إلى داره بالأزبكية، فلما كان فى صبحها يوم الجمعة ثامنه بكر [المشايخ] بالذهاب إلى بيت سارى عسكر [حكم الامر السابق]، ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيئاتهم وطمع كل واحد منهم، وظن أن سارى عسكر يقلده فى هذا اليوم أحلى المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل فى أهل الديوان فيكون فى الديوان الخصوصى، فلما استقر بهم الجلوس فى الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولم يخاطبهم أحد، ثم طلب سارى عسكر الشيخ محمد المهدى فدخل إليه بمفرده، فكلمه كلاما طويلا، فمما قال له:

إننا لما حضرنا إلى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس، الناس بهم يقتدون، ولأمرهم يمتثلون، ثم إنكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم، فاصطفيناكم، وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور، فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالإحسان، وخفضنا لكم جناح الطاعة، وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة، وأوهمتمونا أن الرعية لكم ينقادون، ولأمركم ونهيكم يرجعون، فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا. فقال له [المهدى] نحن ما قمنا مع العثملى إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا فى حكم العثملى من ثانى شهر رمضان، وأن البلاد والأموال صارت له وخصوصا وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين، وما شعرنا إلا بحديث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة، ووجدنا أنفسنا فى

وسطهم [على صورة مبهمة لا نعلم حقيقتها وأغترتهم العامة والأوباش وحصل ما حصل] ، فلم يمكننا التخلف عنهم. فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب، ثم أجابهم بقوله: ولأى شى لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنا. فقالوا لا يمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا [وينسبونا لكم] وسمعتم ما فعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال. فقال لهم: وإذا كان الأمر كما ذكرتم ولا يخرج من يدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك، فما فايدة رياستكم وإيش يكون نفعكم، وحينئذ لايأتينا منكم إلا الضرر، لأنكم إذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم وإياهم علينا، وإذا ذهبوا رجعتم إلينا معتذرين فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم. ولكن حيث إننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وإنما نأخذ منكم الأموال*. ثم فتح باب المجلس الداخلى وطلبوا إلى [المشايخ] الدخول فيه فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى، ثم خرج إليهم سارى عسكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسى فى وسط المجلس وجلس عليه، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية، وأعيان النصارى والتجار من ناحية، وعثمان بك الأشقر والبرديسى أيضا حاضران فأخرج سارى عسكر ورقة من كمه وتكلم بما فيها وكلم الترجمان الترجمان كلاما طويلا بلغتهم حتى فرغ، فالتفت الترجمان إلى الجماعة وشرع يفسر لهم مقالة سارى عسكر ويترجم

* كليبر يفرض غرامات باهظة على المشايخ والأهالى.

عنها بالعربى والجماعة يسمعون، فكان ملخص ذلك القول أن سارى عسكر يقول لكم [انه عفا عنكم مع استحقاقكم للعقوبة وانما] يطلب منكم عشرة آلاف ألف فرنك وذلك مقداره الفى ألف فرانسه منها على الشيخ السادات خاصة، [مايه الفا] والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألف، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألف، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا، والشيخ العنائى خمسة عشر ألف [ومايتان وخمسون الفا] تقتطعها من ذلك، نظير نهب دور الفارين مع العثملى مثل المحروقى، والسيد عمر مكرم، وحسين أغا شنن وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم* خمسة عشر شخصا، انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ، وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى داخل، وأغلق بينه وبينهم الباب، ووقفت الحرسية على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ونظروا إلى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم ،ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكرى والمهدى، لكون البكرى حصل له ما حصل فى صحايفهم والمهدى حرق بيته بمرأى منهم وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفش ولم يترك به إلا بعض الحصر، ولم يكن به غير بعض الخدم، وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته.

* كليبر يطلب رهائن من المشايخ حتى يسددوا الأموال المقدرة عليهم.

ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم أنه لم يكن شيا مذكورا، ولم يزالوا على ذلك الحال إلى

قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان، وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون فى عرضهم، فالذى انحشر فيهم ولم يكن معدودا فى الرويسا أخرجوه بحجة أو سبب، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا، وما صدق بخلاص نفسه، هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوايم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقردتية والمحبظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم، كل طايفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألف، وكذلك بياعو التنباك والدخان والصابون والخردجية والعطارون والزياتون والشواءون والجزارون والمزينون وجميع الصنايع والحرف، وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة.


* الحلاق على عهد الجبرتى.


الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ثم إنهم استأذنوا للمشايخ [فاذنوا لهم بالذهاب]، الخالص [أى الذى دفع ما عليه] يتوجه حيث أراد، والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر، حتى يغلق المطلوب منه، فأما الصاوى وفتوح بن الجوهرى فحبسوها ببيت قايمقام، والعنانى هرب فلم يجدوه وداره احترقت، فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها ماية وخمسين ألف فرانسة، وانفض المجلس على ذلك.

وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب إلى الجيزة ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين ما يشا، وقايمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات.

ونزل الشيخ السادات وركب إلى داره فذهب معه عشرة

* فرض مبالغ على الشيخ السادات وحبسه حتى يسدد الغرامة المفروضة عليه.

الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه* فى مكان، فأرسل إلى عثمان بك البرديسي وتداخل عليه فشفع فيه، فقالوا له: أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد من دفعه، ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفع، وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما، ثم أنزلوه إلى بيت قايمقام فمكث به يومين، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل ينام على التراب ويتوسط بحجر، وضربوه تلك الليلة، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمان، فقال لهما أنزلونى إلى دارى حتى أسعى وأبيع متاعى وأشهل حالى، فاستأذنوا له وأنزلوه إلى داره، فأحضر ما وجده من الدراهم، فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال فرانسة ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات والفراوى والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة.

والمحافظون عليه من العسكر ملازمونه لا يتركونه يطلع إلى حريمه ولا إلى غيره، وكان وزع حريمه وابنه إلى مكان آخر.

وبعد أن فرغوا من الموجودات جاسوا خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها فلم يجدوا شيا، ثم نقلوه إلى بيت قايمقام ماشيا وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا فى الصباح ومثلها فى الليل، وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما، فأحضروا محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم

بمكانهما فأحضروهما وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه، فكانوا يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح، وذلك زيادة فى الإنكا، ثم إن المشايخ وهم الشرقاوى والفيومى والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده فنقلوها إلى بيت الفيومى، وبقى الشيخ على حاله وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما وتغيب أكثر أتباعه واختفوا.

ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح الجوهرى والصاوى فأضعفوها [خفضوها] وجعلوها على كل واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد [أضيف] الباقى على الفردة العامة.

وأما الشيخ محمد بن الجوهرى فإنه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ، ثم إنه توسل* بالست نفيسة زوجة مراد بك فأرسلت إلى مراد بك وهو بالقرب من الفشن فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا على الفردة العامة.

* شفاعة الست نفيسة زوجة مراد بك فى الشيخ محمد الجوهرى وقبول شفاعتها.

ثم إنهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى* وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك ببيت البارودى وألزموا الأغا بعدة طوايف كتبوها فى قايمة بأسما أربابها وأعطوه عسكرا وأمروه بتحصيلها من أربابها، وكذلك على أغا الوالى الشعراوى وحسين أغا المحتسب وعلى كتخدا سليمان بك، فنبهوا على الناس بذلك، وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم*، فدهى الناس بهذه النازلة التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها.

* المعلم يعقوب يلتزم بجمع المال.

* التعسف فى جمع الأموال.

ومضى عيد النحر ولم يلتفت إليه أحد بل ولم يشعروا به، ونزل بهم من البلا والذل ما لا يوصف، فإن أحد الناس غنياً كان أو فقيراً لابد وأن يكون من ذوى الصنايع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو حرفتيه وأجرة داره أيضاً سنة كاملة فكان يأتى على الشخص غرامتان أو ثلاثة ونحو ذلك.



وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل إلى القرض فلم يجد الداين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى وإذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه، ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه، وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم والنصارى المترجمين، وخلافهم لا حرج عليهم.

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النسا من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم والذى لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره، فإن لم يجدوا شياً ردوا غرامته على أبنا جنسه وأهل حرفته، وتطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكانا، وصرحوا بانقضا ملة المسلمين وأيام الموحدين.

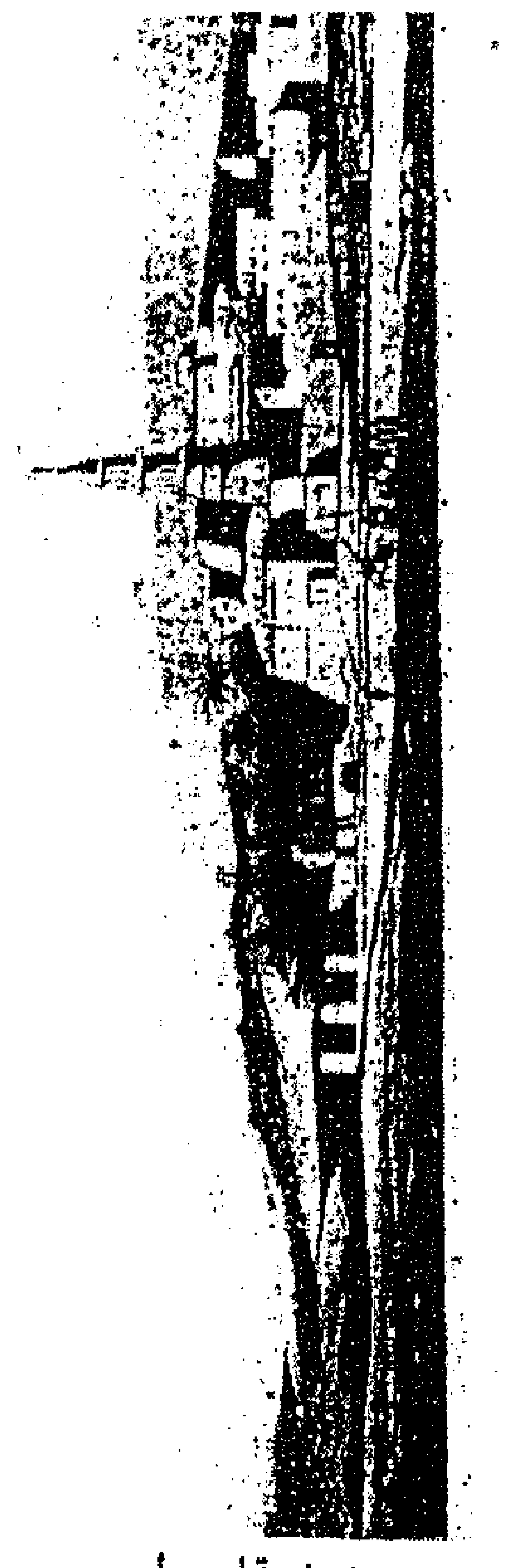
هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون ويحررون أجر الأماكن والعقارات والوكايل والحمامات ويكتبون أسما أربابها وقيمتها، وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا إلى القرى والأرياف.

وكان ممن خرج من مصر صاحبنا النبيه العلامة الشيخ حسن* [العطار] المشار إليه فيما تقدم فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسيوط فأقام بها نحو ثمانية عشر شهراً، وكان كثيراً ما يراسلني بالمكاتبة ويبالغ فى ذلك لتشوقه إلى مصر، ومن جملة رسايله وقد كنت أرسلت له كتابا فأجاب بقوله:

* الشيخ حسن العطار يهرب إلى الصعيد ويراسل الجبرتى.

قد وصل إلى أعزك الله كتابك الذى برد بوروده لهيب الحشا وأودع من البلاغة ما نطق بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشا فهو كالبرد الموشى والروض الذى هو بلآلىء الزهور مغشى، جا مفصحاً عن بلاغة وبراعة منبياً عن قريحة لدى تحرير القول وتحبيره منقادة مطواعة:

ففى كل سطر منه شطر من المنى
وفى كل لفظ منه عقد من الدر



* مدينة اسيوط.

فلله هو من كتاب جمع محاسن الخطاب وحرك عندى ما كان كامنا فى الفؤاد، وأضرم فى الحشا نار الهوى كورى الزناد، وطال ما كنت متشوقا لأخبار، ومتشوقا لاستعلام أحوال وآثار، فجاء كتابك يا سيدى شافيا عليل التذكر، مبردا عليل التشوق والتفكر، سرت حميا ألفاظه فى فؤاد المشروق، وقعت عنده موقع العاشق من المعشوق، فياله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة، قال له القلب حين مازجه وحبه، إنه أحاديث نعمان وساكنه، وهات حدّث عن نجد

وقاطنه، تلك شئون طال بها العهد، وانجر عليها ذيل الحوادث وامتّد، وما كنت أوثر أن يمتد بى الزمان، حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان، وحصل فى القهر بخروجى من القاهرة؛ وأغبرّ أخضر أيامى الزاهرة ولقد ألجأتنى خطوب الأغتراب وأخطرتنى شئون السفر الذى هو قطعة من العذاب، إلى التقلب فى قوالب الاكتساب، والتلبيس بتلبيس الانتساب؛ وإخفا معالم المجى والذهاب.

فطوراً شيخ زاوية وكفر
وأخرى كاتب فى باب والى

أسلك الوفاق مع الرفاق ولا أركب المشاق بجلب الشقاق

طوراً يمان إذا لاقيت ذايمن
وإن رأيت معدياً فعدنانى

وبهذا وأشباهه تم الدست وثبت حبل الحبالة آمنا من السبت، بأخذى بالتخلق بأخلاق من عاصرنا من أبنا الدهر الذى حلبوا أشطره، ومارسوا أخضر العيش وأغبره، حتى انطبعت فى مرآة عقولهم حقايق الأشيا ولاحت لهم أكنتها بغير خفا، وغير خاف أن الماء يمازج اللبن والراح، وكما يكون به الخنق يكون به الارتياح.

لئن كنت فى بعض المواضع عالما
فللجهل فى بعض المواضع أحوج

وقد كدت من الشوق الذى اجتلبه كتابك أطير إليك بلا جناح، وأركب متن اليم آيبا بالهلك أو النجاح، وكان من أقوى أسباب القدوم مشاهدة طلعتكم المزينة بأزاهر النجوم ولقى أحباب يتفتح بهم باب المسرة ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مغبرة، فحين عزمت على السفر وصممت، وأخذت فى الاستعداد وتأهبت، حدثت عوايق فى الطريق وموانع، ولا وزر مما قضى الله شافع، بسبب الكرتينات التى هى من البلاء والآفات، أقيمت كالشجا فى فم البر والبحر، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديث سورة الانشقاق والفجر، وحلوله بالقاهرة وضواحيها، وانتشاره فى أرجاها ونواحيها، وكل هذا هين بالنسبة للمتوقع التى كادت الأفئدة من أصغره تنقطع، وبه كان فراقى للوطن ونبوّى من الأهل والسكن، فحينئذ تحققت أن لا خلاص من هذه البلاد ولات حين مناص، إذ لا يلدغ المسلم من جحر مرتين، ولا يكر العاقل على نفسه بالندامة كرتين، فراجعت نفسى عما عزمت عليه من السفر، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر، وخاطبت ما هجس فى البال من السفر والارتحال، الذى قواه مطالعة كتابك وأيقظه من رقدته سحر خطابك:

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعى بسلام

ثم أطال فى أغراض أخر وجال فى أساليب الكلام وفنونه.

ثم إن أكثر الفارين رجع إلى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار والقتل فيما بينهم وتعدى القوى على الضعيف، واستمرت الطرق مجفرة والأسواق معفرة، والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة، والخانات والوكايل مغلوقة، والنفوس مطبوقة، والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة والمطالب عظيمة والمصايب عميمة، والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة، وإذا أراد الإنسان أن يفر إلى أبعد مكان وينجو بنفسه ويرضى بغير أبناء جنسه، لا يجد طريقا للذهاب وخصوصا من الملاعين الأعراب، الذين هم أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس، وبالجملة فالأمر عظيم والخطب جسيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم [شديد*] .

* سورة هود آية ١٠١ .

وفى عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان، ووقع التشديد فى الطلب والانتقام بأدنى سبب، وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام بإقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام.

(موجز لأحداث العام الماضى)

* تعطيل الثغور وحركة التجارة الخارجية بسبب حصار الأسطول الانجليزى.

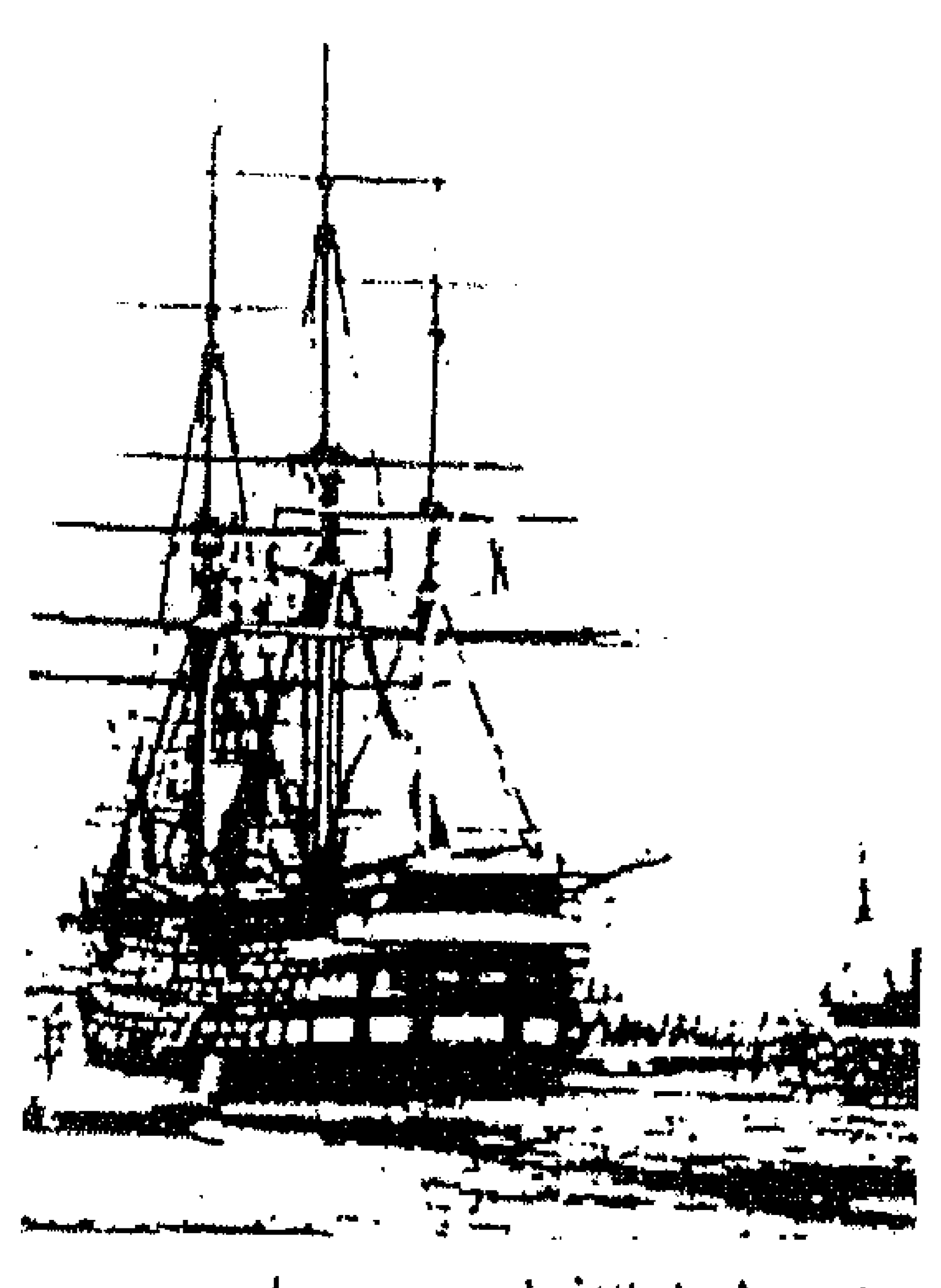
فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين برا وبحرا، ووقوف الإنكليز بثغر إسكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد، وتخطوا أيضا بمراكبهم إلى بحر القلزم.

* ومنها انقطاع الحج المصرى فى هذا العام أيضاً حتى لم يرجع المحمل بل كان مودوعا بالقدس، فلما حضر العساكر الإسلامية أحضروه صحبتهم إلى بلبيس، فيقال إن السيد بدر أرجع به إلى جبل الخليل.

* تعطيل الحج المصرى.

* ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلية وساير النواحى، فمنعوا السبيل ولو بالخفارة وقطعوا طريق السفار، ونهبوا المارين من أبنا السبيل والتجار، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهالى البلاد والحوف بالعرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير وإفساد المزارع ورعيها، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهايمهم إلى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك.

* العرب وقطاع الطرق ينهبون كل أطراف مصر وقراها.



* الاسطول الانجليزى يحاصر الشواطىء المصرية.

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرايب، وتلبسوا بأنواع الشرور واستعان بعضهم على بعض وقوى القوى على الضعيف وطمعت العرب فى أهل البلاد وطالبوهم بالثارات والعوايد القديمة الكاذبة، وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم، فلما انقضت حروب الفرنسيس نزلوا إلى البلاد واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب فضربوهم وسبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة، فإذا انفضوا وانتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم، وهكذا كان حالهم «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»*.

* سورة هود آية: ١١٦.

الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

* ضعف فيضان النيل.

* ومنها أن النيل قصر مده فى هذه السنة فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة إلى المنوفية والغربية، فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقى لهم فى الحى نخيل.

* ومنها أنه لما حضرت العثمانية وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية لهم، نزل طايفة من الفرنسيس إلى المنوفية وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم، فلما مروا بالمحلة الكبيرة تعصب أهلها واجتمعوا إلى قاضيها وخرجوا لحربهم فأكمن الفرنسيس لهم وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق فقتلوا منهم نيفا وستماية إنسان، ومنهم القاضى وغيره ولم ينج منهم إلا من فر وكان طويل العمر.

* الفرنساوية تهاجم طنطا وتطلب الفرده من خدم مسجد السيد البدوى.

وكذلك أهل طنتدا عند حضورهم إليهم وصل إليهم رجل من الجزارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق لزيارة سيدى أحمد البدوى وهو راكب على فرس وحوله نحو خمسة أنفار، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم فصاحت السوقة والبياعون عند رؤية ذلك الرجل بقولهم نصر الله دين الإسلام، وهاجوا وماجوا ولقلقت النسا بألسنتهن وصاحت الصبيان وسخروا بالفرنسيس وتراموا بما على روسهم وضربوهم وجرحوهم وطردوهم فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ومعهم الآلات من المدافع فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ثم هجموا عليهم ودخلوا إليهم وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبلهم وطلبوا خَدَمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان.

وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغرا القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم، فلم يمكنهم التغيب خوفا على نهب الدور وغير ذلك، فظهروا لهم فأخذوهم إلى خارج البلد وقيدوهم وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها يأخذون فى كل يوم ستماية ريال سوى الأغنام والكلف، ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف وحبسوهم أيامًا ثم نقلوهم إلى الجيزة أيام الحرابة بمصر، فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا فى البلاد نزلت طايفة إلى طنتدا وهم بصحبتهم وقرروا عليهم أحد وخمسين ألف ريال فرانسة، وعلى أهل البلدة كذلك بل أزيد وأقاموا حول البلد محافظين عليهم، وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام وطالبوه بالمال، وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب حتى على كفوف يديه ورجليه، ويربطونه فى الشمس فى قوة الحر والوقت مصيف وهو رجل جسيم كبير الكرش فخرجت له نفاخات فى جسده ثم أخذوا خليفة المقام أيضًا وذهبوا به إلى منوف ثم ردوه وولوه رياسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد. فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك، واستمروا على ذلك إلى انقضا العام، حتى أخذوا عساكر* المقام وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال.

* عساكر المقام: هى أربعة كتل من الذهب على هيئة رأس العسكرى مقامة على الزوايا الأربع للمقام.

وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها وقرروا عليها تيفا ومائة ألف فرانسه وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها: وهجموا دورها وتتبع المياسير من أهلها.

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ومن طنتدا، والتعنت عليهم وتسلط طوايف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس بل ومن العرب فإنهم معظم البلا أيضًا، فإنهم هم الذين يعرفون دسايس أهل البلاد ويشيعون أحوالهم ويتجسسون على عوراتهم ويغرون بهم، واستمروا على ذلك أيضا، «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون*».

* سورة الأعراف آية (٥).

* ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل الوزير فرمانات للثغور بإطلاق [الأساطيل] وحضور المراكب والتجار بالبضايع وغيرها إلى ثغر اسكندرية وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثمانى، فلما قربوا من الثغر أقاموا البنديرات وضربوا مدافع للشنك فطمعهم الفرنساوية وأظهروا لهم المسالمة وأظهروا لهم بنديرة العثمانى فدخلوا إلى المينا ورموا مراسيهم ووقعوا فى فخ الفرنسيس فاستولوا على الجميع، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القباطين وأعيان التجار وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحرية والنصارى الأروام وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا وزيوهم بزيهم، وأضافوهم إلى عسكرهم وأرسلوهم إلى مصر فكانوا أقبح مذكور فى تسلطهم على إيذاء المسلمين، ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضايع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم، وبقى الأمر على ذلك وكان ذلك فى أواسط شهر القعدة.

* ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكرا إلى متسلم السويس* الذى كان تولاها من طرف العثمانية فتعصب معه أهل البندر فحاربوهم فغلبهم الفرنسيس وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك.

* استيلاء الفرنساوية على ثغر السويس.

* ومنها أن مراد بك عند توجهه للصعيد بعد انقضا الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة وكان شيأ كثيرا ، فتسلم الجميع منه وعدى درويش باشا إلى الجهة الشرقية متوجها إلى الشام وأرسل مراد بك جميع ذلك للفرنساوية بمصر.

* ومنها أيضًا أنه بعد انقضا المحاربة واستيلا* الفرنسيس على المخازن والغلال التى كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية والقليوبية وكذلك الشعير والأتبان، طلب الفرنساوية مثل ذلك من البلاد وقرروا على النواحى غلالا وشعيرا وفولا وتبنا وزادوا خيلا وجمالا فوقع على كل إقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل سوى ما يدفع مصالحة على قولها للوسايط وهو نحو ثمنها أو أزيد، وكذلك التعنت فى نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك وكل ذلك بإرشاد القبطة وطوايف البلاد.لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام بسرة الإقليم، مثل الأمير الكبير ومعه عدة من العساكر الفرنساوية، وهو فى أبهة عظيمة وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم، والخيام والخدم والفراشون

* تعنت الفرنساوية فى جمع الأموال من أهالى البلاد.

والطباخون والحجاب، وتقاد بين يديه الجنايب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة ويرسل إلى ولايات الإقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف، ومعهم العسكر من الفرنساوية والطوايف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور، فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ويؤجلونهم بالساعات، فإذا مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبى، وخصوصا إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم وسحبوهم معهم فى الحبال وأذاقوهم أنواع النكال، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم إلى غير ذلك مما يتعذر ضبطه «وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون(*)».

* سورة القصص آية ٥٨.

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر

٦٠٥/ عبد العليم بن محمد

* مات الإمام الفاضل الصالح العلامة الشيخ عبد العليم بن محمد بن محمد بن عثمان المالكى الأزهرى الضرير، حضر دروس الشيخ على الصعيدى رواية* ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمايل والجامع الصغير

* رواية ودراية: الرواية: الذى يروى عن غيره حديثا أو شعرا أو علما. والدراية العلم بالشئ والتفقه فيه.

ومسلسلات ابن عقيلة، وروى عن كل من الملوى والجوهرى والبليدى والسقاط والمنير والدردير والتاودى بن سودة حين حج، ودرس وأفاد، وكان من البكايين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية، وكان يعرف أشيا فى الرقى والخواص وفوايد القرينة وأم الصبيان، ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبرنى بها، توفى فى هذه السنة ودفن ببستان المجاورين.

٦٠٦/ شامل أحمد بن رمضان.

* ومات العمدة الفاضل والنبيه الكامل صاحبنا العلامة الوجيه الشيخ شامل أحمد بن رمضان بن سعود الطرابلسى المقرى الأزهرى، حضر من بلده طرابلس الغرب إلى مصر فى سنة إحدى وتسعين، وجاور بالأزهر وكان فيه استعداد، وحضر دروس الشيخ أحمد الدردير والبيلى والشيخ أبى الحسن الغلقى، وسمع على شيخنا السيد مرتضى [الزبيدى] المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضا وأخذ منه الإجازة فى سنة اثنتين وتسعين.

ولما مات الخواجا حسن البنانى من تجار المغاربة فتوصل إلى أن تزوج بزوجته بنت الغريانى وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين، وتجمل بالملابس وتودد للناس بحسن المعاشرة ومكارم الأخلاق، وكان سموح النفس جدا، دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة.

ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسى الضرير من مشيخة رواقهم كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره، فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ونوه بذكره وزادت شهرته، وكان وجيها طويل القامة بهى الطلعة بشوشا.

ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه صاحبنا الشيخ حسن العطار بقصيدة أشار فى مطلعها إشارة خفية لحالته مع المترجم المتولى، والسيد عبد الرحمن المعزول لصداقة بينه وبين المتولى بخلاف المعزول وأول القصيدة:

انهض فقد ولت جيوش الظلام
وأقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الوُرْق على أيكها
تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر أضحى فى الربا باسما
لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره
لما غدت كالدر فى الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا
على الرياحين فأبرى السقام
كأنما الورد على غصنه
تيجان إبريز على حسن هام
كأنما الغدران خلجان أغصـ
ان النقا والنهر مثل الحسام
كأن منظوم الزراجين يا
قوت غدا من نظمه فى انسجام
كأنما الآس عذار على
وجنته وقد علاها ضرام
كأنما الورقاء لما شدت
تتلو علينا فضل هذا الإمام



الجبرتى/ سنة ١٢١٤م

ثم استمر فى مدحه وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور يقول فى آخرها:

بشراك مولانا على منصب
كان له فيك مزيد الهيام
وافاك إقبال به دايما
وعشت مسعودا بطول الدوام
فقد رأينا فيك ما نرتجى
لا زلت فينا سالما والسلام

ولماحصلت واقعة الفرنسيس خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب إلى بيت المقدس، وتوفى هناك فى هذه السنة.

[٦٠٧] الحسن بن على البدرى العوضى.

* ومات السيد الأفضل والسند الأكمل المقرى ابن المقرى والفهامة الذى بكل فن على التحقيق يدرى، بدر أضا فى سما العرفان وعارف وضح دقايق المشكلات بإتقان، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطايف من كنوزها، وكشف عن مخدرات الفهوم لثامها فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها، فلا غرو فإنه بذلك حقيق، كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى به تليق، العلامة الشريف الحسن بن على البدرى العوضى، ربى فى حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون، وأخذ عن أبيه علم القراءات، وأتقن القراءات الأربعة* عشر بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى العلوم، وحضر أشياخ الوقت وتمهر وأنجب، وقرا الدروس ونظم الشعر الجيد وشهد له الفضلا، وله ديوان مشهور بأيدى الناس، وامتدح الأعيان، وبينه وبين الصلاحى وقاسم بن عطا الله مطارحات ذكرنا منها طرفا فى ترجمتهما، ومن مطارحات

* مع أن القرآن دُون فى مصحف عثمان لم يتحول الأساس فى تلاوته يومًا إلى الأعتماد على المصحف المكتوب، بل ظل الاعتماد منذ وجود الرسول عليه السلام على الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه. فالأساس دائما الرواية عن الرسول، وقد تلقاه شفويًا عنه صحابته، وعنهم تلقاه التابعون. ثم تكاثر فى الأمصار خلفاء الجيل الأول من التابعين يتقدمهم أبو

العالم العلامة شيخ الوقت الشيخ محمد الأمير حفظه الله للمذكور قوله:

حى الفقيه للشافعى وقل له
ما ذلك الحكم الذى يستغرب
نجس عفوا عنه ولو خالطه
نجس فإن العفو باق يصحب
وإذا طرا بدل النجاسة طاهر
لا عفو يا أهل الذكا تعجبوا

فأجاب المترجم بقوله:

حييت إذ حييتنا وسألتنا
مستغربا من حيث لا يستغرب
العفو عن نجس عراه مثله
من جنسه لا مطلقا فاستوعبوا
والشى ليس يصان عن أمثاله
لكنه للأجنبى يجتنب
وأراك قد أطلقت ما قد قيدوا
وهو العجيب وفهم ذلك أعجب

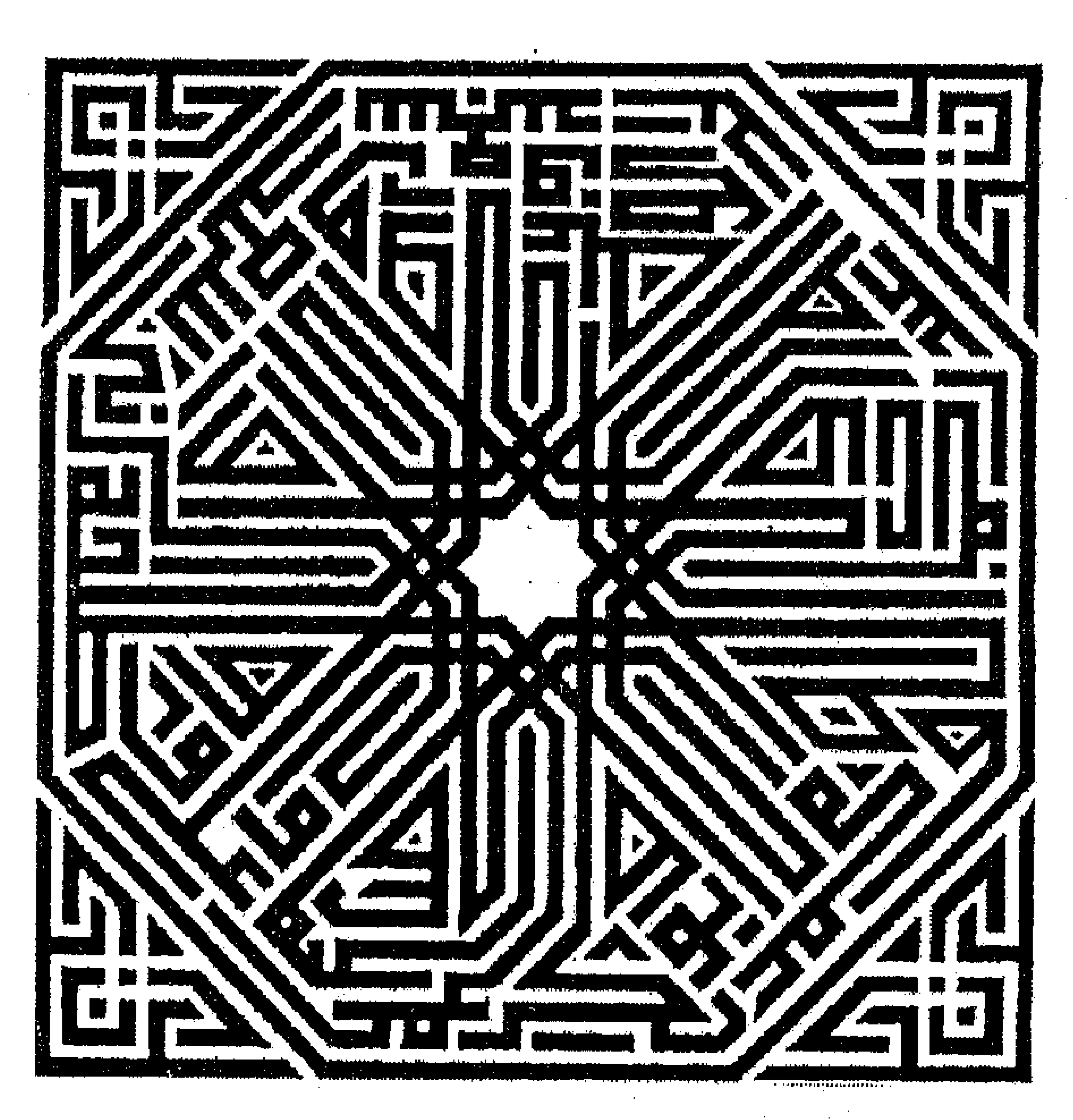
ومن نظمه مورخا لمولد السادات بنى الوفا قوله:

قصدناكم فأثتينا عليكم
بأجمل مدحة وأجل صيغه
وشاهدنا الذى جددتموه
فأرختا موالدكم بليغه

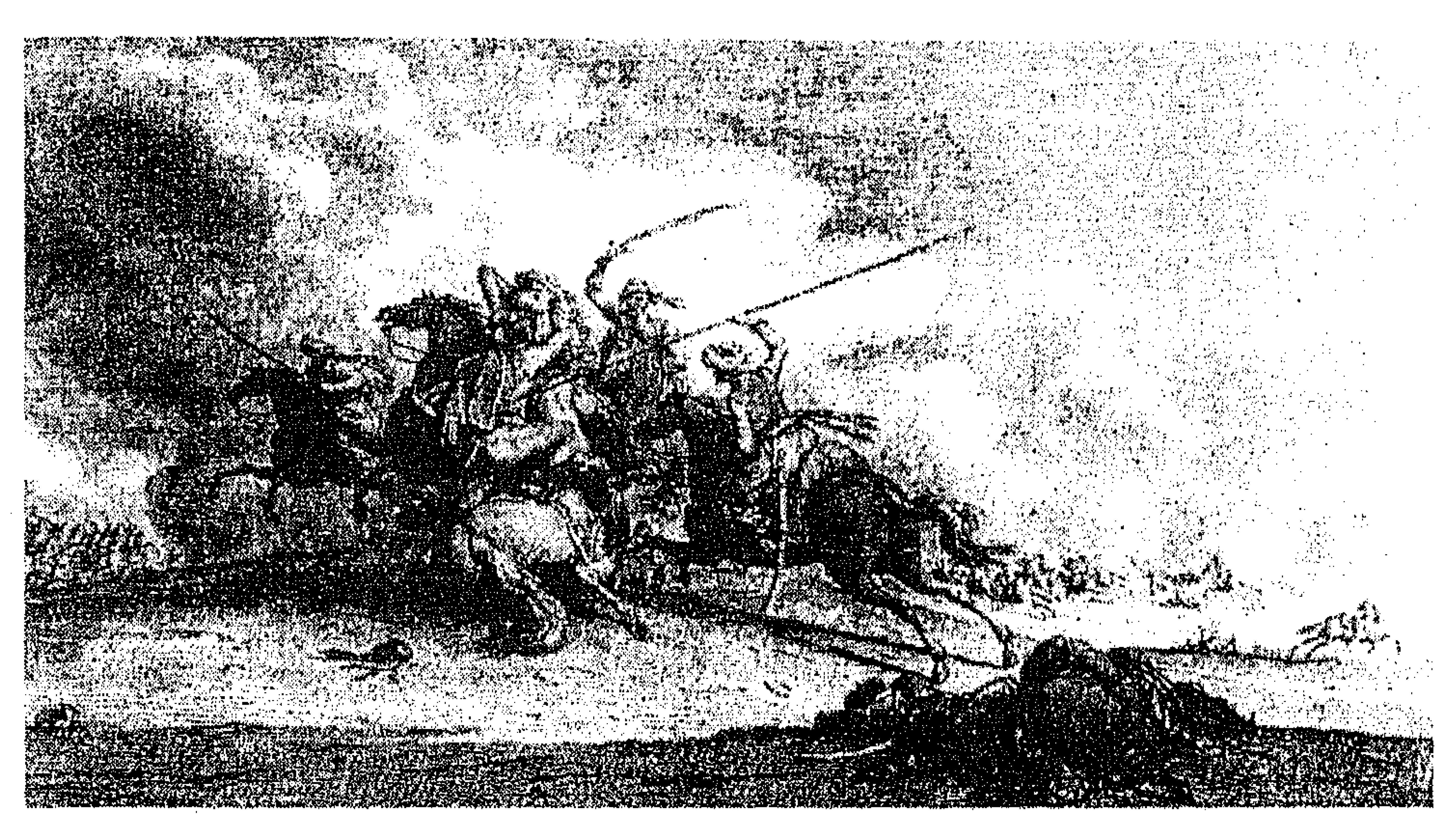
جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة النابهين، ونافع أحد القراء السبعة، ومحمد بن عبد الرحمن بن مُحيصن أحد القراء الأربعة عشر.
ولم يكن علماء القراءات قد تواضعوا على أئمة بأعيانهم يحملون عنهم وحدهم القرآن، وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر ابن مجاهد فحدد القراء السبعة فى كتابه المشهور «السبعة فى القراءات» وهم: نافع، ابن كثير، عاصم، حمزة، الكسائى، أبا عمرو بن العلاء، عبد الله بن عامر.
ومن بعده حاول نفر من علماء اللغة والنحو أن يتميزوا بقراءة خاصة على نحو ما حاول القراء، مما جعل هؤلاء الأئمة يتكاثرون، حتى لنرى أبا عبيد القاسم ابن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ يصنف كتابا يجمع فيه قراءات خمسة وعشرين إماما سوى السبعة المشهورين عند ابن مجاهد.
انظر: كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد. تحقيق: د. شوقى ضيف. دار المعارف ط. ثانيه ١٩٨٠.

وله مدايح فى الأستاذ أبى الأنوار بن وفا قصايد طنانة وغير ذلك وهو كثير مذكور بديوانه، وله أيضاً تآليف وتقييدات وتحقيقات ورسايل فى فنون شتى. ورسالة بليغة فى قوله تعالى: «استكبرت أم كنت من العالين*» وكان الباعث له على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفى فى تفسير الآية بمجلس على بك الدفتردار فظهر بها على الشيخ المذكور، وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسينى، ورتب له معلوما بوقته، وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة يستغلها من جانب الوقف فى كل شهر واستمر يقبضها حتى مات فى شعبان من هذه السنة رحمه الله، ولم يخلف بعده مثله فى الفضايل والمعارف.

* سورة «ص» آية ٧٥.



ملاحـــق



* معارك الفرنساوية فى الوجه القبلى.

ملحق (١)

العمليات العسكرية الفرنسية فى صعيد مصر بين عامى ١٧٩٨/ ١٧٩٩م

لم يفرد الجبرتى مساحة كافية للعمليات العسكرية الفرنسية فى صعيد مصر ولذلك أوردت هذا الملحق لإتمام الاستفادة .

إلى القارى أولاً كل ما جاء فى الجبرتى متقطعاً عن المحاربات فى الصعيد قال: «انه فى يوم الأربعاء أول ربيع الثانى سنة ١٢١٣ وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم وأن عثمان بك الأشقر عدا إلى البر الشرقى وذهب من الخلف إلى أستاذه إبراهيم بك بغزه وخرج جماعة من الفرنسيس إلى جهة الشرق ومعهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم.

وفى ليلة الأحد ١٢ منه ركب كبير الفرنسيس إلى بر الجيزة وسفر عساكر إلى الجهة التى بها مراد بك وذهبوا إليه ببحر يوسف جهة الفيوم. وفى يوم الثلاثا سافر أيضاً جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم واطمعوهم فى أنفسهم فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا وتراموا معهم وكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنسيس مقتلة كبيرة.

وجاء فى حوادث شهر جمادى الأولى قوله: «وفى يوم الخميس أول جمادى الأولى قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر

جرحى. وفى أول شعبان جاءت الأخبار أن مراد بك ومن معه سافروا إلى قبلى ووصلوا إلى عقبة الهوا وكلما قرب منهم عساكر الفرنسيس انتقلوا إلى قبلى وقد داخلهم خوف شديد ولم تقع بينهم ملاقاة ولا قتال.

وجاء فى حوادث شهر رجب تواترت الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلا مغربيًا يقال له الشيخ الكيلانى كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة وصار هذا الشيخ يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابا مؤلفًا فى معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستماية من المجاهدين وركبوا إلى القصير مع من انضم إليهم من أهل ينبع وخلافهم وورد الخبر فى أواخر رجب انه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض الأتراك والمغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند واقعة انبابه وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس فلم يثبت الغز كعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعون من القرى وثبت الحجازيون ثم انكفوا نقلتهم وذلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا وصحبتهم حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن تابعه ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة فى عدة مواضع وانفصل الفريقان بدون طائل» اه.

وظاهر أن الجبرتى لم يكن يعلم شيئًا عن أخبار فتح الفرنسيس لبلاد الصعيد إلا ما يسمعه من أفواه الناس وما يصل من الأخبار المتقطعة إلى القاهرة، وظاهر أيضاً أن هذه المحاربات فى الصعيد بين المماليك والأهالى والعرب من جانب، والفرنسيين من جانب آخر لم تكن متوافرة للجبرتى. ولكن من المعروف انه بعد فرار مراد بك إلى الصعيد وهزيمته فى موقعة امبابه (٢١ يوليه ١٧٩٨) آخذا معه الباقين من جنوده وكان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف، فشكل ذلك خطرا على بونابرت، لأنه لن يحس بالآمان فى الدلتا ما دام المماليك مسيطرين على نهر النيل جنوبى القاهرة، إذ كان معنى ذلك أن فى استطاعتهم ـ فى أى لحظة ـ أن يكروا عليه بهجوم مفاجىء من مصر العليا، والواقع أنه كان معروفاً أن مراد بك راح يجمع بالفعل جيشاً جديدا فى صعيد مصر.

ولقد سبق لمراد بك فى زمن مضى أن أقصى على يد الأتراك إلى الصعيد بالقوة، إلا أنه عاد بعد ذلك بالقوة أيضًا منتصرا إلى القاهرة، وكان فى استطاعة مراد بك أن يعتمد إلى حد ما على مساعدات البدو والقبائل التى تعيش فى الصعيد على امتداد ضفتى النيل، إلى جانب أتباعه من المماليك، وبالتالى كان من الممكن أن تتكون لديه قوة كبيرة للقيام بغارات مسلحة على أقاليم الدلتا، وربما أيضا لضرب الحصار على القاهرة نفسها، حيث كان مراد بك على اتصال بالمراسلات مع الساخطين فى مدينتى القاهرة والاسكندرية، ومع زميله إبراهيم بك فى غزة، وبالجزار باشا فى عكا، وبالأسطول الانجليزى المرابط أمام الاسكندرية، وكانت مراسلاته مع هؤلاء تتم بواسطة البدو.

وأصبح بقاء مراد بك بمصر الوسطى والعليا لا يبرحهما أمرًا لا يطيقه الفرنسيس حتى ولو لم ينشأ عنه تهديد مباشر لتملكهم القاهرة والدلتا، فما دام مراد حرًا طليقًا فسينتظر سكان الأقاليم المحتلة عودته آخر الأمر، سواء أرادوا أو لم يريدوا، وسوف تتأثر نفوسهم بدعاية مراد بك وتستجيب لها إما بالخوف منه، وإما بالتحمس له.أضف إلى ذلك انه كان من الضرورى طرد مراد بك من مصر الوسطى والعليا قبل أن يجد من الوقت متسعاً لجمع الضرائب هناك، لئلا يفلت هذا المورد من الخزانة الفرنسية وهى فى أمس الحاجة إليه. ولا شك فى أن كل هذه الأسباب قد جعلت بونابرت يفكر بنظره الثاقب وهو غارق فى مجالات نشاطه المتباينة الألوان فى إرسال حملة لإخضاع الصعيد لسلطته والقضاء على قوة مراد بك، لأن وجود قوة معادية فى الصعيد يهدد سلطة الحكومة المركزية، ويكون مثابة للمقاومة الأهلية، ويعطل الملاحة فى النيل، ويحبس الغلال على الوجه البحرى فيستهدف سكان القاهرة والدلتا وجنود الحملة للمجاعة.

بونابرت ومحاولة الاتفاق مع مراد

قبل أن يهم بونابرت بإرسال حملة لإخضاع الصعيد، فكر فى أن يدخر قواته ويمنع الحرب وذلك نظرًا للموقف الحرج للحملة فى الوجه البحرى والقاهرة بسبب المقاومة الشعبية، هذا إلى جانب ما ستتعرض له حملته فى صعيد مصر من صعاب تتمثل فى كون بلاد الوجه القبلى مستطيلة ومتباعدة عن بعضها البعض، وتحف بها الصحارى الواسعة فضلا عن وعورة الطرق وصعوبة المواصلات.

لذلك فكر بونابرت فى أن يتبع أسلوب المفاوضة السلمية مع مراد بك على أن يترك له إقليم جرجا وما يليها إلى الشلال، ويكون تابعا للحكومة الفرنسية فيؤدى الخراج الذى كان يخرج من هذه الجهات، وكان المسيو كارلو روستى "Rosetti" قنصل النمسا فى مصر رسول المفاوضة بينهما، فبعث إليه بونابرت بتعليماته فى الرسالة الآتية.

«المعسكر العام بالقاهرة فى ١٤ ترميدور من السنة السادسة (أول أغسطس سنة ١٧٩٨).

«إلى المواطن روستى، عليك أن تذهب سرًا إلى مراد بك وتخبره بأنك قدمت لى الرسول الذى أوفده إلى، وأن هذا الرسول قد ترك فى نفسى أثرًا سيئًا بثرثرته وأقواله الطايشة، على أننى أدركت أنه قد يجيء الوقت الذى أرى فيه من مصلحتى أن انتفع بخدمات مراد بك، وأن اتخذه عضدا أميناً لى، فلتخبره أنى أقبل إذا تم الاتفاق بيننا أن تبقى مديرية جرجا فى حيازته على أن ينسحب إليها فى مدى خمسة أيام، وأن لا أرسل إليها من ناحيتى أيًا من الجنود، وعليك أن تبلغه كذلك أنه إذا تم الاتفاق مبدئيا على هذه الشروط فمن المحتمل إذا ازددت معرفة به وثقة بمقاصده أن أعاهده على مزايا أكبر، وعليك أن توقع وإياه على معاهدة اتفاق تكتب باللغتين الفرنسية والعربية تكون مؤلفة على وجه التقريب من الشروط الآتية:

المادة الأولى: يستبقى مراد بك معه خمسمائة أو ستمائة من الفرسان تكون عدته فى حكم مديرية جرجا من شلال أسوان إلى ما يلى جرجا شمالا بنصف فرسخ وعليه أن يجعلها فى مأمن من هجمات العرب.

المادة الثانية: يعترف مراد بك بأن يكون فى حكم المديرية المذكورة تابعا لفرنسا وأن يدفع لخزانة الجيش الخراج الذى يجبى منها.

المادة الثالثة: يتعهد القائد العام من ناحيته بألا تحتل جنوده أى جهة من مديرية جرجا وأن يترك إدارتها لمراد بك.

المادة الرابعة: على مراد بك أن يمضى برجاله إلى ما وراء حدود مديرية جرجا فى مدى خمسة أيام، ولا يسوغ لأحد من أتباعه أن يتخطى هذه الحدود إلى مديرية أخرى إلا بإذن من القائد العام».

ولقد زود بونابرت القنصل روستى بتفويض كتابى يخوله حق توقيع المعاهدة مع مراد بك، وتوجه القنصل المذكور إلى مراد بك وأعطاه المكتوب وأفهمه باللسان فكان جواب مراد بك إن هذا الكلام نحن لا نقدر أن نسمعه ولكن قول إلى الجنرال بونابرته يأخذ عساكره ويرجع إلى اسكندرية ونحن ندفع له عشرة آلاف كيس ويتوجه إلى بلاده فإن فعل حقن دماء جنوده ووفر على مشقة محاربته.

وواضح من العرض السابق أن بونابرت كان راغبا فى الاتفاق مع مراد بك وإذا كانت رغبته فى الاتفاق من أجل ادخار قواته، فما هى الأسباب التى جعلت مراد بك يرفض الاتفاق مع بونابرت؟

أغلب الظن أن رفض مراد بك للعرض الفرنسى السالف الذكر ناتج عن الأخبار التى وصلته عن معركة أبو قير (أول أغسطس ١٧٩٨) والتى انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى.

ولذلك نجد فى رد مراد بك على بونابرت غطرسة وثقة زائدة بالنفس يبدو أنها ناتجة عن فهم مراد بك أن بونابرت حين عرض عليه هذا العرض قد ضعف فرفضه.

تحرك حملة الجنرال ديزيه واحتلال بنى سويف

جعل بونابرت الجنرال ديزيه قائداً للحملة على الوجه القبلى، وأصدر بونابرت أمره إلى الجنرال ديزيه بالسير لمقاتلة مراد بك والقضاء على قواته من جهة، واخضاع الوجه القبلى من جهة أخرى، فشرع الجنرال ديزيه فى مغادرة الجيزة وركب سفينة فى ٨ فريكتيدور من العام السادس من التقويم الجمهورى الموافق ٢٥ أغسطس ١٧٩٨، وتحرك مع أول ضوء من اليوم المذكور مع كتيبتين من الصف ٨٨ وكتيبتين من الصف الثانى الخفيف وكتيبتين من المدفعية المرتبطة بفرقته وبعض السفن المسلحة لحراسة الحملة.

ولقد بلغ عدد تلك القوة التى تألفت منها حملة الجنرال ديزيه لإخضاع الصعيد أربعة آلاف جندى، ثلاثة آلاف منهم من المشاة وألف من الخيالة، بالإضافة إلى ما يقرب من مائة مدفع، وأسطول صغير من القوارب، وسرب كبير من الجمال لنقل ما يلزم له على طول الطريق الصاعد مع النهر، وضمت الحملة بين صفوفها عددا من المترجمين والادلاء كما اصطحب الجنرال ديزيه معه المعلم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور.

وبعد أن تم تجهيز الحملة على النحو السالف الذكر، بدأ ديزيه السير جنوبا لمطاردة مراد بك فى

اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧٩٨، وسار جزء من الحملة على شاطىء النيل فوصلت إلى أطفيح فى ٢٩ أغسطس، ثم أقلعت السفن الفرنسية من أطفيح ووصلت يوم ٣١ أغسطس إلى بنى سويف واحتلتها بدون مقاومة،وكان مراد بك بعد موقعة امبابة وفراره من الجيزة، قد اجتمع عليه بقية من بقى من المماليك فى الفيوم، وانضم إليه خصومه الذين كانوا فى الصعيد، وكذلك التف حوله عدد عديد من العربان، وبهذا الجيش المكون من المماليك والعربان اتخذ مراد بك مقره عند ناحية البهنسا فى مديرية الفيوم، وكانت معه بقية من بعض السفن الحربية التى سلمت من الحريق فى موقعة امبابة، وهذه سارت فى الليل إلى بلده المنيا واستقرت امامها، وألقت القوارب والمراكب الصغيرة التى تحمل المؤونة والأدوات وبعض مستلزمات المماليك مراسيها فى بحر يوسف بالقرب من «أبو جرج».

وبعد أن احتل الجنرال ديزيه بنى سويف بقى بها عدة أيام يستطلع أخبار المماليك، وينتظر وصول الذخائر والمؤونة من القاهرة، وهناك علم أن مراد بك مرابط فى ناحية البهنسا بين بحر يوسف والجبل، وأنه جمع أسطوله فى هذا البحر يحمل زاده ومؤونته وذخيرته، وكان لابد للوصول إلى موقع مراد بك على بحر يوسف والاستيلاء على أسطوله أن تمضى الحملة فى النيل إلى ديروط وهى مأخذ بحر يوسف، ومن ثم تنحدر فيه إلى أن تلتقى بقوة المماليك، لذلك نجد الجنرال ديزيه بعد أن وفر لوسائله الزاد رحل بحملته حيث وصل إلى أبو جرج فى تمام الساعة السابعة مساء يوم ١٨ فروكتيندور الموافق ٤ سبتمبر ١٧٩٨.

احتلال البهنسا وتعقب أسطول المماليك إلى أسيوط

عزم ديزيه على أن يكشف مواقع مراد بك وأن يفاجئه براً فى البهنسا، فنزل إلى البر تجاه «أبو جرج» ومعه جزء من الجيش وسارت القوة براً حتى وصلت إلى البهنسا الواقعة على بحر يوسف، وقبل أن تصل إليها شعر مراد بك باقترابها، فأمر بانسحاب أسطوله إلى أسيوط حتى لا يقع فى أيدى الفرنسيين، وأخلى البهنسا فاحتلها ديزيه، ولما علم الجنرال ديزيه من الأهالى أنه توجد اثنتا عشرة من المراكب محملة بالمؤونة والذخيرة على مقربة منه أمر رجاله من الوحدة ٢١ بالاستيلاء على هذه المراكب، فاستولوا عليها رغم النار التى كان يصبها المماليك عليهم، وكان فى هذا المراكب بعض المماليك فلما رأوا أنهم واقعون فى أيدى الفرنسيين ألقوا بأنفسهم إلى الماء، وتمكن الكابتن راب Rapp ياور الجنرال ديزيه أن يجرد اثنين منهم من السلاح بعد مقاومة شديدة لأنهما رفضا التسليم، وكانت أحد عشر من هذه المراكب محملة بالذخيرة والطعام وخاصة بكمية كبيرة من القمح والمركبة الثانية عشرة كانت تحمل سبع قطع مدافع.

وعلم الجنرال ديزيه وهو فى البهنسا أن مراد بك بعد أن أقام فى هذه المدينة شهراً غادرها منذ ثمانية أيام وذهب إلى اللاهون بقرب الفيوم حيث يقيم محمد بك الألفى وبعض المماليك، ولا تزال المواصلات بين اللاهون والبهنسا سليمة، وأن البكوات عثمان رضوان وعمر ومماليك إبراهيم بك الصغير قد كلفوا بالمحافظة على البهنسا بجيش

مؤلف من أربعمائة رجل من المماليك وقبيلتين من العرب، وقد حضر أولئك العرب من أسيوط منذ ثلاثة أيام ، وأمروا بحماية الإمدادات التى تأتى من البلاد إلى البهنسا بطريق بحر يوسف، وفى نفس الوقت علم ديزيه أن العمارة البحرية التى كانت للمماليك فى أبى جرج زحفت إلى الامام لتحمى حركات مراد بك.

ولقد واجه الجنرال ديزيه تحركات المماليك هذه بأن عاد يوم ٧ سبتمبر ١٧٩٨ إلى أبو جرج، حيث انضم إلى مجموعته، ثم تحركت الحملة كلها صاعدة فى النيل، ووصلت يوم ١٢ سبتمبر إلى ديروط الشريف، وفى اليوم التالى اتخذت مكانا عند مدخل بحر يوسف.

وعندما علم ديزيه أن أسطول مراد بك عند أسيوط عزم على أن يستمر جنوبا حتى أسيوط ليستولى على اسطول مراد بك وقد علم أن معظم بحارته من اليونانيين الذين يمكن استمالتهم فدس إليهم رسله لهذا الغرض فى محاولة منه لاستمالتهم إليه، ورحل ديزيه بالجزء الأكبر من قواته قاصداً أسيوط، وترك جزءاً من قواته فى ديروط على مدخل بحر يوسف لاحتلال هذا الموقع وحماية الملاحة مع القاهرة، ووصل ديزيه إلى أسيوط يوم ١٤ سبتمبر ١٧٩٨، فلم يجد أسطول المماليك الذى تمكن قبل وصول ديزيه من السير جنوبا حتى وصل إلى جرجا، بينما هرب المماليك بمجرد أن علموا باقتراب الفرنسيين منهم.

وعلم ديزيه أن ثلاثة من كشاف سليمان بك وحوالى ثلثماية مملوك وبعض العرب قد تركوا أسيوط وتوجهوا إلى قرية بنى عدى «على بعد ستة فراسخ من أسيوط» مع زوجاتهم وكثير من رجال السفن، ورأى ديزيه أن يفاجئهم فى موقعهم الجديد بعد أن فشل فى محاربتهم فى أسيوط، فتحركت قافلته بهدوء شديد فى مساء يوم ١٧ سبتمبر ١٧٩٨ ووصلت بنى عدى فى صباح اليوم التالى بعد مسيرة شاقة عبر الصحراء، ولم يجد ديزيه فى بنى عدى سوى السكون والخلاء، فقد علم المماليك بتحركات الفرنسيين عن طريق جواسيسهم، وتحركوا فورا بمجرد علمهم بخطتهم، متجهين إلى الصحراء للحاق بزملائهم فى الفيوم.

رجوع ديزيه إلى الفيوم

انزعج الجنرال ديزيه بعض الشىء عندما علم بتحرك المماليك بزعامة مراد بك إلى إقليم الفيوم الخصيب، ولكنه سعد بتجمع كل أعدائه فى مكان واحد، وصمم ديزيه على مباغتة مراد بك بعد أن فشل فى اللحاق بأسطول المماليك، وفشل أيضا فى مواجهة قوتهم، وهكذا كانت رحلته الأسيوطية عقيمة أضاعت عليه ثمانية أيام اغتنمها مراد بك ليقوى صفوفه فى الفيوم، وانحاز إليه عدد كبير من الأهالى وحالفوه على الفرنسيين، واتخذ هو وحلفاؤه معسكرهم فى اللاهون لذلك نجد ديزيه يعود إلى أسيوط بعد أن علم بتحركات المماليك فى ١٩ سبتمبر ١٧٩٨ ويترك فيها نصف فرقة وسفينة حربية لحراسة قافلة كبيرة للحبوب كان قد أمر بشحنها إلى القاهرة.

وفى نفس المساء من اليوم المذكور رحل ديزيه مع فرقته العسكرية وأسطوله بنية أن يلحق بمراد بك الذى هرب إلى الفيوم وفى ٢١ سبتمبر وصل

ديزيه إلى مدخل بحر يوسف وهو الممر المائى الوحيد الذى يتيح للفرنسيين المرور فى ذلك الوقت من السنة إلى الفيوم وفى ذلك الوقت تسلم ديزيه امدادات من القاهرة تتمثل فى خمسين قنطارا من البسكويت وثلاثة آلاف خرطوشة.

ثم سار ديزيه فى يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨، ودخل بحر يوسف بعد أن ترك ست سفن مسلحة لتحمى مدخل بحر يوسف وتتقابل فى مستوى ديروط، وتلقت اثنتان من هذه السفن الأمر بالانحدار حتى بنى سويف مع أتباع حركة السفن الحربية.

وبدأت السفن الفرنسية تسير فى بحر يوسف ابتداء من يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨ وكانت هناك صعوبات كثيرة واجهت الحملة تمثلت فى أن بحر يوسف يتخذ طريقا متعرجا مما جعل المرور فيه متعباً، هذا إلى جانب هبوب الرياح من الصحراء، وقلة غور المياه، فكان الجنود ينزلون إلى الشاطىء ويجرون السفن بالحبال فى محاولة منهم للإسراع فى الوصول، ولكن على حد قول أحد المصادر المعاصرة كانت كل هذه الجهود بلا جدوى.

وبالإضافة إلى الصعوبات السالفة الذكر فإن المراكب الفرنسية كانت تتعرض وهى سائرة فى بحر يوسف لهجمات الأهالى والمماليك، ولا شك فى أن هذه الصعوبات تركت فى نفس الفرنسيين أثرا سيئا، حيث كانت الرحلة فى بحر يوسف طويلة وشاقة، وكان عدد جنود فرقة الجنرال ديزيه تتناقص بشكل سريع، وفى كل يوم كانت تنفصل سفينة عن الركب لتحمل المرضى إلى القاهرة، ويبدو أن اليأس قد سيطر على نفوس الفرنسيين إلى حد أن اعتقد البعض منهم أن المماليك قد انتصروا عليهم دون حرب، وسارت فرقة ديزيه بالرغم من كل الصعوبات المذكورة، وفى يوم ٣ أكتوبر ١٧٩٨ تحت طليعة الجيش الفرنسى مركزا عسكريا لمراد بك فى مستوى قرية منيكيا Menkia وعلى الفور أمر ديزيه بالنزول من المراكب، واتجه مع فرقة فوق أنواع من التلال الرملية التى تهيمن على القناة حتى اللاهون، وما أن أطلقت طليعة الجيش الفرنسى نيرانها على قوة المماليك حتى انسحبت بعيدا عن ضفة النهر تاركة القوات الفرنسية لتواصل سيرها فى بحر يوسف.

وفى اليوم الموافق ٤ أكتوبر رأى الفرنسيون قوة أخرى من المماليك عددها ستمائة مملوك كانت تترقب السفن الفرنسية على شاطىء البحر لتطلق عليها النار، وكان ذلك صباحا بالقرب من قرية منصورة Mansourah وكانت عملية الانزال من السفن بالغة الصعوبة تحت نيران هذا العدد الكبير من المماليك، وهنا أمر ديزيه عمارته بالتقهقر نحو نصف فرسخ لكى ينزل فيها الجنود، ولم تكد العمارة تنفذ الأمر حتى فهم المماليك هذا التصرف على أنه هروب، فهجموا على الفرنسيين بشجاعة أكبر، ولكن حملة القرابينات من الفرقة الحادية والعشرين لم تدع الفرصة للمماليك للاقتراب من الشاطىء، ونزلت الفرقة ونظمت صفوفها بدون أن تلقى مانعا، وأمر الجنرال ديزيه فى الحال بوضع مدفعين، وبزحف الجيش لمقابلة المماليك، فتقهقر المماليك ببطء أمام الفرنسيين الذين كانوا يصلونهم نارا حامية لمدة أربع ساعات، وأمام هذه السرعة وهذا الشكل المنظم من قبل الفرنسيين، فر المماليك فى اتجاه الصحراء بعد أن فقدوا بعض

خيولهم، وكان هؤلاء المماليك تحت قيادة محمد بك الألفي.

معركة سدمنت
(٧ أكتوبر ١٧٩٨)

واصلت فرقة الجنرال ديزيه زحفها حتى وصلت مساء يوم ٦ أكتوبر ١٧٩٨ إلى مشارف قرية سدمنت، وكان ديزيه قد أبلغ بواسطة جواسيسه أن مراد بك ينوى انتظاره في سدمنت، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن المماليك لن يغادروا هذه القرية قبل القيام بعمل حاسم ضد الفرنسيين، فالمعارك التي قاموا بها أثناء الهروب، والتي يبدو أنهم كانوا يقيسون بها قوة الفرنسيين، أو حث إلى الفرنسيين أنهم يريدون أن ينتهوا من الموقف بشكل حاسم، كما كان الفرنسيون متشوقين إلى هذه اللحظة، لذلك اتجه الفرنسيون صباح يوم ٧ أكتوبر تجاه سدمنت لمنع الخطر الذي يتهددهم.

وقبل أن نتحدث عن أحداث هذه المعركة، يجب علينا أن نتعرف أولاً على عدد قوات الجيش المملوكي وقوات الجيش الفرنسي، وعن الخطة الحربية التي أعدهاكل فريق لخوض هذه المعركة الهامة.

كان الجيش المملوكي تحت زعامة مراد بك يتألف من ثلاثة آلاف رجل، وواضح أن عدد الجيش المملوكي كان يفوق عدد الجيش الفرنسي بكثير، ولكنه كان في نفس الوقت يفتقد النظام والتنسيق بين قواته، كما كانت تنقصه الأسلحة الحديثة المتطورة، بينما نجد الجيش الفرنسي بالرغم من قلة أعداده كان يتميز بالنظام والتنسيق بين قواته ويملك أسلحة متطورة، وعلى رأسه قيادة حازمة وواعية منهما مائة وثمانون جنديًا جعلها في المقدمة، أما الجيش بمدفعيته فأبقاه كتلة واحدة متراصة في المؤخرة.

وكان مراد بك وحلفاؤه قد أعدوا معدات الهجوم، وقوى أملهم في سحق الجيش الفرنسي لقلة عدد جنوده بالنسبة إليهم، واتخذ جنود مراد بك مواقع حصينة في المرتفعات بحيث كانوا يسيطرون على أرض المعركة.

وبدأت المعركة بهجوم خاطف من المماليك والعربان، وانقضوا على الفرنسيين كالطيور الكواسر، ولم يملك الفرنسيون أمام هذه الهجمة الخاطفة إلا الإسراع بإطلاق النار على المماليك والعربان.

وتذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أن فرقة المقدمة اليمنى كانت الهدف الأول لضربات جنود مراد بك ، حيث ارتمى أكثرهم ببسالة في صفوف الفرنسيين، وأحدثوا عدة ثغرات قوية في المربعات الفرنسية، واستعملوا في دفاعهم الأسلحة التي يستترون بها من قرابينات، ثم دار بعد ذلك قتال فردى بين رجال الفريقين تقشعر لفظاعته الأبدان، وراح الجرحى يطعن بعضهم بعضاً، ويذكر «فيفان دينون» مشهداً من هذه المشاهد المروعة حيث ذكر ما يلي «زحف أحد رجالنا وكان صريعا على الأرض صوب مملوك محتضر Expirant وقطع حلقومه، وسأله ضابط، كيف تستطيع أن تقتل هذا في حالتك هذه؟ وأجاب الجندى، من السهل عليك أن تتكلم أما أنا فليس أمامي غير بضع دقائق أعيشها، وأريد أن أستمتع بها ما دام ذلك في استطاعتي.

ويصور «دومنيك دى بيترو» مشاعر فرقة المقدمة اليمنى من الفرنسيين تجاه المماليك قائلاً «تجمعت كل مشاعر الجنود من كراهية ويأس على رأس المماليك الذين ذهلوا من صلابة هذه الفرقة الصغيرة العدد ، كانت شجاعتهم نادرة واحتقارهم للموت ظاهران على جباه هذا العدد الصغير من جنودنا ، لم تكن حربهم للانتصار، فقد كانت الأعداد الكبيرة للأعداء قد أزالت هذه الفكرة، ولكنهم أرادوا أن يموتوا بشرف غارقين فى دماء أعدائهم وقد تحققت رغبتهم، فقد قتلوا تحت وطأ العدو ودفنت جثثهم تحت جثث الأعداء.

وأثناء هذا الهجوم الأول من المماليك نجح المربع الحربى الفرنسى فى الدفاع عن نفسه من جميع الاتجاهات.

ثم حدث هجوم آخر شديد الضراوة من المماليك على الفرنسيين، وأثناء هجومهم رأوا أن خيولهم المجهدة تتراجع أمام نيران البنادق الفرنسية، فكانوا يهاجمون بظهورهم لكى يحموا الخيول من رؤية البنادق، ولكى يفتحوا لهم ثغرات داخل الجيش الفرنسى، وعندما باءت محاولات المماليك بالفشل، ألقى بعض المماليك بأنفسهم من فوق ظهور الخيل ليقعوا وسط جنوده الجيش الفرنسى وكانت نتيجة ذلك أن قتلوا جميعًا، وهنا أدرك المماليك أنه من الصعب هزيمة الفرنسيين بهذه الطريقة، خصوصًا بعد أن عجز فرسان مراد بك من اختراق صفوف الفرنسيين، وكانت نيران المدافع والبنادق تصدهم وتفتك بهم فتكًا ذريعًا، وهنا قرر المماليك أن يتراجعوا، وظن الفرنسيون أنهم قد انهزموا ولكن المماليك كانوا قد قرروا أن يحاربوا الفرنسيين فى محاولة أخيرة لعلهم ينتصرون عليهم فى هذه المعركة، وكان سلاح المماليك فى هذه المحاولة ثمانية مدافع كان مراد بك قد أخفاها خلف أحد التلال، وكانت موضوعة بطريقة فنية وفجأة انطلقت نيران هذه المدافع فى اتجاه الفرنسيين لتحصد القتلى من بين صفوفهم، وهكذا أصابت مدفعية المماليك الفرنسيين بخسائر فادحة وتركت فى المعسكر الفرنسى الكثير من الجرحى والقتلى.

وارتفعت صيحات الفرح بين صفوف جند مراد بك لهذا الانتصار المؤقت على الفرنسيين، وظن المماليك أن الدائرة ستدور على الجيش الفرنسى وأن الهزيمة الكبرى ستلحق به، ولكن ماذا عن موقف الجيش الفرنسى بزعامة الجنرال ديزيه تجاه هذا الهجوم المفاجئ من المماليك؟.

فى البداية نود أن نقول أن الجنرال ديزيه كان يتمتع بشجاعة غير عادية وهذا ما جعل الجنرال «فريان» الذى اشترك فى المعركة يقول عنه «أعتقد أن الجنرال ديزيه أبرد من الثلج بعشر درجات، فلم يكن أمام الجنرال ديزيه إلا الانتصار على المماليك أو القتال حتى آخر رجل، حيث كان من الصعب عليه أن يتقهقر أو ينسحب عائدًا إلى سفنه هو وجنوده فى تلك الظروف وبعد أن فكر الجنرال ديزيه فى هذا الموقف قرر أن يشن هجومًا على مدفعية المماليك حتى يتحقق له النصر ولكنه تردد بعض الشئ، لأن الهجوم على المماليك كان يفرض عليه أن يترك ستون جريحًا، سيتركون للقتل من جانب المماليك إذا لم يقم بحمايتهم وهنا يذكر «دومينيك دى بيترو» عن مواقف

الجنرال «ديزيه» من الجرحى وعن قرار الهجوم الذى اتخذه ديزيه ما يلى «إن الرحمة عنده تأتى أحيانًا فى أوقات غير مناسبة، وفى كل مرة يستسلم لها يزداد أكثر عدد الجرحى، وأخيرًا ومن أجل صالح الجيش قرر الجنرال ديزيه إتمام المهمة، وأمر بالهجوم، وفى لحظات تجمع الجنود فى الصف، وعندما رأى الجرحى أنهم سيتركون لمصيرهم حاولوا بصرخاتهم أن يستدروا روح التعاطف لدى زملائهم، ولكن الجميع أصابه الصمم، فرؤية الخطر تقتل أى مشاعر تعاطف ، وابتعد عنهم التشكيل بسرعة، وبعد قليل جاءهم بعض المماليك وزرعوا الصحراء بأشلائهم.

ولا شك فى أن رؤية الجنود الفرنسيين لرفاقهم من الجرحى والقتلى قد أشعلت الثورة فى نفوسهم وزادت من حماستهم فى تحقيق الانتصار على المماليك والاستيلاء على مدافعهم،ويصور «دى بيترو» موقفهم بأسلوب أدبى شيق فيقول «عند رؤية هذه الوحشية Horrible امتلأت نفوسنا بالغضب والثورة وطار الجنود على مدافع الأعداء، وكان البرق L'eclair أقل منهم سرعة وضربات القدر أكثر منهم رحمة، وتشتت جنود الأعداء من أمامنا، والصحرا التى امتلأت بصرخات الغضب، وأصوات المدافع غاصت فى سكون عميق، هذا الاختفاء السريع للعدو ترك لنا الوقت لكى نرى موقع القتال ونبحث عن جرحانا.

ونجح هجوم الفرنسيين على مدافع المماليك، واستولوا عليها بأسنة حرابهم وقتلوا جنو د المدافع فى مراكزهم، وأداروا أفواه المدافع على المماليك الذين فروا منهزمين وتاركين خلفهم نحو أربعمائة من رجالهم على أرض المعركة ما بين قتيل وجريح.

وانتهت هذه المعركة بإنتصار الفرنسيين على مراد بك، وبلغت خسائر ه كما قدرها الجنرال ديزيه بأربعمائة قتيل وجريح، بينما بلغت خسائر الفرنسيين كما قدرها الجنرال برتييه ثلاثمائة وأربعون قتيلاً ومائة وخمسون من الجرحى.

وتعتبر موقعة سدمنت أكبر موقعة دارت فى الصعيد بين القوات الفرنسية وبين قوات مراد بك، لذلك فهى تعد من أهم المعارك التى خاضها الفرنسيون فى صعيد مصر، إذ أنها كانت المعركة البرية الثانية فى أهميتها بعد معركة امبابة، لأنها قضت على آمال مراد بك فى أن ينتصر فى معركة منظمة كما أنها أعطت للفرنسيين حكم منطقة بنى سويف والفيوم، وهى منطقة غنية بمنتجاتها الزراعية التى كانت لازمة لتموين القاهرة.

ومن العرض السابق لمعركة «سدمنت» يتبين لنا أن الفرنسيين انتصروا على مراد بك بتفوقهم الحربى الذى أتاحه لهم قوة مدفعيتهم، وكثرة ذخيرتهم، وبما امتازوا به من نظام حربى وقيادة تتمتع بالكفاءة الحربية، ولكنه بالرغم من ذلك فإن الخسائر التى أصابت الفرنسيين فى هذه الموقعة تدل على أن المماليك وحلفاءهم كانت لديهم الرغبة الأكيدة فى الانتصار على الفرنسيين فى هذه الموقعة، فكما رأينا كان من الممكن أن يتحقق النصر لمراد بك بفضل ما كان لديه من مدفعية أحدثت خسائر فادحة فى صفوف الفرنسيين لولا هجوم الفرنسيين الحاسم فى اللحظة الأخيرة والذى أدى إلى هزيمة المماليك وفرارهم كما مر بنا.

ولقد ترتب على انتصار الفرنسيين فى هذه المعركة أن تحولت الحرب بين الفرنسيين والمماليك فى صعيد مصر من حرب منظمة إلى عمليات مناوشة مستمرة أخذت شكل حرب العصابات، وإن كانت عصابات يقوم بها الفرسان ولم يكن أمام المماليك إلا هذه الطريقة بعد أن فقدوا الأمل فى طرد الفرنسيين من الصعيد بواسطة قوة السلاح.

وهذا النوع من المعارك كان يمثل خطراً كبيراً [illegible] إذ أنه كان يعرضهم للخطر المستمر فى مواقع مختلفة، وفى أوقات مختلفة ودون أن يتمكنوا من اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهته ولا شك فى أن طبيعة الأرض فى الصعيد، ووجود المزروعات العالية فيه، وكذلك وجود كل من الجبل الغربى والجبل الشرقى سيسمح لقوات المماليك وقوات أبناء الصعيد بحركات التفاف سريعة ، وبمهاجمة كتائب وفصائل الفرنسيين التى ستصبح مبعثرة فى الوادى، وتحاول تأمين المواقع المختلفة، وهذا النوع من المعارك سيفقد الفرنسيين معنى الراحة والطمأنينة وسيجبرهم على مداومة السير والانتقال، بشكل يرهق قواتهم دون أن يتمكنوا من الإشتباك مع خصم واضح.

وبعد معركة سدمنت انسحب المماليك بقيادة مراد بك غربا حتى استقروا وراء بركة «الغرق» وهى بركة كبيرة واقعة جنوبى الفيوم بغرب، وانفصل العربان عن المماليك، بينما سارت فرقة الجنرال ديزيه فى تمام الساعة الثالثة ظهراً من يوم ٧ أكتوبر ١٧٩٨ تجاه قرية سدمنت واحتلتها، واستولى الفرنسيون على جزء من متاع المماليك الذى بدأ العرب سلبه.

ولم يفكر الجنرال ديزيه فى تعقب المماليك نظراً لإرهاق قواته التى كانت بحاجة إلى الراحة بعد الأهوال التى كابدوها، ومن أجل ذلك نجد الجنرال ديزيه فى اليوم التالى الموافق ٨ أكتوبر يرحل بجنوده وأسطوله إلى اللاهون، وقد استولى على مراكب المماليك الموجودة بها ثم قام بترحيل الجرحى والمرضى إلى القاهرة، ومكث الجنرال ديزيه وجنوده فى اللاهون من ٩ إلى ١٢ أكتوبر، ثم سار قاصداً مدينة الفيوم، ولم يبق بها إلا بضعة أيام، ثم أخلاها خوفا على مواصلات جيشه أن تنقطع إذا ابتعد كثيراً عن النيل، ولأنه علم بعودة المماليك إلى سدمنت، وبذلك يتهددون مواصلات الجيش الفرنسى، فاضطر إلى العودة إلى اللاهون من جديد يوم ١٦ أكتوبر، واعتزم أن يعاود تعقب المماليك والأهالى، لكنه وجد صعوبة كبرى فى تعقبهم لأن ماء الفيضان كان فى ذلك الحين يغمر البلاد فيحول دون تقدم الجيش واتصاله بالقرى، وكانت المؤن والزاد قد نقصت، والأمراض فتكت بالجنود ولا سيما الرمد، وبعث ديزيه فى ٢٠ أكتوبر من اللاهون برسالة إلى بونابرت ضمنها متطلباته والصعوبات التى تواجهه، ومكث ديزيه فى اللاهون ينتظر تعليمات بونابرت.

الموقف الحربى فى بنى سويف والفيوم والمنيا

لم يكن انتصار الفرنسيين فى موقعة سدمنت ليوطد مركزهم فى الوجه القبلى ، وبالرغم من أن

الجيش الفرنسى قد فتح فى طريقه ثلاث مديريات وهى بنى سويف والمنيا والفيوم فإن الحالة ظلت مضطربة فى تلك المديريات، وسلطة الفرنسيين تكاد تكون مجهولة عند الأهالى فى تلك المديريات،ولم يستطع الفرنسيون لإضطراب الأحوال أن يحصلوا من تلك المديريات، على ما يلزمهم من الغلال والخيول وفقدوا فى حالات كثيرة ما كانوا قد جمعوه منها، نتيجة لهجوم الأهالى على الشون، وهجومهم على تجمعات هذه الخيول واستمرت الإشتباكات مع الأهالى خاصة وأن بعض الفرنسيين كانوا يحاولون اغتصاب بعض وسائل التموين من الأهالى، الأمر الذى كان يدفع أبناء القرى إلى مهاجمتهم بالعصى والأسلحة النارية.

ولقد عين بونابرت الجنرال زايونشك Zayonchek قومندانا لمديرية بنى سويف فى أوائل أكتوبر ١٧٩٨، وأرسل معه كتيبة من الجنود وكلفه تنظيم هذه المديرية وكتب بونابرت إلى الجنرال برتييه طالباً منه العمل على ترحيل الجنود من الفرسان إلى بنى سويف، كما كلف بونابرت الجنرال ديزيه بتنظيم مديريتى المنيا والفيوم.

وكان بونابرت شديد الرغبة فى أن يتعقب ديزيه قوات الأهالى والمماليك للقضاء عليها، وقد حمل ياوره ديروك أمره إلى ديزيه بأن يهاجم مراد بك ويقضى على جيشه قبل نهاية الفيضان، لكن ثورة القاهرة التى نشبت فى ٢١ أكتوبر حالت دون سفر «ديروك»، وفى خلال ذلك وصلت رسالة ديزيه المؤرخة فى ٢٠ أكتوبر، فأدرك بونابرت مبلغ ما عاناه الجنود الفرنسيون من المتاعب والمشاق وحاجتهم إلى الراحة، فأرسل إليه يطلب منه اختيارا موقع صالح ليعسكر فيه الجنود، وكلفه إخضاع مديريات بنى سويف والمنيا والفيوم وكانت مهمة الجنرال ديزيه شاقة، لأن المماليك والأهالى قد رابطوا فى الصحراء فلا تستطيع القوات الفرنسية أن تحيط بهم، وكان الأهالى لا ينفكون يناوشون هذه القوات فى اللاهون، بعد أن فتكت المعارك والأمراض بجنود الجنرال ديزيه ونزل عددهم إلى الألفين، لم يعد فى استطاعته أن يخضع بنى سويف والمنيا والفيوم بهذا العدد، لبعد المسافات بين البلاد، وما غمر الأرض من الفيضان، فأصبح من الصعب على الجنود أن يتنقلوا من بلد إلى بلد، ولأن الجنود قد أنهكهم التعب فاختار الجنرال ديزيه مدينة الفيوم ليستقر فيها مع فرقته.

احتلال مدينة الفيوم وإخماد الثورة فى القرى المجاورة

انتقل الجنرال ديزيه وجنوده قرب نهاية شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨ إلى مدينة الفيوم، لكى يعطى فرقته بعض الراحة، وفى نفس الوقت كان ينتظر مجئ مدد من القاهرة، ويستعد فى الوقت نفسه لاستئناف الهجوم على مراد بك وأهالى الصعيد، وشرع الجنرال ديزيه ينظم الإدارة فى مديرية الفيوم، ويجمع الخيول من القرى، حيث كان بحاجة إليها ليسد حاجة حملته منها.

وقرر الجنرال ديزيه أن يقوم بحملة على قرى الفيوم لجمع الأموال والمؤن لكى يصرف مرتبات الجنود، ولكنه واجه عنتًا شديداً فى تحصيل الضرائب ومصادرة الغلال وجمع الخيول من القرى، حيث رفضت معظم القرى التسليم لمطالبه،

ودهش الجنرال ديزيه عندما أحس بروح التمرد والعصيان في نفوس الأهالى، واعتقد الفرنسيون أن مراد بك هو الذى منع السكان من دفع الضرائب، وأنه أوفد أحد أعوانه مع مائة وخمسين مملوكا لتحريض البلاد على الثورة وتنظيم المقاومة.

والحقيقة أن رسل مراد بك لم تنقطع عن المرور فى القرى، وعن إثارة الأهالى فى وجه الفرنسيين، ولكن فى نفس الوقت يجب أن نذكر أن نفوس الأهالى كانت مستعدة للمقاومة، ولعدم دفع أو تسليم أى شئ للفرنسيين، والدليل على ذلك هو تضخم وتزايد أعداد المصريين الذين كانوا ينضمون للمماليك، أو يقومون بمناوشاتهم، وكانت حماسة أبناء الصعيد، وعقليتهم، وروح فروسيتهم، عوامل تتجمع لكى تخلق منهم قوات هجوم ممتازين، ورجال عصابات ومقاومة لهم خطرهم على أى جيش يتوغل فى بلادهم.

وبعد انحسار مياه الفيضان، قرر الجنرال ديزيه أن يجرد حملة على القرى الثائرة لإخضاعها للنفوذ الفرنسى، وترك ديزيه فى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضاً و ٣٠٠ جندى لحمايتهم، وسار بباقي جنوده يوم ٦ نوفمبر لإخضاع القرى الثائرة، فأخضع فى طريقه (مطرطارس) و (سيلة) وتوجه بعد ذلك تجاه قرية (سرسنا) ولكنهم وجدوا مقاومة شديدة من أهالى سرسنا الذين تأهبوا للقتال وكان على رأسهم على كاشف، ولكن لم يصمدوا أمام قوة نيران الفرنسيين، فانسحبوا من القرية، واستولى عليها الفرنسيون.

ولقد تعرضت هذه القرية للسلب والنهب من قبل الفرنسيين، وليتهم اكتفوا بذلك، بل قاموا بإشعال النيران فيها وأحرقوها.

وتابعت فرقة الجنرال ديزيه سيرها فوصلت تجاه قرية الروضة، وكان الليل قد أقبل فعسكرت الحملة بالقرب من الروبيات (مركز سنورس).

وإذا كانت حملة الجنرال ديزيه قد نجحت فى إخضاع القرى السالفة الذكر لسلطتها إلا أنها فى نفس الوقت قد تركت دماء على أرض الصعيد، ظلت تنادى بالثأر، وتحول الموقف من مجرد عمليات حربية إلى حقد وضغينة ورغبة فى الانتقام كما سنرى.

هجوم الثوار على مدينة الفيوم

عندما كان الجنرال ديزيه ومعه الغالبية العظمى من جنوده يقومون بحملة الغرض منها جمع الخيول والغلال فى القرى المجاورة لمدينة الفيوم كما مر بنا، وكان قد ترك فى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضاً و ٣٠٠ جندى لحمايتهم، انتهز مراد بك هذه الفرصة وأرسل حوالى ألف من المماليك لإثارة الأهالى كى يقوموا مع المماليك بالزحف على مدينة الفيوم والإستيلاء عليها والقضاء على القوة الفرنسية الموجودة بها.

وانتشر البكوات والكشاف من المماليك فى شمال وجنوب إقليم الفيوم لإثارة العرب والفلاحين ضد الفرنسيين، وكانت نفوس العرب والفلاحين من أبناء الصعيد مهيأة للثورة، خصوصاً بعد أن رأوا وسمعوا عما يقوم به الجنرال ديزيه ورجاله من جمع للضرائب ومصادرة للخيول والغلال، بل إن نار الثورة قد اشتعلت فى نفوس الأهالى بعدما علموا أن الفرنسيين يحرقون القرى الثائرة مثلما حدث فى قرية سرسنا كما مر بنا.

ولا شك فى أن كل هذه العوامل كانت وراء تجمع عدد هائل من المماليك والعرب والفلاحين قدرهم الجنرال ديزيه بثلاثة آلاف رجل بينما ذكرالجنرال «برتييه» أن هذه القوة كانت مؤلفة من ثلاثة آلاف من العرب وألف من المماليك وعدد هائل من الفلاحين المسلحين لم يذكر عددهم، وبالرغم من اختلاف المصادر الفرنسية فى تقديرها لأعداد القوات المصرية من أبناء الصعيد المشتركين فى الهجوم على مدينة الفيوم، فيمكن القول بأن هذه الأعداد كانت تتراوح ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، بينما كانت أعداد القوات الفرنسية حوالى خمسمائة جندى ثلثهم من المرضى.

تجمعت الأعداد المذكورة من أبناء الصعيد عرب وفلاحين يتزعمهم فرسان المماليك يوم ٧ نوفمبر ١٧٩٨ وفى حوالى الساعة الثامنة صباحًا ظهرت أمام المدينة طلائع الثوار من أبناء الصعيد وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحًا تقدموا ومعهم العرب والمماليك وهجموا على أسوار المدينة، وفى لحظات حطموا أبواب المدينة، وملأوا الشوارع والطرقات، واحتلوا كل المواقع الرئيسية التى تشرف على مواقع الفرنسيين بعد قتال عنيف دار بينهم وبين القوات الفرنسية التى كانت تقوم بحراسة مدخل المدينة.

وكانت القوة الفرنسية تحت قيادة الجنرال «روبان Robin» المصاب بالرمد، لذلك حل محله فى قيادة المعركة نائبه الكولونيل «ابلر Eppler وقام ابلر بتحصين المنزل المقام فيه المستشفى وهو منزل» على الكاشف» وأمام زحف المماليك والعرب والفلاحين وتحطيمهم لأبواب المدينة انسحبت القوة الفرنسية إلى منزل على كاشف حيث مقر القيادة الفرنسية حيث جمع القائد «ابلر» قواته لتجنب حرب شارع دامية جدا، وتقدم العرب والفلاحون والمماليك فى طريقهم حتى وصلوا إلى المنزل الذى تقيم فيه القوة الفرنسية فأطلق الفرنسيون النار عليهم من فوق سطح المنزل ومن نوافذه، وفى نفس الوقت كون القائد «ابلر» صفين من جنوده، وقاد بنفسه الفرقة اليمنى، أما الفرقة اليسرى فقد تولى قيادتها الرائد «ساكرو Sacro، وفى الوقت الذى قام فيه الاحتياطى بتراشق بالرصاص من الأسقف والنوافذ على المهاجمين من قوات مراد بك خرج الصفين بقيادة «أبلرو ساكرو» لمواجهة الثائرين، وانقضا بالحراب على الثائرين، وطاردوهم من شارع إلى شارع واستولى الرعب على العرب والفلاحين فانسحبوا هاربين، وارتبكوا فى هروبهم، وحدثت مجزرة شنيعة، وتعقبهم الفرنسيون وطاردوهم لمسافة طويلة فى المدينة بواسطة الرائدين «إبلر وساكرو».

وبالرغم من أن أعداد أبناء الصعيد كانت تفوق أعداد الفرنسيين بكثير فإن الهزيمة قد حلت بهم، وانتهت محاولتهم بمجزرة شنيعة، ولكن كيف تم للفرنسيين هزيمة هذه الأعداد الكبيرة بهذه السرعة رغم قلة عددهم؟

وفى هذا الصدد يذكر لنا «دومنيك دى بيترو» تلك الحيلة التى نفذها القائد «إبلر» وخدع بها تلك الأعداد الكبيرة وأجبرهم فى النهاية على الفرار فيذكر ما يلى «رأى القائد «إبلر» أن الأعداء يستمدون قوتهم من فكرة أنهم يواجهون عددًا

بسيطًا من الفرنسيين، فقررا أن يجعلهم يظنون العكس، فأمر بتجميع كل الطبول، وأمر أن يسير خلف كل حامل طبلة مجموعة من الجنود وأمر كل مجموعة أن تتجه فى شارع مختلف، وعليهم أن يطلقوا نيران ذخيرتهم فى كل الشوارع، وعند سماع هذه الأصوات، اعتقد العرب أن الجنرال ديزيه قد عاد لنجدتنا وحل الرعب محل الطمأنينة فى قلوبهم، واتجهوا جميعًا خوفًا من الموت إلى بوابات المدينة لكى يفلتوا بحياتهم، وفى لحظات رأينا تلك الأعداد الغفيرة تختفى فى الصحراء وهنا يمكن القول بأنه إذا كانت الحرب خدعة فلقد استطاع القائد «ابلر» بذكائه أن يخدع أبناء الصعيد والمماليك بهذه الطريقة وانتصر عليهم رغم قلة أعداد جنوده ورغم إصابة ثلثهم بالأمراض، ولكن يجب علينا أن نذكر أنه كان فى نفس الوقت يملك من الأسلحة والذخيرة، ودقة النظام والتخطيط العسكرى إلى جانب الموقع الاستراتيجى المحصن، وكل هذه أدوات لم تتوافر لأبناء الصعيد فحلت بهم الهزيمة.

إلا أنه بالرغم من هزيمة أبناء الصعيد لعدم خبرتهم بالحرب، ولأنهم كانوا يحملون أدوات بسيطة لم تستطع أن تصمد أمام نيران الفرنسيين، فهناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن أبناء الصعيد قاموا بالدفاع عن أرضهم ضد الغاصب المحتل، وقاوموه بكل ما يملكون من أدوات، وعملوا على إخراجه من بلادهم ولم يبالوا بالموت، وكانت خسائرهم فادحة، فلقد ذكرت المصادر الفرنسية أن الأهالى من أبناء الصعيد بلغت خسائرهم من القتلى فى هذا الهجوم مائتين من رجالهم بينما كان عدد الجرحى منهم كبيرًا، بينما بلغت خسائر المماليك أربعة رجال من القتلى، وعشرة من الجرحى وهذه الخسائر البسيطة التى أصابت المماليك تدل على أنهم كانوا على جانب عظيم من الحذر والحرص، وكانت خسائر الفرنسيين قليلة فبلغت أربعة رجال من القتلى، وستة عشر جريحًا.

وترتب على انتصار الفرنسيين على الثوار نتائج مؤثرة فيذكر دومينيك دى بييترو «أن هذا الانتصار السريع والقوى كانت له نتائجه المؤثرة فقد أخمد الثورة، وأمن وصول المؤن والأموال وأتى بالجنرال ديزيه وسطنا ولكن من ناحية أخرى يمكن القول بأن هذا الهجوم كان دليلاً على استهانة أبناء الصعيد بقوة الفرنسيين ومقاومتهم لها وتجرئهم عليها، وأدرك الجنرال ديزيه أن قلة جنوده كانت من أهم أسباب الحالة الثورية التى ذاعت فى البلاد، ورأى ألا سبيل إلى المغامرة فى فتح الوجه القبلى إلا إذا جاءه المدد الكافى للقيام بهذه الحملة الطويلة المدى، فآثر الانتظار إلى حين وصول الإمدادات من القاهرة ليواصل مهمته التى كلف بها ألا وهى إخضاع الوجه القبلى لسلطة الفرنسيين.

ديزيه يطلب المدد من بونابرت لاستئناف الحملة

كان ديزيه يلح قبل هجوم الثوار على الفيوم فى طلب المدد من بونابرت، فكلف بونابرت الجنرال بليار الذى كان فى ذلك الحين قومندانا للجيزة أن يسير بقواته إلى الفيوم لمعونة الجنرال ديزيه فى العمليات الحربية.

وسار بليار من الجيزة يوم ٨ نوفمبر بالقوة التى كانت معه، فوصل إلى الزاوية (شمالى بنى سويف) يوم ١٢ نوفمبر ١٧٩٨، وهناك وصلته أنباء انتصار فرقة الجنرال ديزيه على المماليك والقرى الثائرة ، واستراح الجنرال بليار بالزاوية ينتظر تعليمات الجنرال ديزيه، فأمره أن يبقى فى بنى سويف ليعاون الجنرال زايونشك إذا ما قامت ثورة فى بنى سويف مثل التى قامت فى الفيوم، واعتزم الجنرال ديزيه بعد إخماد ثورة الفيوم أن يعود إلى بنى سويف لقمع حركات الهياج فيها، وجباية الضرائب من البلاد، فانتقل بفرقته إلى بنى سويف ووصل إليها فى ٢٢ نوفمبر حيث ضم إليه قوة الجنرال بليار، وهكذا تحول مركز قيادة الفرنسيين فى الصعيد فى تلك الفترة من الفيوم إلى بنى سويف التى أصبحت قاعدة لهم، سواء بالنسبة لإخضاع الصعيد، أو بالنسبة لجمع الغلال ومواد التموين من القوى. وفى تلك الفترة طلب ديزيه من بونابرت أن يمده باحتياجاته من المدافع والذخائر والمهمات، كما ألح عليه فى طلب قوة كبيرة من الفرسان، لأنها الوسيلة الوحيدة للتغلب على قوات المقاومة فى الصعيد، وبدونها لا يزال الأهالى والمماليك يفلتون من الجيش الفرنسى، فلا يستطيع اللحاق بهم ولا تعقبهم فى الصحراء، وتبقى قوتهم تتحين الفرص لمناوشة الفرنسيين وإرهاقهم وتكبيدهم ما يستطيعون من الخسائر.

وبالرغم من انشغال بونابرت فى ذلك الوقت فى التفكير فى الإعداد للحملة على سوريا، إلا أنه وضع مطالب ديزيه موضع الاهتمام، لأن إخضاع الصعيد كان من أهم المقاصد التى وجه إليها بونابرت اهتمامه، خصوصاً بعد أن شحت الغلال فى القاهرة والوجه البحرى، لأن إنقطاع المواصلات من الصعيد منع ورود الغلال، فارتفعت أسعارها ارتفاعًا أدى إلى تذمر الناس وهياج الخواطر فى مصر.

وانتظر الجنرال ديزيه بفرقته فى بنى سويف حتى أتيه المدد من بونابرت ولما طال انتظاره أناب عنه فى القيادة الجنرال بليار وتوجه بنفسه فى أول ديسمبر ١٧٩٨ إلى القاهرة للحصول على الإمدادات اللازمة لمقاومة المماليك وأهالى الصعيد.

والتقى ديزيه ببونابرت وعرض مطالبه،وفى نفس الوقت تلقى تعليمات من بونابرت، حيث أمره بمطاردة مراد بك بنشاط حتى شلالات النيل وإبادة المماليك أو طردهم تماماً من مصر.

وأمد بونابرت الجنرال ديزيه بقوة مؤلفة من ١٢٠٠ من الفرسان و ٣٠٠ من المشاة و ٦ مدافع و ٦ سفن حربية منها السفينة «إيطاليا» سفينة بونابرت الخاصة التى كان يركبها فى النيل وعاد الجنرال ديزيه من القاهرة مزوداً بهذا المدد فوصل إلى بنى سويف يوم ٦ ديسمبر على ظهر السفينة «إيطاليا» وفى اليوم التالى وصلت قوة الفرسان بطريق البر، ثم وصلت السفن التى تحمل مهمات الحملة بعد ذلك بأربعة أيام، وفى ١٥ ديسمبر كانت الحملة على تمام الاستعداد للزحف وكان عندها ما يقرب من أربعة آلاف رجل، وشعر الجنرال «ديزيه» أنه على رأس جيش صغير، لكنه فى نفس الوقت يستطيع أن يقاوم به حملات المماليك والعرب مجتمعين بل ويستطيع أن يتتبعهم أينما ذهبوا وكان هذا هو هدف ديزيه، ومنذ هذه اللحظة لم يشعر هو أو جندى من جنوده بلحظة راحة.

حادثة الفقاعى (الفجاعى)

سارت حملة الجنرال ديزيه من بنى سويف يوم ١٦ ديسمبر ١٧٩٨ لمطاردة مراد بك، ووصلت ليلاً إلى البرنقة El- Beranqah على البر الغربى للنيل وفى صباح اليوم التالى واصلت الحملة سيرها فبلغت «ببا» قاصدة «الفشن» وقبل أن تصل إليها استراحت لتنتظر قدوم المدفعية، وكانت طلائع فرقة الجنرال ديزيه ترابط بالقرب من قرية الفقاعى الواقعة على الضفة الغربية للنيل.

وقد حدث بقرب (الفقاعى) حادث دهش له الجنرال ديزيه وكبار الضباط الفرنسيين، ذلك أنه بينما كان الجنود ينتظرون وصول بقية الجيش تسلل أحد غلمان القرية إلى داخل المعسكر الفرنسى، وسرق بندقية أحد الفرسان الفرنسيين، وحمل الغلام البندقية وتوجه بها فى طريقه إلى القرية فرآه فارس آخر من الفرنسيين وجرى خلفه شاهراً سيفه وجرى الغلام بأسرع ما يمكن ولم يقف إلا بعد أن أصابه الجندى بجرح فى ذراعه، وجئ به أمام الجنرال ديزيه لمحاكمته، ودار بين الجنرال ديزيه وهذا الغلام هذا الحديث الذى دونه فى حينه «فيفان دينون» كالتالى:

الجنرال: من الذى طلب منك سرقة البنادق؟

الغلام: لا أحد.

الجنرال: من الذى دفعك لذلك؟

الغلام: الله القوى Le port Dieu

الجنرال: هل عندك عائلة؟

الغلام: أم فقيرة وعمياء.

الجنرال: إذا قلت لنا من الذى أرسلك لن نعاقبك لكن إذا امتنعت عن الكلام فسوف تعاقب.

الغلام: لقد قلت لك لم يرسلنى أحد، والله وحده هو الذى أوحى لى بذلك، ثم ألقى بطاقيته عند قدمى الجنرال ديزيه وقال فى ثبات: رأسى هاهو فاقطعوه.

ويذكر الجنرال بليار فى يومياته «أن هذا الطفل ظل طوال الوقت هادئًا هدوءاً عجيبًا، وأبدى قوة خلق نادرة، أما الجنرال «ديزيه» فقد راعى صغر سنه وخضوعه لحكمه، ثم حكم عليه بثلاثين جلدة، وتلقى الغلام الجلدات على ظهره دون صوت أو دمعة.

وكان هذا الغلام فى الثانية عشرة من عمره، جميل الطلعة كأحد الملائكة وهو جرئ وقوى وكان إعجاب الجنرال «ديزيه» بشجاعة هذا الغلام هى التى جعلته يضن به على الموت، ولا شك فى أن هذا الغلام كان مثلاً لكل أبناء الصعيد فى مواجهة العدوان على حرياتهم ومقدسات أوطانهم.

موقعة أبو جرج

بينما كان الفرنسيون يواجهون الثورة التى نشبت فى بنى عدى كان اقليم بنى سويف يموج بالثورة، ولقد قيل كما ذكرت المصادر الفرنسية أن عرب ينبع اتجهوا إلى بنى سويف، وأن الأهالى كانوا على أتم الاستعداد لمساندتهم، لهذا نجد الجنرال دافو Devoust بعد أن قضى على الثوار فى بنى عدى يتجه إلى بنى سويف للقضاء على عرب ينبع وعلى الثوار من الأهالى والعربان فى ريف بنى سويف.

وفى ريف بنى سويف كما فى كل الصعيد تلقوا خبر وصول قوات فرنسية جديدة كدليل على أن القوات الأولى قد دمرت، لذلك فهم يسرعون إلى حمل السلاح، وإذا كانوا أقوياء فسوف يهاجمهم، وإذا كانوا ضعفاء فسينتشرون عند مجئ القوات وسيسرقون منها كل ما يمكنهم سرقته وإذا لم يستطيعوا قتلهم ولا سلبهم كما تذكر المصادر الفرنسية فإنهم يرفضون إعطاء المؤن للجيش الفرنسي وهنا لا يجد الفرنسيون أمامهم سوى استعمال العنف مع المشايخ لكى يعطوهم الطعام اللازم للقوات الفرنسية، ولقد وجد الجنرال «دافو» نفسه فى الحالة الأخيرة، فعندما وصل إلى قرية أبو جرج بعث ببعض مندوبيه إلى شيخ القرية طالبين منه المؤن للجيش الفرنسى، فرفض شيخ القرية طلبهم قائلاً «بأنه لا يوجد طعام للفرنسيين فى قريته، وأن قواتهم قد دمرت فى الجنوب، وأنه إذا لم ينسحبوا فسوف يلاقون مصير إخوانهم وعاد رسل الجنرال «دافو» إليه بهذا الرد الذى يعنى أن أهل القرية قد رفضوا إمدادهم بالمؤونة، وأنهم على أتم الاستعداد لمواجهته ، ولم يهتم الجنرال دافو بهذه التهديدات، واتجه إلى القرية التى استقبلته بالطلقات النارية، وقام الأهالى يشد من أزرهم عربان الجهمة Gheamieh بإلقاء التراب على رؤوس الفرنسيين كعلامة للموت وعلى الفور قامت القوات الفرنسية بمحاصرة القرية ودخلتها من عشرة أماكن، وأمر الجنرال دافو جنوده بقتل وحرق كل شئ فى القرية فاشتعلت النيران فى القرية، وسالت الدماء فيها، وكانت خسائر الأهالى جسيمة، فلقد بلغت كما قدرتها المصادر الفرنسية بألف قتيل.

ولقد استأنف الجنرال دافو سيره إلى بنى سويف فى محاولة منه للحاق بعرب ينبع الذين كانوا قد عبروا النهر إلى الضفة اليمنى، وبالرغم من قلة أعدادهم، فإنهم كانوا يشكلون قوة كانت القوات الفرنسية تعمل لها حساب، وكان الجنرال دافو يتأهب لمطاردتهم عندما تلقى من الجنرال دوجا Dugua أمراً بالعودة إلى القاهرة لحماية المدينة من الغارات التى كانت تتهددها.

الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط وحركات المقاومة

تمهيد:

سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لإخضاع وسط الصعيد، ولم تكن مهمتها سهلة، بل صادفتها الكثير من العقبات،ومن أهم هذه العقبات الحركات الثورية التى قام بها الأهالى والمماليك وعرب الحجاز فى وجه الفرنسيين، وظل جيش الجنرال ديزيه يطارد قوات شتى لا عداد لها، ولا يكاد يتغلب عليها حتى تتجمع وتعود ثانية للقتال، ولقى الفرنسيون مقاومة عنيفة فى المنيا وأسيوط وسوهاج، واستعمل الفرنسيون كل ما لديهم من إمكانات لمكافحة قوات المقاومة فى هذه المنطقة من صعيد مصر كما سنرى من خلال عرضنا لهذه المعارك والثورات بالتفصيل.

احتلال أسيوط

سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لتعقب مراد بك حيث علم ديزيه أن مراكز المماليك المتقدمين تقع فى «الفشن» فأسرع إليهم، ولكنهم لم ينتظروا وصوله واختفوا، وظل الجيش الفرنسى يتعقب مراد وجنوده ثلاثة أيام ينتقل من قرية إلى أخرى دون أن يتمكن منه، حيث كان المماليك متقدمين على الفرنسيين بنحو ١٠ إلى ١٢ ساعة

فى طريقهم إلى أسيوط، وكان الفرنسيون يلاقون صعوبات فى التحرك بسبب المدافع التى يحملونها معهم، أما المماليك فلم تكن ضمن أمتعتهم مدافع تعوقهم عن الحركة، بالإضافة إلى أنهم كانوا كما يقول دينون «يملكون الصحراء ويتحدوننا فيها فى القدرة على التحمل.

وكان الفرنسيون يتوقفون فى القرى كلما أضناهم السير، وفى هذه القرى كانوا يتزودون بالطعام والشراب ويستولون على ما تركه المماليك خلفهم فى هذه القرى، ووصل الفرنسيون إلى المنيا يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٨، ليجدوا المماليك قد تركوها قبل قدومهم بساعات تاركين بها أربعة من سفنهم فغنم الفرنسيون ما على هذه السفن من مدافع وذخيرة، وانضم إلى الفرنسيين الكثير من اليونانيين الذين كانوا يعملون على هذه الأسلحة.

واستمرت حملة الجنرال ديزيه فى تقدمها بعد المنيا، فاستولت على ملوى التى عثرت فيها على ثمانية مدافع كان المصريون يستخدمونها فى ضرب سفن الفرنسيين واستمرت الحملة فى سيرها حتى وصلت إلى أسيوط واحتلتها يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٩٨، وكان المماليك قد انسحبوا منها مسرعين بعد أن أغرقوا سفينة مسلحة من أسطولهم وتركوا است سفن أعجلهم عنها ما كانوا فيه فلم يأخذوها ولم يغرقوها، فاستولى الفرنسيون عليها وعلى ما فيها من الأقوات والذخائر.

سير حملة الجنرال ديزيه من أسيوط إلى جرجا

سار الجيش الفرنسى من أسيوط ٢٦ ديسمبر وانقسم إلى فرقتين فرقة بقيادة الجنرال فريان Friant أخذت سفح الجبل، والفرقة الثانية بقيادة الجنرال بليار أوغلت فى السهل ثم التفتا فى الغنايم التى احتلوها ونهبوها ولكنهم وجدوا مقاومة من أهالى الغنايم الذين هبوا للدفاع عن أنفسهم وحدث اشتباك بين الفريقين أدى إلى مقتل واحد من الأهالى وجرح اثنان من الفرنسيين.

وعلم الجنرال ديزيه بناء على تقارير جواسيسه أن مراد بك ينوى ملاقاته بالقرب من جرجا، لذلك نجد ديزيه يغادر الغنايم هو وجنوده فى طريقه إلى جرجا التى أخلاها المماليك قبل وصول الفرنسيين إليها فى الساعة الثانية ظهراً يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٩٨.

وفى جرجا حط الجيش الفرنسى أثقاله ليستريح الجنود من عناء تلك الرحلة التى أنهكت قواهم، ولننتظر وصول المراكب التى بها ذخائره ومهماته ومؤونته، وقد تعطل سيرها وتأخرت عن متابعة الجيش، بسبب انخفاض منسوب المياه، واختلاف الريح مما جعل تحركها شديد الصعوب ورأى الجنرال ديزيه ألا يغامر بجيشه فيما وراء جرجا، لأنه أصبح بعيداً عن القاهرة، ووجد فى جرجا مدينة كبيرة فى وسط مديرية خصبة تصلح لتموين الجيش، فرأى من الحكمة أن يستقر بها وينعم بالراحة إلى أن يصل أسطوله فيواصل زحفه لإخضاع الصعيد، وإذا كان هذا هو موقف الجنرال ديزيه فماذا عن موقف مراد بك فى تلك الفترة؟

موقف مراد بك فى صعيد مصر

تذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أنه بالرغم من هزيمة مراد بك فى كل من سدمنت والفيوم، إلا أنه ظل دائمًا سيد أقاليم صعيد مصر، واحتفظ

بمركز قوى كان السبب فى توقف الجنرال «ديزيه» عن مطاردته لحين استكمال النقص فى جنوده ووصول الإمدادات من القاهرة، وفى تلك الفترة التى كان الجنرال ديزيه يقوم فيها باستكمال النقص فى صفوفه، وإعداد حملته لإخضاع الصعيد، لم يضيع مراد بك وقته، بل أراد هو الآخر أن يزيد من قوته بكل الوسائل الممكنة التى يوفرها له نفوذه القديم فى الصعيد، وبذلك استطاع أن يضم إلى جانبه كل القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد، وكان واثقًا من مساندة الأهالى، ويذكر «مارتان» أن مراد بك أرسل رسله إلى ما وراء الشلالات لتهديد النوبيين بإرسالهم إلى أثيوبيا مما دفع هؤلاء المواطنين المسالمين إلى الإنضمام إليه فى الحرب ولكن يبدو أن فكرة تهديد مراد بك للنوبيين ليس لها أساس من الصحة حيث تذكر مصادر أخرى أكثر إنصافًا أن مراد بك أرسل بعض الرسل إلى النوبة كى يأتوا بالمدد أو المعونات ، كما قام مراد بك بالكتابة لرؤساء «ينبع وجدة» ببلاد الحجاز يدعوهم لعبور البحر الأحمر بقواتهم للحاق به وبقواته وذلك للدفاع عن دين محمد ضد أعدائه من الكافرين الذين يرغبون فى إبادة هذا الدين.

كما أرسل مراد بك بعض المهرة من الرسل إلى حسن بك الجداوى «بإسنا» بقصد التوفيق بينه وبين مراد بك ويطلبون منه مساعدة مراد بك فى مقاومة الفرنسيين وأن ينتشر رجاله ما بين جرجا وأسيوط لمقاومة الفرنسيين ومهاجمة وتدمير اسطولهم ولم يكن مراد بك وحده هو الذى راسل حسن بك الجداوى بل راسله أيضًا السلطان العثمانى، وتذكر وثائق المحاكم الشرعية صورة «فرمان شريف» حضر لحضرة «مير اللوى» حسن بيك الجداوى «تحثه وتحث طائفة المماليك على التماسك والترابط من أجل مقاومة الفرنسيين «فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، وارفعوا بينكم الشقاق وبدلوه فى الحب الله والوفاق وادفعوا من بينكم الأشرار وأولوا النميمة وأهل النفاق أينما كنتم وحيث ماوجدتم قربًا وبعدًا» وتذكر الوثيقة أن «الفرنسيين هم الكفرة الطغاة والفجرة البغاة لا يؤمنون برب السموات والأرض ولا برسالة الشفيع يوم العرض «كما تفضح سياسة الفرنسيين وتحذر منهم فتذكر» ومن جملة قواعدهم الشيطانية جواز النفاق والقاء الفتن والشقاق بين الملوك والدول وساير الناس من أرباب الفساد « وهم أى الفرنسيين «يخاطبون كل طايفة بأننا منكم وعلى دينكم وملتكم ويعدونهم بالمواعيد الباطلة، ويحذرونهم بالتحاذير الهايلة، والحاصل أنهم أنهمكوا فى الفسق والفجور وامتطوا مطية الغدر والغرور وخاضوا بحر الضلال والطغيان». ثم تحض الوثيقة المماليك على مقاومة الفرنسيين «فاللازم عليكم أن تباشروا من غير توان ولا تكاسل فى دفعه ورفعه وطرده وقمعه، والحاصل فلتكن كلمتكم واحدة متفقين فى تقوية هذا الدين المبين وكونوا على حذر من حيل ومكر أولئك الكافرين اللئام، ولتكن سيوفكم بارقة وسهامكم راشقه ومدافعكم صاعقة ونبالكم إلى أفئدتهم متسابقة ودبابيسكم لقصم ظهورهم شادقة بفرسان تجول فى حومة الميدان بكل حملة توصل كافر إلى درك النيران، لأن عون الله إن شاء الله سيهزم

الجميع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر، ونحن فى طرف السلطنة السنية نشرنا الأوامر العلية فى جميع العساكر والأجناد من أقطار البلاد فبحول الله وقوته وباهر عظمته وقدرته عما قليل يجتمع عساكر وفيرة وجنود كثيرة مع سفاين كالجندل تمشى بقدرة الله ذى الجلال، ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالون بالموت لإعلاء كلمة الله وغزّ يقتحمون النار محبة فى دين الله فتعقب أدبارهم لعل الله يرزقنا تدميرهم، فنجعلهم إن شاء الله هباء منثورا كأن لم يكونوا شيئًا.

ولم تكن منشورات السلطان العثمانى موجهة لطائفة المماليك فقط بل كانت موجهة إلى عامة المصريين، وكانت هذه المنشورات تحثهم على مقاومة الفرنسيين الذين يريدون رفع شرايع الإسلام فهم الطايفة الخاينون والشرذمة الملعونون ذوو مكر وفساد وبغى وعناد، وقد قصدوا تلك الديار وهجموا على تلك الأقطار، وذلك لرفع شرايع الإسلام وقواعد دين محمد عليه السلام وهدم بيت الله الحرام والمدينة المنورة. والفرمان بذلك يحث المصريين على مقاومة هؤلاء الكفرة ويحذرهم من أن ينقادوا لهم أو يتعاونوا معهم فيذكر: ثم إياكم أن تنخدعوا بمواعيدهم الباطلة وبأقوالهم الكاذبة كلها مكر وحيلة ودسيسة وخيانة لهذه الشريعة المطهرة النفيسة وأنتم تعلمون أن من يطيع وينقاد لهؤلاء الكفرة اللئام ويعينهم على أهل الإسلام يكون والعياذ بالله مرتدًا عن دينه فينهدر دمه ويستحل ماله ويجب على كل مسلم قتاله تشهد بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، والله معنا أيها المؤمنون قال تعالى ﴿وإن جندنا لهم الغالبون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾.

ومما لا شك فيه أن هذه الفرمانات كانت تلهب حماس الأهالى، وتقوى من عزيمتهم فى نضالهم ضد الفرنسيين، وهكذا تجمع لدى مراد بك أعداد هائلة من الفلاحين والعربان إلى جانب قواته من المماليك، وقوات حسن بك الجداوى الذى انضم إلى مراد بك، بالإضافة إلى عرب ينبع وجده (عرب الحجاز) الذين انضموا لمراد بك بصعيد مصر وشكلوا خطرًا على القوات الفرنسية ووقفت هذه القوات الهائلة من الأهالى والمماليك وعرب الحجاز ضد قوات الجنرال «ديزيه» التى كان شغلها الشاغل فتح الصعيد والإستيلاء عليه وإخضاعه للنفوذ الفرنسى.

الثورة فيما بين أسيوط وجرجا

كان ديزيه يتوقع قدوم أسطوله إلى جرجا بعد أيام معدودات، ولكنه تأخر فى الوصول، فاضطر ديزيه أن يبقى فى جرجا لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يزحف أو يعمل عملاً، وكان تأخره مدعاة لتنظيم قوة المقاومة فى البلاد التى لم يفتحها، وسريان روح الثورة فى المدن التى فتحها، وعلم الفرنسيون فى ١٣ نيفوز من العام السابع الجمهورى الموافق ٢ يناير سنة ١٧٩٩ أن الفلاحين قد تشجعوا بالمماليك واستعدوا لمهاجمتهم من الخلف على أن يهاجمهم المماليك من الأمام، وعزم مراد بك على الاستيلاء على السفن الفرنسية قبل أن تصل إلى مدينة جرجا وأرسل للقيام بذلك أحد أعوانه

المشهورين بالنشاط والحذق واسمه عثمان بك قمر فقطع الطريق بين أسيوط وجرجا وهيج الأهلين وحملهم على محاربة الفرنسيين، فسرت روح الثورة فى أربعين بلداً فى المنطقة الواقعة بين أسيوط وجرجا، وبلغ عدد الثوار من الأهالى كما قدرتها المصادر الفرنسية ما بين ستة إلى سبعة آلاف من الأهالى، وبالرغم من أن هذه الثورة كانت واسعة النطاق وتميزت بانضمام أعداد هائلة من الأهالى، إلا أن الفرنسسين استطاعوا أن يقضوا عليها قبل أن تتحد عناصرها، وتمكنوا من هزيمة قواتها المبعثرة معتمدين على نظامهم الحربى ومدافعهم القوية وبنادقهم الحديثة ، فكانت المعارك التى نشبت بينهم وبين الأهالى أشبه بالمذابح التى فتكت فيها نيران المدافع والبنادق بمجموع من الأهالى محرومين من النظام غير مزودين إلا بأسلحة قديمة، وفشلت ثورة الأهالى فى تحقيق غرضها بالقضاء على القوات الفرنسية، لافتقادها إلى النظام والعتاد الحربى والقيادة الحازمة.

معركة سوهاج
(٣ يناير سنة ١٧٩٩)

علم ديزيه أن هناك تجمعًا كبيراً من الأهالى يتشكل بالقرب من سوهاج قدرته المصادر الفرنسية بأربعة آلاف من الفلاحين مسلحين بالبنادق والحراب Piques بالإضافة إلى ثمانمائة من الفرسان فقرر الجنرال ديزيه أن يقضى على هذه الثورة قبل أن يتسع مداها، وأمر ديزيه الجنرال دافو Davout بالرحيل فوراً من جرجا على رأس قواته للقضاء على هذه الثورة، فوصل إلى سوهاج يوم ٣ يناير سنة ١٧٩٩، وفى اللحظة الأولى لهذه المعركة أعطى الجنرال دافو لطليعة جيشه المكون من الفرقة السابعة من الفرسان والفرقة الثانية والعشرين من القناصة بأن يهاجموا بعنف قوات الأهالى ومن معهم من فرسان المماليك، ولم يستطع الأهالى الصمود طويلاً أمام هجوم الفرنسيين ونيران أسلحتهم ففروا هاربين بعد أن تركوا خلفهم ثمانمائة قتيل على أرض المعركة.

وهكذا كانت هذه المعركة كارثة أصابت الأهالى وألحقت بهم خسائر جسيمة واعتقد الفرنسيون أن القضاء على هذه الثورة بهذه السرعة وما أصاب الأهالى من خسائر سيؤدى إلى انتشار الرعب فى البلدان الأخرى وإخماد الثورة فيها، لكن على العكس من ذلك فإن الأهالى استمدوا من هذه الهزيمة دافعًا لمواصلة الثورة، فلم تنكسر شوكتهم، ولم تفتر عزيمتهم فما أن عاد الجنرال دافو إلى جرجا بعد انتصاره فى هذه المعركة حتى علم الجنرال ديزيه بأن هناك حشداً كبيراً تكون بالقرب من أسيوط ومكون من فلاحين مشاه وفرسان جاء معظمهم من المنيا وبنى سويف والفيوم وهنا أحس ديزيه بالقلق وازداد قلقه بسبب تأخر أسطوله الذى يحمل المؤن والمعدات ولم تصله حتى الآن أخبار أكيدة عن ميعاد وصوله إلى جرجا، وهنا كلف ديزيه الجنرال دافو بأن يزحف من جديد على رأس فرسانه لمقاومة المتمردين من الأهالى، وأن يبذل أقصى جهده فى العمل على سلامة الأسطول الفرنسى الذى انقطعت أخباره وتأخر وصوله إلى جرجا.

